

رابطة الجامعات الإسلامية

سلسلة مركز الدراسات الحضارية
(١)

# الإسلام والحوار مع الحضارات المعاصرة

البحث الفائز بالجائزة الدولية للرابطة لعام ٢٠٠٤م

تأليف
**دكتور / محمد خليفة حسن**
أستاذ تاريخ الأديان
كلية الآداب - جامعة القاهرة

# الفهـــرس

**الموضوع** **الصفحة**

الموضوع الصفحة

الباب الثانى

نظريات الصراع بين الحضارات

آراء أبرز الكتاب والشخصيات الغربية

الفصل الأول

نظريات الصراع بين الحضارات



الفصل الثانى

العولمة وصراع الحضارات على المستوى العالمى



الفصل الثالث

الشرق أوسطية وصراع الحضارات فى الشرق الأوسط

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

الموضوع الصفحة

الفصل الأول

رؤية نقدية إسلامية لنظرية صدام الحضارات



الفصل الثانى

الموقف الإسلامى من العولمة



الفصل الثالث

الموقف العربى من الشرق أوسطية



الفصل الرابع

الموقف الإسلامى من حوار الحضارات

**الموضوع** **الصفحة**

## الباب الخامس
## أسس العلاقة المثلى بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى : النظرية والآليات

### الفصل الأول
### التحديات الحضارية
### التى تواجه العالم الإسلامى المعاصر



### الفصل الثانى
### أسس العلاقة المثلى
### بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى

الموضوع الصفحة



**الفصل الثالث**

**وسائل وآليات تحقيق العلاقات الإيجابية**

**المثلى بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى**

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|



# تصدير

## أ. د. جعفر عبد السلام
## الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية

الإسلام دين يستوعب حدود الزمان والمكان، ويتحرك على دنيا الناس من أجل خير الإنسانية وسعادتها. وفى عالمنا اليوم دعوات كثيرة للحوار بين البشر، وللتسامح فى الأفكار والأنظمة، ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا إن الإسلام هو دين الإنسانية الوحيد الذى ينفتح على كل دين سماوى؛ اعترافًا بكتابه، وإيمانًا برسوله، وهو دين الإنسانية الوحيد الذى يتعامل مع الإنسان فى كل مكان دون تعصب للون أو جنس أو ثقافة. ومن خلال هذا المفهوم الذى يسرى فى البناء الإسلامى العام سريان الروح فى الجسد، يأتى حوار الحضارات ليجد من عالم الإسلام أذنًا صاغية، ومن الفكر الإسلامى نوافذ مفتوحة، فهو يستقبل كل جديد فى دنيا الناس - فكرًا وأنظمة وعلومًا - باعتباره خبرة بشرية، الفائدة فيها مشاع لكل الناس، فى عالم ينشده الإسلام ويتحقق فيه الخير للجميع، والسعادة للكافة، حيث لا يطغى أحد على أحد، ولا تستبد حضارة بمقاليد الأمور دون غيرها فتجعل العالم ساحة لمصالحها، بل ومسرحًا لأهوائها وجنوح قادتها. وهذه الأفكار التى تطرحها هى الجوهر الفكرى الذى ينظم فصول هذا الكتاب، إنه يقدم رؤية إسلامية لفكرة ملأت الدنيا وشغلت الناس، يقدم رؤية إسلامية منصفة، أساسها التحليل الفلسفى لمقومات الحوار، والقراءة الواعية لما يقدمه من مبادئ، والتعرف الدقيق لما يحمله من خلفيات حضارية، واتجاهات قد لا تكون فى صالح الإنسانية عندما يصبح الحوار هيمنة، وتلاقح الأفكار زرعًا لحضارة وحيدة الجانب فى الرؤية والاتجاه. إنها محاولة إسلامية لتبصير الإنسانية بأصول الحوار الجاد، والتعاون البناء فى الأفكار والثقافات وفى كل صور التعامل بين الناس.

والرابطة إذ تستهل سلسلة مـركز الدراسات الحضارية بهـذا الكتاب القيم، الحائز على المركـز الأول في المسابقـة الدولية لرابطة الجامـعات الإسلامـية عن "الإسلام والحوار بين الحـضارات"، الذي كتبه الأستـاذ الدكتور محمـد خليفة حسن الأستاذ بجامعة القـاهرة، لتدعو الله عز وجل أن يجزل له المثوبة، وينفع بهذا العمل سائر الناس.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل..

## مقدمة

تمر العلاقات الحضارية الإسلامية مع الحضارات الأخرى، فى الوقت الحالى، بأزمة كبيرة من أهم مظاهرها التشويه المستمر لصورة الحضارة الإسلامية وللمسلمين فى العالم، ومن أهم نتائجها الأخرى المهمة إحداث أزمة ثقة لدى المسلمين المعاصرين فى دينهم وفى حضارتهم، ووضع الإسلام وحضارته موضع الاتهام والنقد، وبالتالى انشغال المسلمين بالدفاع عن الإسلام وحضارته فى جولة جديدة من جولات ردود الأفعال الإسلامية تجاه ما يحيق بالإسلام من خطر وما يلصق بالمسلمين من اتهامات.

وقد نتجت هذه الأزمة عن أحداث الحادى عشر من سبتمير ٢٠٠١م التى أدت إلى سقوط القواعد التقليدية فى العلاقات الدولية، وهزت أركان النظام العالمى، واختزلت مشكلات العالم كله فى مشكلة واحدة هى قضية الإرهاب العالمى. ووقع الإسلام وحضارته والمسلمون ضحية هذا التغير فى طبيعة العلاقات الدولية، وضحية هذا التركيز الشديد على قضية الإرهاب، ووجهت السهام من الغرب والشرق إلى جسد المسلمين وعقلهم بعد أن تم توجيه الاتهام المباشر، وبدون تحقيق، إلى المسلمين. وقد نتج عن هذا الاتهام اضطراب علاقات المسلمين بغير المسلمين داخل البلاد الإسلامية، وتوتر علاقات الجاليات الإسلامية فى العالم بالبلاد التى يعيش فيها المسلمون فى الغرب والشرق، وظهور قوانين عنصرية لمعاملة المسلمين دون غيرهم من البشر وصلت فى أقصاها إلى الطرد من البلدان الغربية والشرقية وإلى وقوع آلاف المضايقات لأفراد الجاليات الإسلامية، الأمر الذى صعّب عليهم الحياة، وجعلهم موضع عدم الثقة والاتهام، بالإضافة إلى التضييق عليهم فى معيشتهم وفى أرزاقهم، فى خروج صريح على القوانين والدساتير وعلى مبادئ حقوق الإنسان، وعلى القيم الإنسانية ذاتها. واتجه كل بلد غربى أو شرقى لكى يعيد صياغة علاقته بجاليته الإسلامية والعربية وينظم علاقته بالبلدان العربية والإسلامية على أساس جديد وهو مقاومة الإرهاب.

وقد وقفت من وراء هذه السياسة الدولية الجديدة تجاه المسلمين وحضارتهم نظريات

متعصبة كان لها الأثر العظيم فى توجيه السياسة الأمريكية والأوروبية لكى تأخذ هذا الشكل المهاجم للإسلام وحضارته. ولعبت الصهيونية كالعادة دورها فى إشعال نار الفتنة ضد المسلمين، وتم توجيه الإعلام الغربى الصهيونى لاستغلال أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م لتحقيق المصلحة الصهيونية العليا فى العالم العربى والإسلامى، وبدأت المسألة بقلب الحقائق على الأرض الفلسطينية بوصف مقاومة الشعب الفلسطينى للمحتل بأنها أعمال إرهابية، وتشبيه ما يحدث فى فلسطين بما حدث فى الولايات المتحدة الأمريكية، وتصوير إسرائيل فى صورة البلد الضحية للإرهاب تماما مثل أمريكا، وحصلت إسرائيل على الموافقة الأمريكية والأوروبية بحقها فى مقاومة ما يسمى بالإرهاب الفلسطينى بكل قوتها؛ فوجهت إسرائيل ترساناتها العسكرية ضد الشعب الفلسطينى الأعزل فى حرب فعلية من طرف واحد، وبموافقة وقبول الضمير الأمريكى والأوروبى. وكذلك فعل الروس فى تصويرهم لعملياتهم العسكرية ضد الشيشان بأنها مقاومة للإرهاب، وهكذا فعلت الهند فى تصويرها لقتالها ضد كشمير المسلمة بأنه قتال ضد الإرهاب الإسلامى.

وحدث أيضا تسييس للعلاقات الحضارية بين الشعوب، وبخاصة بين الغرب والعالم الإسلامى، وظهرت نظريات فى السياسة تدعى خطأ بأن الحروب القادمة حروب حضارية. واستغل أصحاب هذه النظريات أحداث سبتمبر كدليل على أن حرب الحضارات قد بدأت بالفعل، وأن الحضارة الإسلامية أصبحت خطرا مهددا للغرب وحضاراته، ووصف الرئيس الأمريكى جورج بوش الوضع بأنها حرب صليبية، ووصف رئيس الوزراء الإيطالى بريلونسكى الحضارة الإسلامية بأنها حضارة متخلفة ومتدنية وصانعة للإرهاب وأنها لا تستحق المقارنة بالحضارة الغربية. وتم إصدار التعبيرات والمصطلحات السلبية لوصف الإسلام والمسلمين ومن بينها مصطلحات «الخطر الأخضر» بعد زوال الخطر الأحمر، و«المسلمون قادمون» و «الخطر الإسلامى»، و«محور الشر» وغير ذلك من المصطلحات التى تم وضعها لوصف الإسلام والمسلمين والحضارة الإسلامية.

ووضعت النظريات المحددة للعلاقات مع الحضارة الإسلامية ومن أهمها نظرية «صدام الحضارات» لصاحبها اليهودى صموئيل هنتنجتون والمستندة بقوة إلى آراء المنظر

الصهيونى الأكبر للصراع مع الحضارة الإسلامية، وهو المستشرف اليهودى الصهيونى برنارد لويس صاحب التاريخ الطويل فى تزييف حقائق الإسلام وحضارته. وهناك نظرية «نهاية التاريخ» لصاحبها الأمريكى اليابانى الأصل فرانسيس فوكوياما، وغير ذلك من النظريات والآراء التى سارت فى هذا الركب المسيّس للحضارة والمدمر للعلاقات الحضارية بين المسلمين والغرب.

ويحدث هذا كله فى إطار مخاطر سياسية وثقافية كبرى مهددة للعالم الإسلامى المعاصر نتجت عن انتشار العولمة الغربية فى ثوبها الأمريكى وبنزعتها الاستعمارية الجديدة التى تعكسها الرغبة فى تحقيق الهيمنة الاقتصادية والسياسية على العالم، وفرض النموذج الثقافى الغربى والأمريكى على العالم الإسلامى. وفى نفس الوقت يعانى العالم العربى، من خطر يجمع بين أطماع العولمة الأمريكية وأطماع الشرق أوسطية الإسرائيلية المتحالفة مع العولمة الأمريكية. وتسعى الشرق أوسطية إلى تحويل إسرائيل إلى مركز حضارى واقتصادى للشرق الأوسط، كما تسعى العولمة إلى تحويل أمريكا إلى مركز حضارى واقتصادى للعالم كله.

وبالإضافة إلى هذا تزخر الساحة العالمية المعاصرة بقضايا ثقافية خطيرة موجهة إلى العالم الإسلامى وتحتاج إلى اتخاذ مواقف إسلامية منها، إما بالاستجابة أو بالرفض أو بالتوفيق، وتمثل بعض هذه القضايا إشكاليات ثقافية لأنها قضايا مقبولة فى ظاهرها، لكنها تدخل داخل إطار مساعى الغرب لتغيير العقلية الإسلامية، وإشغال العقل المسلم وتشتيته، وإبعاده عن قضاياه الجوهرية مثل: قضايا التنمية الإسلامية، وتحقيق التقدم الإسلامى فى مجالات العلوم والتكنولوجيا، ووضع المسلمين على خريطة الحياة المعاصرة. ومن أهم هذه القضايا الثقافية قضايا حوار الحضارات، وحوار الأديان، وثقافة السلام، وتجديد الخطاب الدينى الإسلامى، ودعوات التغريب فى شكلها الجديد من أمركة إلى فرنكفونية، والقضايا الناتجة عن ثورة الاتصالات والقنوات الفضائية والإنترنت.

وفى هذا البحث محاولة لتحديد التحديات الحضارية التى تواجه العالم الإسلامى المعاصر، وذات التأثير على العلاقات الحضارية بين المسلمين وغير المسلمين، وكذلك التحديات التى نتجت عن أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١م ومحاولة لإعادة

صياغة أو تشكيل العلاقات بين الحضارة الإسلامية والحضارات المعاصرة، وبخاصة الحضارة الغربية صاحبة أكبر طرح لقضايا وإشكاليات وتحديات ثقافية تواجهها الحضارة الإسلامية. ويحاول البحث أن يقدم أسسًا لتحديد العلاقة المعاصرة بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى فى الغرب والشرق، وتقديم نقد إسلامى للنظريات السياسية المدمرة للعلاقات الحضارية بين الشعوب مثل نظريتى «صدام الحضارات»، و« نهاية التاريخ»، وتقديم شهادات من الشرق والغرب تدعم حوار الحضارات، وتؤكد على أهميته القصوى فى مواجهة نظريات الصدام والخراب والتدمير. ويهتم البحث أيضًا بتحليل موقف الحضارة الغربية المعاصرة فى علاقتها بالحضارة الإسلامية وبالحضارات الشرقية عمومًا من خلال نقد إسلامى لمبادئ العولمة والشرق أوسطية، وتوضيح للمخاطر الثقافية الناجمة عن هذه المبادئ.

وفى النهاية يعطى البحث تصورًا للعلاقات المثلى بين الحضارات الإسلامية والحضارات الأخرى، ويقدم تصورًا للآليات والوسائل التى يمكن من خلالها تحقيق هذه العلاقات فى صورتها المثلى.

ونرجو من الله العلى القدير أن يكون هذا البحث قد حقق هدفه فى خدمة قضايا العالم الإسلامى المعاصر.

**والله ولى التوفيق.**

**أ.د. محمد خليفة حسن**

# الباب الأول

# الحضارات المعاصرة والموقف من الحوار الحضارى

الفصل الأول : طبيعة الحضارات الحديثة والمعاصرة وتأثيرها فى الموقف من الحوار الحضارى والدينى.

الفصل الثانى : فضل الحضارة الإسلامية على الحضارات الأخرى وبخاصة الحضارة الغربية.

# الفصل الأول

## طبيعة الحضارات الحديثة والمعاصرة وتأثيرها فى الموقف من الحوار الحضارى والدينى

أولاً: طبيعة الحضارة العربية الإسلامية.

ثانيًا: طبيعة الحضارة الغربية.

ثالثًا: طبيعة حضارات الشرق الأقصى.

رابعًا: نقاط الاتفاق والاختلاف بين الحضارات.

خامسًا: هل العلاقات بين الحضارات علاقات التقاء أم تصادم ؟

سادسًا: الموقف الغربى المعاصر من الحوار الحضارى والدينى واشكالياته.

## طبيعة الحضارات الحديثة والمعاصرة
## وتأثيرها فى الموقف من الحوار الحضارى

يختلف موقف الحضارات المعاصرة من الحوار الحضارى وذلك بسبب اختلاف طبائع هذه الحضارات، وتوزعها بين العالمية والخصوصية، وبين الانفتاح والانغلاق، وكذلك الاختلاف فى موقفها من المادة والعقل والأخلاق والدين، وفى النهاية موقفها من الآخر والذى يتمخض عن موقف من الحوار مع الآخر موزع بين قبول هذا الحوار أو رفضه حسب طبيعة الحضارة المعنية.

ولكى نتعرف على الموقف من الحوار الحضارى لا بد فى البداية من التعريف بطبائع الحضارات المعاصرة لما فى ذلك من أهمية فى الكشف عن طبيعة العلاقات بين الحضارات وتحديد موقف هذه الحضارات من الحوار.

### أولاً: طبيعة الحضارة العربية الإسلامية

تتصف الحضارة العربية الإسلامية بعدة خصائص نوجزها فيما يلى

#### أ ـ حضارة دينية

ارتبطت الحضارة الإسلامية بالدين الإسلامى واستمدت منه قيمها المعنوية وجوانبها الروحية، كما استمدت منه الأسس الدينية والأخلاقية للحياة المادية. وربطت الحضارة الإسلامية بين الدين والدنيا فى توازن تام بين متطلبات الإنسان الروحية والمادية. ومن هذا المنطلق تعتبر الحضارة فريضة وواجبًا دينيًا وعنصراً أساسيًا من عناصر الدين الإسلامى[1].

---

(١) د. محمود حمدي زقزوق، الدين والحضارة، سلسلة قضايا إسلامية، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، العدد ١٤، القاهرة، ١٤١٧هـ١٩٩٦/م، ص٩٧-٩٨؛ وانظر أيضًا د. أحمد الطيب، خصائص الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارات الغربية، في كتاب حقيقة الإسلام في عالم متغير، سلسلة قضايا إسلامية، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، العدد ٨٧، القاهرة، ١٤٢٣هـ٢٠٠٢/م، ص٨٢.

## ب - حضارة أخلاقية

استمدت الحضارة الإسلامية قيمها من الدين الإسلامى والتزمت بأخلاقيات الإسلام، واعتبرت الأخلاقيات رقيبًا على العمل الحضارى. وقد أدى الأساس الدينى الأخلاقى للحضارة الإسلامية إلى تحديد هدفها فى تحقيق سعادة الإنسان فى الدنيا والآخرة. وتحقيق هدف الأخوة البشرية من خلال التواصل الحضارى الفعال، وعدم احتكار المنجز الحضارى وجعله متاحًا لفائدة البشرية عمومًا.

## ج - حضارة إنسانية

تتصف الحضارة الإسلامية ببعدها الإنسانى العام. فهى تهدف عامة إلى خدمة الإنسان وتيسير سبل الحياة الإنسانية وتحقيق رفاهية الإنسان فى ظل الضوابط الدينية والأخلاقية. وهى لا ترتبط بعرق أو بعنصر أو بجماعات بشرية معينة، فهى حضارة غير عنصرية فى تكوينها، ومساهمات غير المسلمين وغير العرب فيها مساهمات أساسية كما أن منجزها الحضارى ليس موجهًا لمصلحة العربى المسلم فقط، ولكنه منجز حضارى إنسانى موجه لخدمة البشرية ككل ولإسعاد الإنسان فى كل زمان ومكان. ومن ناحية أخرى تحرص الحضارة الإسلامية على تحقيق التوازن بين متطلبات الإنسان العقلية والمادية والوجدانية.

## د - حضارة عالمية

اكتسبت الحضارة الإسلامية عالميتها من عالمية الدين الإسلامى. وإنسانية الحضارة الإسلامية تعبير مباشر عن عالميتها، وكونها ليست حضارة وثنية أو عرقية أو لخدمة فئة بشرية معينة. وقد حققت الحضارة الإسلامية هذه العالمية بصفة دائمة على المستوى الروحى، كما تمكنت من تحقيق العالمية على المستوى المادى خلال فترة العصور الوسطى التى أصبحت فيها الحضارة الإسلامية حضارة كل العالم، وأصبحت اللغة العربية لغة العلم خلال المرحلة المذكورة، وهى الفترة السابقة مباشرة على عصر النهضة الأوروبية التى بنيت على أساس من العلم الإسلامى، ومن خلاله انطلقت أوروبا إلى

العصر الحديث. ويتضح البعد العالمى للحضارة الإسلامية فى قبول التعددية الثقافية والدينية، وفى الانفتاح على الحضارات والثقافات الأخرى والتفاعل معها، كما حدث فى عمليات الاتصال بالثقافات اليونانية والهندية والأوروبية، وفى عمليات التأثير والتأثر الحضارى. ويتضح هذا البعد العالمى أيضًا فى إرساء مفاهيم السلام والعدل بين الشعوب.

### هـ- حضارة تقدمية

تسعى الحضارة الإسلامية إلى تحقيق التقدم الإنسانى والارتقاء بالحياة الإنسانية على المستوى الروحى والمادى. وتعمل على دفع عجلة التقدم فى كل مجالات الأنشطة الإنسانية وتحرص على التطوير والإبداع ولا تتجاهل المتغيرات والتطورات التى تمر بها الحياة الإنسانية[1]. ومع الحرص على كل ما هو ثابت وجوهرى تقبل عناصر التطوير والتجديد التى يأتى بها الحاضر.

### و- حضارة علمية عقلية

تقوم الحضارة الإسلامية على أسس علمية وعقلية؛ حيث اهتمت بالعلم ومعطيات العقل والمنطق، وشجعت العلم والعلماء وكرمتهم. وقد حضت الحضارة الإسلامية على التعلم والتفكير والتدبر والتأمل والتفقه وغير ذلك من وسائل الحصول على العلم والمعرفة فى كل المجالات والأنشطة الإنسانية، وأطلقت العنان للعقل الإنسانى لكى يبدع ويتفنن فى تعمير الأرض، وتسخير الطبيعة المخلوقة لخدمة الإنسان وتحقيق سعادته، ولكى يبحث عن أفضل السبل لتيسير الحياة الإنسانية، والكشف عن قوى الطبيعة وطاقاتها وكنوزها وخيراتها. ولا تتحقق عمارة الأرض إلا بالعلم وحسن استخدام العقل، والحضارة فى المفهوم الإسلامى تعنى تحقيق إرادة الله فى تعمير الأرض ماديًا ومعنويًا. وتحض الحضارة الإسلامية على قيم التفكير والعمل وهى القيم الصانعة للحضارة الإنسانية.

---

(١) د. محمود حمدي زقزوق، الدين والحضارة، ص٩٢؛ وانظر د. أحمد الطيب، خصائص الحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ص٨٥.

### ز ـ حضارة سلام والتقاء وحوار

أدت الصفات المذكورة للحضارة الإسلامية إلى أن تصبح حضارة بناء لا هدم، وتسعى إلى تحقيق السلام العالمى، وترحب بالحوار مع الحضارات الأخرى والالتقاء بها والتفاعل معها، وتبادل الأخذ والعطاء وقبول التأثير والتأثر.

## ثانيًا : طبيعة الحضارة الغربية

تتصف الحضارة الغربية بعدة خصائص مميزة لها من أهمها :

### أ ـ حضارة غير دينية ( علمانية )

منذ عصر النهضة الأوروبية فى القرن الخامس عشر بنيت الحضارة الغربية على أسس غير دينية. ولذلك من الصعب وصف الحضارة الغربية بأنها حضارة مسيحية أو يهودية؛ لأنها بنيت على أساس من الفصل التام بين الدين والدولة. فأصبحت حضارة علمانية تقوم على أسس عقلية وضعية ولا تعترف بدور الدين فى الحياة الإنسانية، حيث تحول الدين إلى شأن شخصى ليس له تأثير فى تسيير شئون الحياة الإنسانية العامة. وقد وصلت الحضارة الغربية إلى هذا الوضع بعد صراع طويل بين السلطتين الدينية والزمنية، وهو الصراع بين البابوية والإمبراطورية.

### ب ـ حضارة ذات قيم أخلاقية منفصلة عن الدين

طورت الحضارة الغربية مجموعة من القيم الحضارية المستقلة عن الدين، وهى قيم أخلاقية وضعية مادية تعبر عن خصائص الحضارة الغربية العقلية والمادية، وتركز على الجانب المادى فى الحياة الإنسانية، وتعمل على تحقيق المتطلبات المادية للإنسان وتهمل الجانب الروحى والمعنوى. والقيم التى طورتها الحضارة الغربية قيم مادية بحتة هدفها تحقيق سعادة الإنسان فى الدنيا.

### ج ـ حضارة استعلائية

توصف الحضارة الغربية بأنها حضارة الإنسان الأبيض، فهى حضارة عرقية عنصرية

تؤكد على إعلاء الجنس الأبيض، وتكوين فلسفة استعمارية عنصرية تبرر سيطرة الإنسان الأبيض على بقية البشرية. وهى حضارة تعتقد فى أفضليتها على الحضارات الأخرى، ومن هنا تنزع إلى السيطرة والهيمنة والاستعمار بحجة تغيير الحضارات والثقافات الأخرى وتحويل الشعوب إلى تبنى أسلوب الحياة الغربى باعتباره الأسلوب الأفضل. وقد استغل الغرب نظرية الأجناس استغلالاً واسعًا لفرض هيمنة الرجل الأبيض على بقية الشعوب. فقد اعتقد فى عدم تساوى الأجناس البشرية، وتفوق الجنس الآرى على الأجناس الأخرى، واعتبر سيدًا للعالم وحاملاً للحضارة إلى شعوب العالم المختلفة. ومن المعروف اعتماد مفهوم الاستعلاء العنصرى على نظرية داروين القائلة بفكرة الانتخاب الطبيعى الذى يشبه الصراع بين البشر بالصراع بين أجناس الحيوان حسب قانون طبيعى يسحق القوى فيه الضعيف وتم تطوير فكرة عبء الرجل الأبيض ورسالة الحضارة إلى الأجناس الأخرى.

### د ـ حضارة الصراع والتحدى

أدت الأسس المادية البحتة للحضارة الغربية بالإضافة إلى الأساس العرقى إلى أن تبنى علاقة الحضارة الغربية بالعالم على أسس من فكرة الصراع والتحدى. فغياب القواعد الدينية والأخلاقية، وغياب البعد الإنسانى العام أديا إلى سيطرة نزعة التحدى والصراع على علاقة الحضارة الغربية بالعالم الطبيعى والعالم البشرى. واستطاعت الحضارة الغربية أن تقهر الطبيعة وتسخرها بالعلم والعقل لتحقيق المتطلب المادى للحياة الإنسانية. وجمعت الحضارة الغربية بين تحدى الطبيعة والصراع معها من أجل قيمها وبين تحدى الإنسان. وقد اتخذ هذا التحدى شكلين: التحدى الداخلى أى تحدى الإنسان الأوروبى لنفسه ولنظيره الأوروبى، والتحدى الخارجى والمقصود به الصراع مع الآخر غير الأوروبى وتحديه لمصلحة الجنس الأبيض وعلى حساب الأجناس الأخرى.

### هـ ـ حضارة مادية

تركز الحضارة الغربية على المادة وتوظيفها لتحقيق سعادة الإنسان بعيدًا عن أية

ضوابط دينية أو أخلاقية، وتكونت أخلاقيات مادية لا تتجاوز حدود المنفعة العملية وتنحصر معاييرها العليا لقياس الخير والشر فى النجاح المادى. واعتبرت المادة هى الوجود الأصلى للأشياء، وتطور مفهوم مادى حول الإنسان فرض سيطرته على الأخلاق بشكل أدى إلى تطور الصراع من أجل البقاء، وظهر مبدأ البقاء للأصلح وبالتالى إبادة الأجناس الأخرى غير المستحقة للوجود. وأصبحت المادة والقوة المادية والاقتصادية العنصر الفعال فى التاريخ الإنسانى، والأخلاق انعكاسًا للوضع الاقتصادى المتطور واعتبرت المادة الهدف الأساسى فى الحياة الإنسانية.

وقد أثر هذا على علاقة الحضارة الغربية بالحضارات الأخرى حيث تحولت الشعوب الأخرى إلى مشروع مادى ونشاط اقتصادى للغرب. ويمثل الشرق الآن فى مفهوم الغرب مصدر المواد الخام والعمالة الرخيصة وسوقًا للمنتج الغربى.

### و- حضارة قومية عرقية

تعتبر القومية أحد أهم العناصر المكونة للحضارة الغربية الحديثة فهى حضارة الرجل الأبيض الساعى إلى تحقيق سيادته وإبادة الشعوب الأخرى استنادًا إلى حق القوة وبدون مراعاة للأخلاق والفضائل.

والنزعة القومية بطبيعتها نزعة غير إنسانية لا تهتم إلا بتحقيق المصلحة القومية على حساب الإنسانية. والنتيجة النهائية وقوع الصراعات القومية التى أدت إلى حروب عالمية هدفها الانتصار لمجموعة من القوميات وتحقيق سيطرتها العالمية.

### ز- حضارة علمية عقلية تقدمية

هذه ثلاث صفات أساسية فى الحضارة الغربية وكلها مرتبطة بالمادة واستغلالها. فالعلم نتيجة عقلية تم إعمالها فى الطبيعة والكون من أجل تحقيق السيطرة على العالم الطبيعى لمصلحة جماعة قومية أو عرق بعينه. وهى حضارة تطورية متغيرة تؤمن بالتقدم والارتقاء المستمر وليس لها ثوابت سوى المادة. وحركتها العلمية والعقلية منفصلة عن الدين ومطورة لأخلاقيات مادية تخصها.

## ثالثا: طبيعة حضارات الشرق الأقصى

تعتبر الهند المهد الأول لعدد من الأديان والحضارات والفلسفات التى نشأت أصلاً فى شبه القارة الهندية، ثم انطلقت إلى بقية بلدان الشرق الأقصى لتصبح الهندوسية والبوذية من أهم ركائز الفكر الدينى والفلسفة فى الصين واليابان، بالإضافة إلى ما تم تطويره من ديانات وفلسفات محلية، وقد انتشرت الديانة البوذية انتشارًا واسعًا خارج حدود شبه القارة الهندية وتغلغلت فى فكر شعوب الشرق الأقصى، وتمكنت من تحقيق الوجود المستقل مع التكيف والتفاعل داخل بيئتها الجديدة فى الصين واليابان. وأصبحت بوذية الصين واليابان مستقلة عن بوذية الهند[1].

ويجب أن نلاحظ اتصال حضارات الشرق الأقصى بالديانات والفلسفات التى ظهرت فى هذه المنطقة، ولا يمكن فهم الفكر الحضارى بدون أصوله الدينية والفلسفية. ومن ناحية أخرى صبغت الحضارات بصبغة دينية وفلسفية متأثرة بأصولها؛ ولذلك من الممكن وصف هذه الحضارات بأنها حضارات دينية وفلسفية أخلاقية.

**ويمكن تحديد خصائص حضارات الشرق الأقصى فيما يلى:**

أ- أنها حضارات دينية أو فلسفية أخلاقية مرتبطة بالديانات والفلسفات الهندية والصينية واليابانية.

ب- أنها حضارات تجمع بين النظرية والتطبيق ولا تتوقف عند حدود التفكير الفلسفى النظرى، ولكنها تضع نظامًا وقواعد لعلاج مشاكل الإنسان الوجودية وتنعكس هذه النظم فى أساليب وأشكال حياتية تأخذ فى معظم الأحوال شكل الطقوس والشعائر العبادية.

ج- ظهور التصوف والزهد كطريق أو أسلوب أساسى لتحقيق الخلاص فى معظم

(١) انظر تفاصيل هذا في: محمد خليفة حسن، تاريخ الأديان، دراسة وصفية مقارنة، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٥٢.

ديانات الشرق الأقصى، وذلك باعتبار المادة هى أساس المشكلة الإنسانية. والعلاج هو التخلص من المادة من خلال هجر العالم المادى لتخليص الروح من سجنها المادى ورجوعها إلى جوهرها واتحادها فى الروح الكونية[١]. ويعتبر الزهد مرحلة ضرورية لتحقيق التقدم الروحى فهو الطريق المؤدى إلى هجر العالم المادى وضبط الرغبات المادية والسيطرة على الذات. وينتشر هذا التفكير فى الديانات الهندية مثل الهندوسية والبوذية[٢].

د - الاعتراف بالواقع الحياتى للإنسان ووضع نظام للسلوك الإنسانى يقوم على مبادئ أخلاقية محددة ويتم من خلال السياسة والإدارة. وتقوم الحضارة حول نوع من الفلسفة السياسية الاجتماعية التى تهدف إلى خلق إنسان مهذب السلوك، وتربية الحاكم من خلال تطوير نظم وأخلاقيات الحكم، وذلك داخل إطار رؤية تربوية أخلاقية للمجتمع ككل. ويغلب هذا التفكير فى حضارات الصين. وقد نتج عن هذا التوجه اهتمام بالأسرة كمؤسسة اجتماعية أساسية والاهتمام بتربية الحاكم فى السياسة والإدارة وخلق الحاكم الفاضل[٣].

## رابعًا: نقاط الاتفاق والاختلاف بين الحضارات

من خلال العرض السريع السابق لطبيعة الحضارات الإسلامية والغربية والشرقية تتضح نقاط الاتفاق والاختلاف التالية:

### أ- نقاط الاتفاق

١ - الاهتمام بالإنسان كمحور للحضارة ووضع تصور لمشكلاته الحياتية، ووضع تصور لعلاج هذه المشكلات. وتختلف الحضارات حول تحديد المشكلة والعلاج.

(١) محمد خليفة حسن، تاريخ الأديان، ص٢٩٨ .

(٢) H.Zimmer, philosophies of India, princeton Univ. press, 1969

(٣) المرجع السابق، ص ١١٢ - ١١٣، وانظر أيضًا:
Edwin A.Brutt, Man Seeks the Divine, A Study of the History and Comparison of Religion, Harper and Row, N.Y, 1970, p. 187.

٢- الاهتمام بوضع نظام للحياة الإنسانية ينظم العلاقات الإنسانية من خلال تشريعات أو قيم ومبادئ ذات طابع أخلاقى.

٣- الاهتمام بتحقيق سعادة الإنسان ورفاهيته انطلاقًا من فهم إنسانى لطبيعة الإنسان وعلاقته بالكون.

٤- الاهتمام بتحقيق خلاص الإنسان وهو خلاص يختلف من حضارة إلى حضارة حسب الفهم الحضارى للطبيعة الإنسانية وللمادة.

٥- الاهتمام بالجانب الروحى فى الحياة الإنسانية ورفع التناقض بين الجانبين الروحى والمادى.

٦- الاهتمام بالحياة المادية للإنسان، ويختلف هذا الاهتمام حسب رؤية كل حضارة للمادة وموقعها فى الحياة الإنسانية.

٧- الاهتمام بالجانب الأخلاقى فى حياة الإنسان، والاختلاف حول ماهية الأخلاق ومصدرها وموقعها داخل كل حضارة.

٨- الاهتمام بالعقل والعلم والإبداع، والاختلاف حول مكانة العقل ودوره فى كل حضارة.

٩- الاهتمام بالآخر المختلف ثقافيًا وحضاريًا، وتحديد العلاقة به داخل إطار عالمية الحضارة أو خصوصيتها.

**ب- نقاط الاختلاف**

١- الاختلاف حول مصدر الحضارة هل هو مصدر دينى خارجى يتضح فى الجانب الروحى، أم أن هذا المصدر وضعى، أى من وضع الإنسان؟. ومن هنا نشأ تصنيف الحضارات إلى حضارات دينية وحضارات وضعية، أو قائمة على أسس فلسفية إنسانية، أو على أسس أخلاقية من وضع الإنسان.

٢- الاختلاف حول وضع الأخلاق ومصدرها. ففى الحضارة الدينية، الدين هو

مصدر الأخلاق، بينما فى الحضارات الوضعية الإنسان هو مصدر الأخلاق. وفى هذه الحالة تكتسب الأخلاق صفة الثبات أو التغير حسب مصدرها.

٣- الاختلاف حول مكانة الإنسان داخل الحضارة فهناك حضارات تستند إلى الصفة الفردية فى الإنسان بينما تنظر بعض الحضارات إلى الإنسان داخل إطار الجماعة. وهذا يؤدى بدوره إلى الاختلاف حول حجم المسئولية الإنسانية وحول طبيعة الثواب والعقاب.

٤- الاختلاف حول طبيعة الإنسان وطبيعة الحياة الإنسانية، وبالتالى الاختلاف حول فهم طبيعة الخلاص الإنسانى ومفهوم السعادة الإنسانية وحول الدور الإنسانى فى تحقيق الخلاص.

٥- الاختلاف حول فهم العالم المادى وجوهر المادة، وبالتالى اتخاذ مواقف مختلفة من الحياة اليومية، وظهور اتجاهات دنيوية مادية فى مقابل اتجاهات زهديه وتقشفية، وتطوير نظم حضارية تعبر عن هذين الاتجاهين المتضادين.

٦- الاختلاف حول العلاقة بالآخر المختلف ثقافيًا وحضاريًا حسب بنية الحضارة وتوجهاتها العالمية أو الخصوصية. وقد نتج عن هذا إما التسامح الحضارى أو التعصب الحضارى، والاعتراف بالتعددية الثقافية أو عدم الاعتراف بها، والرغبة فى التعايش الثقافى أو الرغبة فى تحقيق الهيمنة الثقافية.

٧- الاختلاف حول طبيعة العلاقة بالطبيعة والإنسان، وهل هى علاقة ارتباط أم انفصال، وبالتالى هل هى علاقة التقاء أم صراع ؟

### خامسًا: هل العلاقات بين الحضارات علاقات التقاء أم تصادم؟

بعد هذا العرض المختصر لنقاط الاتفاق والاختلاف بين الحضارات نجيب على التساؤل المهم والأساسى والخاص بطبيعة العلاقة بين الحضارات، وهل هى علاقة التقاء وتفاعل، أم هى علاقة خصومة وتصادم ؟ وللإجابة على هذا التساؤل لا بد من الرجوع إلى طبيعة الحضارة ووظيفتها. فالحضارة نظام يرتضيه أهله لتنظيم أسلوب

حياتهم وفق مبادئ معينة مردودة إلى الدين أحيانًا، أو إلى الحكمة والأخلاق أحيانًا أخرى، ومردودة إلى مصدر خارجي (إلهي أو ميتافيزيقي) أو إلى مصدر وضعي إنساني. ووظيفة الحضارة تحقيق البناء الروحي (المعنوي) والمادي للإنسان وللجميع.

وداخل هذا الإطار المكون من النظام والبناء الروحي والمادي تكتسب كل الحضارات الطابع الإيجابي البناء بصرف النظر عن الخلفية الدينية أو الفلسفية أو الأخلاقية لهذه الحضارة. ويمكن الادعاء بأن الموقف الداخلي للحضارات موقف إيجابي بالضرورة فلا توجد حضارة تسعى إلى تدمير إنسانها ومجتمعها. أما الموقف الخارجي، أي الموقف من الآخر المختلف ثقافيًا وحضاريًا، فهو يختلف حسب طبيعة الحضارة من حيث ذاتيتها وخصوصيتها، أو من حيث عالميتها. فالحضارة المنغلقة على إنسانها عادة ما يكون موقفها من الآخر سلبيًا، أما الحضارة التي تدعي العالمية فعادة ما يكون موقفها من الآخر إيجابيًا. والحضارة من النوع الأول المنغلق على ذاته تكون عادة إيجابية لإنسانها ومجتمعها، وسلبية تجاه الآخر إنسانًا ومجتمعًا. أما الحضارة العالمية المنفتحة على الآخر ففي الغالب تكون إيجابية تجاه إنسانها وتجاه الإنسان الآخر المختلف ثقافيًا.

وفي النهاية نصل إلى نتيجة مفادها أن الحضارات تلتقي إذا كان موقفها من الآخر إيجابيًا ومتسامحًا في ظل اعتراف بالآخر وبحقه في الوجود والاختلاف، وأن الحضارات تتصارع إذا كان موقفها من الآخر سلبيًا ومنغلقًا في ظل عدم اعتراف بالآخر وبحقه في الوجود والاختلاف. ومعنى هذا أن الالتقاء أو الصراع الحضاري مرتبط بطبيعة الحضارات الإنسانية ودرجة انفتاحها أو انغلاقها ودرجة قبولها للآخر أو عدم قبولها له، ولكي ندلل على هذا الموقف يمكن أن نضرب بعض أمثلة من الواقع الحضاري للشعوب. فالحضارة التي تطورت عن الديانة الهندوسية والثقافة التي تطورت عن الديانة اليهودية كلتاهما تتصف بالذاتية والخصوصية التي أدت إلى تطور موقف سلبي من الآخر انتهى إلى عدم الاعتراف بالآخر. وبالتالي يمكن وصف العلاقة الثقافية بأنها علاقة صراع وعدم التقاء. والحقيقة أن هذا الانغلاق يبدأ من الداخل منطلقًا إلى الآخر المختلف ثقافيًا. فالهندوسية طورت نظام الطبقات الدينية بانعكاساته الاجتماعية والاقتصادية. وهو نظام ديني طبقي داخلي يصنف الشعب

الواحد داخليًا إلى عدة فئات دينية ذات طابع عنصرى لا يسمح بالحراك الاجتماعى والاقتصادى على أسس دينية[1]. أما الموقف من الآخر المختلف دينيًا وثقافيًا فهو موقف لا يعترف بهذا الآخر، ولا يسمح له بالانتماء إلى هذه الثقافة الخاصة، ولا يسمح له أيضًا بالالتقاء الثقافى. ويظهر هذا فى علاقة الهندوسية بالأديان الأخرى داخل شبه القارة الهندية مثل البوذية، رغم القرابة الدينية بينهما، ومثل الإسلام والمسيحية.

وهناك موقف مشابه من الثقافة اليهودية فهى ثقافة خاصة لجماعة خاصة. ويبدأ الانغلاق اليهودى أيضًا من الداخل. فالفرق الدينية اليهودية لا تعترف ببعضها البعض، وكل منها يدعى أنه الممثل الصحيح والأصلى للديانة والثقافة اليهودية. وهى تميل أيضًا إلى تكفير بعضها البعض تماديًا فى الانغلاق على الذات. أما الموقف من الآخر غير اليهودى فيقوم على أساس من إنكار الآخر وعدم الاعتراف به، ووضعه خارج إطار العهد والخلاص، من خلال الفهم العنصرى للخلاص، ويصل الموقف فى اليهودية إلى أن الآخر ممنوع من الدخول فى اليهودية، وهو مصدر عدم طهارة كأجنبى، وهو غير مُخَلَّص وليس من أهل العهد وليس من شعب الله المختار. والخلاص الذى يحدث لأهل العهد يقابله هلاك للأغيار أو الجوييم، والعلاقة مع الآخر علاقة صراع وليست علاقة التقاء، وعزلة الآخر هى الأساس، وهى ليست عزلة فردية لكنها عزلة جماعية تمخضت عن ظهور الجيتو اليهودى المعبر عن عدم الرغبة فى الاتصال والالتقاء أو الاندماج، كما يأخذ عدم الاتصال شكلاً دينيًا عندما يصبح الاتصال بالآخر مجلبة للدنس وعدم الطهارة الطقوسية[2].

ونضرب مثالاً على الالتقاء الحضارى بالوضع فى الحضارتين المسيحية والإسلامية. ففى الحضارة المسيحية فى فترة العصور الوسطى وقبل ظهور الحضارة الغربية الحديثة كان الموقف من الآخر موقفًا إيجابيًا. فالمسيحية ظهرت كرد فعل ضد اليهودية وانغلاقها وموقفها السلبى من الآخر. ولذلك رحبت المسيحية بالآخر، وأعطت عهدًا جديدًا

(١) محمد خليفة حسن، تاريخ الأديان، مرجع سابق، ص٧٨.
(٢) المرجع السابق، ص٢٠٠-٢٠١.

يعبر عن قبول الآخر فى مواجهة العهد القديم الرافض للآخر. وقد أصيبت المسيحية بنكسة داخلية مع ظهور المذاهب المسيحية الرافضة والمكفرة لبعضها البعض داخليًا على الرغم من إعلان قبول الآخر لدى كل من هذه المذاهب.

ويظهر الإسلام كدين يدعو إلى عالمية الإله الواحد وعالمية التوحيد وأخوة البشرية، وتحديد العلاقة بالآخر فى صورة إيجابية تمامًا تتخلص من كل المفاهيم العنصرية التى أفسدت علاقة الإنسان بالإنسان. وقد اكتسبت الحضارة الإسلامية مواصفات الدين الذى ارتبطت به ونتجت عنه. فهى حضارة إنسانية استوعبت الحضارات والثقافات الأخرى، واعترفت بالتعددية الثقافية والحضارية، وتسامحت مع الآخر تسامحًا أصيلاً استنادًا إلى قاعدة الأخوة الإنسانية ووحدانية الإله وعالميته. وقد اتصلت الحضارة الإسلامية بالحضارات الأخرى وتفاعلت معها، وتأثرت بها وأثرت فيها. ولم تُبن العلاقة بالآخر على أساس من الصراع، بل على أساس من الالتقاء والتفاعل. وقد حددت الآية القرآنية التالية طبيعة العلاقة بالآخر فهى علاقة البقاء استنادًا إلى الاشتراك فى نفس الأب والأم، وأن الاختلاف كان من أجل التعارف والالتقاء، وأن التقوى هى أساس التفضيل وليس العرق أو العنصر أو اللون أو غير ذلك. تقول الآية الكريمة موجهة الخطاب إلى جنس الناس عمومًا ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

وفى النهاية نؤكد على أن طبيعة الحضارات من حيث العالمية والخصوصية هى التى تحدد العلاقة مع الآخر وتجعل منه أخًا قريبًا، أو تجعل منه غريبًا أجنبيًا، وتجعل منه شريكًا فى العهد والاختيار والخلاص، أو موضوعًا للهلاك والإبادة نتيجة حرمانه من العهد، كما تجعل العلاقة مع الآخر علاقة التقاء واتصال أو علاقة خصومة وصدام.

أما الحضارة الغربية الحديثة فقد انفصلت عن الحضارة المسيحية مع نهاية العصور الوسطى والدخول فى عصر النهضة الذى يمثل بداية العصر الحديث. وهذا الانفصال عن التراث المسيحى أدى إلى اكتساب الحضارة الغربية مجموعة من الخصائص التى أبعدتها عن أصولها المسيحية، وعادت بها إلى أصولها الكلاسيكية الأولى قبل ظهور

المسيحية، وهى الأصول اليونانية الرومانية مضافًا إليها معطيات العصر الحديث متمثلة فى عناصر النهضة والتنوير، والعقلانية، والعلمانية، والديموقراطية.

ونتيجة لهذا التحول فى الفكر الغربى من العصور الوسطى إلى العصر الحديث أصيبت الحضارة الغربية بعدد من السلبيات التى أثرت على علاقتها بالحضارات الأخرى، وعلى علاقة الشعوب الأوروبية بالشعوب الشرقية.

**ومن أهم السلبيات ذات التأثير على العلاقة بالآخر:**

١- الشعور بالأفضلية والتميز فى مقابل الإيمان بدونية الآخر.

٢- الشعور بالتقدم والتطور فى مقابل تخلف الآخر وجموده.

٣- تطور التفكير العنصرى الذى يميز عرقًا بعينه هو العرق الآرى على بقية الأجناس البشرية.

٤- تطور الفكر القومى والرفع من شأن القوم على حساب البشرية ككل.

٥- تطور الفكر المادى والرفع من شأن المادة فى الحياة الإنسانية فى ظل علمانية لا تعترف بالدين ودوره فى حياة الإنسان.

٦- غياب الضوابط الدينية والأخلاقية وتطور مجموعة من القيم العلمانية المنفصلة عن الدين والأخلاق.

هذه الخصائص التى اكتسبتها الحضارة الغربية الحديثة أدت بها إلى الابتعاد عن الحضارات الأخرى، واتخاذ موقف الصراع معها تلبية لرؤية التحدى التى رفعتها الحضارة الغربية فى مواجهة الطبيعة من ناحية، والآخر المختلف حضاريًا من ناحية أخرى. وقد عبرت حركة الاستعمار العالمى فى العصر الحديث تعبيرًا عمليًا وتطبيقيًا عن هذه الرؤية النظرية للحضارة الغربية تجاه الشعوب والحضارات غير الأوروبية. فهى حركة استعمار مبنية على فلسفة عنصرية تؤمن بأفضلية الجنس الآرى وبعبء الرجل الأبيض صاحب الرسالة الحضارية إلى الشرق المتخلف لنقله من التخلف إلى المدنية.

## سادساً: الموقف الغربى المعاصر من الحوار الحضارى والدينى وإشكالياته

ونظراً لأهمية الحضارة الغربية الحديثة والمعاصرة فى تحديد طبيعة العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب نوضح فيما يلى إشكالية الموقف الغربى المعاصر كموقف صدامى يؤمن بحتمية الصراع بين الحضارة الغربية والحضارات الأخرى.

وتتمثل هذه الإشكالية فى أن هناك ازدواجية فى الموقف الغربى من الحوار أدت إلى فصل حوار الحضارات عن حوار الأديان، وأدت كذلك إلى الاعتقاد فى حتمية الصراع الحضارى من ناحية والصراع الدينى من ناحية أخرى.

فالغرب فى وقتنا الحالى ومنذ عصر النهضة الأوربية يعيش فى حالة ازدواجية أو ثنائية متناقضة. فالحضارة الغربية العلمانية لاتعترف بالدين، ولذلك لا يهمها الحوار بين الأديان وتركز على الحوار بين الحضارات كبديل للحوار بين الأديان. وفى نفس الوقت هناك الكنيسة المسيحية الغربية التى طورت مفهوم الحوار بين الأديان بعيداً عن الموقف الحضارى الغربى العلمانى. وهنا تختلف نقطة البداية فى الموقف الغربى. فالكنيسة تؤيد الحوار بين الأديان وتوظفه لأغراضها الدينية، والحضارة الغربية ترفض مبدأ الحوار بين الأديان، وتقول بالحوار بين الحضارات. وهذا القول بالحوار بين الحضارات ليس مطلقًا. فهناك الرأى الغربى القوى الذى يقول بالصدام بين الحضارات، ونعتقد أنه الرأى الأقوى، والذى يعبر تعبيراً حقيقيًا عن موقف الحضارة الغربية من الحضارات الأخرى. فالحضارة الغربية تؤمن إيمانًا قويًا بفكرة أو مفهوم الصراع والتحدى، وتعتقد أن الحضارة لا تنشأ إلا من خلال الصراع الإنسانى مع الطبيعة فى البداية، ثم الصراع بين البشر داخل الحضارة الواحدة، وكذلك الصراع مع البشر من أهل الحضارات المختلفة.

والمعروف أيضًا أن الحضارة الغربية تأخذ بمبدأ السيادة والهيمنة. ومن الطبيعى أن السيادة والهيمنة لايتمان إلا من خلال الصراع مع الآخرين من أهل الحضارات الأخرى. وخلال قرون الحضارة الغربية منذ عصر النهضة وتاريخ الحضارة الغربية هو تاريخ صراع مع الحضارات الأخرى. وقد اعتمدت الحضارة الغربية على مفهوم القوة، وتمكنت من فرض سيادتها بالقوة على الآخرين خلال المرحلة الاستعمارية، ولا تزال تحاول فرض هيمنتها بوسائل بديلة للقوة العسكرية خلال المرحلة التى نعيشها الآن.

هناك إذن ازدواجية واضحة فى الموقف الغربى من الحوار بين الحضارات والأديان إذ إن القطاع العلمانى فى الحضارة الغربية بحكم علمانيته فهو لا يقر بالحوار بين الأديان. والقطاع الكنسى يقبل الحوار بين الأديان. والموقف الغربى العام من الحضارات موزع أيضًا بين القول بالصدام بين الحضارات، والقول بإمكانية الحوار بين الحضارات.

ولاشك أن النظرية الغالبة اليوم فى الغرب هى نظرية «صدام الحضارات». وعلينا أن نتعامل مع الغرب من خلال هذه الحقيقة المتفقة مع طبيعة الحضارة الغربية القائمة على الصراع والقوة والتحدى، والمتفقة أيضًا مع تاريخ الحضارة الغربية فى علاقتها بالحضارات الأخرى. فهذا التاريخ تاريخ تصادمى ويشهد بقوة مفهوم الصراع والتحدى. فقد مارست الحضارة الغربية كل أشكال العنصرية ضد الحضارات الأخرى، وعملت على تحقيق هيمنتها على هذه الحضارات، إما من خلال الاستعمار وتطبيق سياسة التغريب، أو من خلال سياسة الإبادة للثقافات الوطنية كما حدث مع الثقافات الوطنية فى أمريكا الشمالية والجنوبية (ثقافة الهنود الحمر)، ومع الثقافات الشرقية فى الفترة الاستعمارية.

وعلى الرغم من ظهور بعض الأصوات العاقلة فى الغرب المعاصر والتى تنادى بالحوار بين الحضارات فإن الحضارة الغربية لن تؤمن إيمانًا حقيقيًا بالحوار إلا إذا غيرت من طبيعتها القائمة على أساس من القوة والصراع والتحدى، وهو أمر غير ممكن.

ومن وجهة النظر الإسلامية الحوار بين الحضارات امتداد للحوار بين الأديان ولذلك لا يصلح الحوار مع الحضارة الغربية بسبب استقلالها عن الدين وتنصلها منه. وهذا يجعل حوارها مع الحضارات الأخرى ليس له أصول أو ضوابط ميتاحضارية، أى ضوابط أو مبادئ أعلى كأن تكون دينية أو أخلاقية. ويشهد تاريخ العلاقات بين الحضارة الغربية والحضارات الأخرى بعدم وجود مبادئ للحضارة الغربية بخلاف المبادئ الذاتية التى طورتها الحضارة الغربية، وهى مبادئ القوة والهيمنة والإيمان بالصراع والتحدى. وهذه مبادئ تغلق باب الحوار مع الحضارات الأخرى؛ لأنها لاتعترف بالحضارات الأخرى وتعتبرها متدنية عن الحضارة الغربية، وبالتالى فهى مستحقة لأن تصبح خاضعة للحضارة الغربية وموضوعًا للهيمنة. فالوفاق ليس

موجودًا والتعايش ليس أصيلاً لأن التعايش الحضارى يقوم على أساس من الاعتراف بالآخر والاستعداد للتفاعل معه ، وتبادل الأخذ والعطاء بعيدًا عن سياسة الهيمنة. ومسيرة الحضارة الغربية منذ بدايتها إلى الآن تقول بعكس هذا تمامًا.

إن الحوار بين الحضارات لا بد وأن تتوفر له قاعدة دينية أو أخلاقية أو دينية أخلاقية معًا. ومثل هذه القاعدة ليست متوفرة فى الحضارة الغربية من حيث المبدأ حيث يصر الغرب على استقلالية الحضارة الغربية عن الدين والأخلاق. فهى، منذ عصر النهضة الأوربية، انفصلت عن الدين من ناحية، وابتعدت عن الأخلاق ذات المصدر غير الإنسانى أو المرتبطة بفكر دينى. ومن خلال هذه الاستقلالية عن القاعدة الدينية والأخلاقية طورت لنفسها قيمًا يمكن أن نسميها قيمًا علمية، أو علمانية، أو دنيوية ليست لها مصادر خارج ذاتها. وقد اتخذت هذه القيم الغربية صفة الصراع ، فهى قيم دافعة إلى التحدى والصراع، وتوظيف القوة لخدمة أهلها وعلى حساب غيرها من الحضارات والثقافات. بل هى قيم تؤمن بالتميز والأفضلية وعلى أسس عرقية فى المقام الأول تم من خلالها تحديد موقف الحضارة الغربية من الحضارات الأخرى، فوصفت نفسها بصفات التفوق والتميز والتقدم والقوة والهيمنة، وحددت للحضارات الأخرى مكانها المتدنى من الحضارة الغربية. فهى من خلال هذا المفهوم حضارات متدنية متخلفة يجب غزوها وإخضاعها وبخاصة أن لديها قابلية للخضوع والاستعمار، وتكونت فلسفة غربية استعمارية داخل الحضارة الغربية تقوم على فلسفة القوة والتحدى والصراع، والاعتقاد فى الأفضلية العرقية والتميز والتفوق، وبالتالى حق السيطرة والهيمنة على الحضارات الأخرى.

ونعتقد أن السبب الرئيسى فى تطور مفهوم صراع الحضارات فى الغرب هو هذا الاعتقاد فى أفضلية الحضارة الغربية وتقدمها ودونية الحضارات الأخرى وتخلفها ، وتطور ما يسمى بعبء الرجل الأبيض ، وهو عبء حضارى ألقى على الحضارة الغربية مسئولية نشر التحضر والمدنية فى العالم ، وفرض الأسلوب الحضارى الغربى لأنه الأحسن والأفضل والأنسب لكل الشعوب. وبهذا الشكل وضعت الحضارة الغربية نفسها فى موضع الصدام مع الحضارات الأخرى، واتصف تاريخ علاقتها

بالحضارات الأخرى بصفة الصراع من أجل تحقيق بقاء الأصلح ، وكانت هذه هى الفلسفة الاستعمارية للحضارة الغربية خلال القرون الأخيرة .

إن غياب القاعدة الدينية والأخلاقية فى الحضارة الغربية هو الذى دفع بها دفعًا إلى التصادم مع الحضارات الأخرى . كما أن اختلاف طبيعة الحضارة الغربية عن معظم الحضارات الأخرى هو الذى أدى إلى حدوث التصادم والإيمان بالصراع، والاتجاه نحو الهيمنة وفرض السيادة والأخذ بمفهوم العبء الحضارى ، والاعتقاد فى قابلية الحضارات الأخرى للانصياع والخضوع للحضارة الغربية .

وفى مقابل غياب القاعدة الدينية والأخلاقية فى الحضارة الغربية اتخذت الحضارات الأخرى لنفسها قاعدة دينية ، أو أخلاقية ، أو دينية أخلاقية معًا أدت بها إلى تحديد موقف من الآخر يتناسب مع هذه القاعدة الدينية الأخلاقية . وهذا الموقف من الآخر يجعل الحوار معه قائمًا على أسس ومبادىء مستمدة من الدين أو الأخلاق أو الاثنين معًا . ويمكن بشكل عام أن نقول بأن حضارات الشرق الأقصى اتخذت من القاعدة الأخلاقية أساسًا للحياة وللتعامل مع الآخر . أما ديانات التوحيد فى الغرب، وهى اليهودية والمسيحية فليس لها تأثير على تحديد العلاقة بالآخر والعلاقة بالحضارات الأخرى لسبب بسيط جدًا وهو أن الحضارة الغربية ابتلعت اليهودية والمسيحية وهيمنت عليها، وقضت على القيم الدينية والأخلاقية التابعة من هاتين الديانتين ، وفرضت على الغرب حياة لا علاقة لها بالدين والأخلاق، وطورت للإنسان الغربى بديلاً عن القيم الدينية والأخلاقية اليهودية والمسيحية ، وهو مجموعة القيم الحضارية العلمانية التى تقدس المادة والعقل والعلم ، وتجعلهم جميعًا مصادرها للأخلاق والقيم النسبية المتغيرة من ناحية وذات الطابع الأنانى النفعى من ناحية أخرى . وهى قيم منغلقة على ذاتها، وهدفها إسعاد إنسانها وتحقيق الشقاء لغير إنسانها؛ ولذلك تطور موقف حضارى غربى من الآخر يقوم على المادية والنفعية ، ويعمل على تحقيق الهيمنة والرغبة فى فرض هذه القيم على الآخرين ، وإخضاعهم للأسلوب الحضارى الغربى .

وقد فقد الغرب قيم اليهودية والمسيحية ولا يمكن القول بأن الحضارة الغربية استوعبت هذه القيم وهضمتها ، بل على العكس لقد عملت على التخلص منها ، وفى

عنفوانها أجبرت الحضارة الغربية الديانتين اليهودية والمسيحية على التغير من خلال تبرير الفلسفة الحضارية الغربية وتغيير المواقف الدينية لصالح الغرب وحضارته ، وأيضًا من خلال علمنة اليهودية والمسيحية ، وليس للديانتين أية سلطة تأثيرية على الحضارة الغربية . ولا ننسى أن صراع الحضارة الغربية بدأ صراعًا داخليًا بين القيم الدينية والأخلاقية لليهودية والمسيحية والقيم الناشئة للحضارة الغربية بعد استقلالها عن المصدر الدينى والأخلاقى وهو المصدر اليهودى المسيحى . ومن الصعب أن نقول الآن بأنه يوجد حضارة يهودية أو حضارة مسيحية فى الغرب لأن الحضارة السائدة والمهيمنة هى الحضارة الغربية العلمانية اللادينية . وعلينا أن نخرج على حدود الغرب إذا أردنا أن نبحث عن ثقافة يهودية أو ثقافة مسيحية . ولا يزال الصراع موجودًا فى الغرب رغم الانتصار الساحق للعلمانية ، فلا تزال الدوائر الدينية اليهودية والمسيحية بمذاهبها المختلفة تصارع من أجل البقاء داخل أرضها .

ولم تقف الحضارة الغربية عند حدود الصراع الداخلى مع الدين ، ولكنها نقلت هذا الصراع إلى خارج الغرب ، وآمنت بضرورة الصراع وحتميته مع الحضارات الأخرى ، وهو صراع أزلى البقاء فيه للأصلح . ونظرًا لأن الحضارات الأخرى فى معظمها حضارات ذات أصول دينية وأخلاقية ؛ فالحرب المعلنة هى حرب على الأديان والنظم الأخلاقية قبل أن تكون حربًا على الحضارات ذاتها ، لأن الاعتقاد سائد فى أن القضاء على الأصول الدينية والأخلاقية يمهد الطريق للهيمنة على الحضارات الأخرى والانتصار فى الصراع ضدها . ولابد من عزل هذه الحضارات عن أصولها الدينية والأخلاقية ثم الانقضاض عليها وإخضاعها فى حالة عدم التمكن من إبادتها .

ويعطى تاريخ الحضارة الغربية منذ عصر النهضة الدليل القاطع على سيطرة مفهوم الصراع داخليًا وخارجيًا، داخليًا من أجل إتمام عزل الحضارة الغربية عن أصولها الدينية والأخلاقية والتخلص من البؤر الثقافية الغربية داخل الحضارة الغربية، والقضاء على التنوع الثقافى ، وتحقيق الوحدة الحضارية الغربية بالقوة، ثم الانتقال بمفهوم الصراع إلى الخارج لفرض النمط الحضارى الغربى على الشعوب غير الغربية إما بالقضاء على الأساليب الحضارية الوطنية أو الإقليمية وإبادتها، أو بتشويهها أو بتغريبها . وكل هذا لايتم إلا من خلال الإيمان بالصراع وحتميته والقول بصدام الحضارات لا بالتقائها .

***



## الفصل الثانى

# فضل الحضارة الإسلامية على الحضارات الأخرى وبخاصة الغربية

أولاً: نظريات الصراع وانكار فضل الحضارة العربية والإسلامية على الحضارة الغربية.

ثانياً: دور الحضارة الإسلامية فى تكوين الحضارة الغربية.

## فضل الحضارة الإسلامية على
## الحضارات الأخرى وبخاصة الحضارة الغربية

### أولاً: نظريات الصراع وإنكار فضل الحضارة العربية والإسلامية على الحضارة الغربية

لم يتوقف الاستشراق الغربى من خلال نظريات الصراع عند حد نكران فضل الإسلام والحضارة الإسلامية على الغرب وحضارته وسعيه إلى تشويه صورتهما فى ذهن الغربى، إمعانًا فى إبعاد الإنسان الغربى عن التعرف على الحقيقة. . . بل لقد وصل السقوط الأخلاقى للاستشراق إلى حد استلاب العقل المسلم، ونسبة منجزات هذا العقل إما إلى مصادر غربية قديمة مثل المصدر اليونانى، أو سرقة هذه المنجزات ونسبتها إلى مصادر غربية حديثة. ومن المعروف فى التأريخ لمسيرة العلم فى الغرب تجاهل المرحلة الإسلامية فى هذا التأريخ، والقفز مباشرة من المرحلة اليونانية إلى المرحلة الأوربية الحديثة، حتى يبدو تاريخ العلم أوروبيًا غربيًا خالصًا، ولا فضل لحضارات أخرى، أو لشعوب أخرى عليه قديمًا أو حديثًا، حيث يمتد هذا التجاهل إلى إنكار فضل الحضارة الشرقية القديمة على الثقافة اليونانية، ثم إنكار فضل الحضارة الإسلامية وتجاهل دورها العظيم فى نقل الثقافة اليونانية والحفاظ عليها وتطوير العلوم، ثم تجاهل تأثير العلم الإسلامى على العلم الغربى إبان عصر النهضة الأوروبية كركيزة من ركائز التقدم العلمى فى الغرب ودعامة من دعاماته الأساسية.

وقد لجأ الغرب بواسطة الاستشراق إلى وسائل غير أخلاقية فى نقل الثقافة العلمية الإسلامية إلى الغرب مؤداها استلاب المنجز العلمى الإسلامى والتعتيم على أصوله الإسلامية ومنهجيته الإسلامية، وتقديمه إلى الغرب فى صورة المنجز الغربى فيما يعتبر أكبر عملية احتيال علمى فى تاريخ البشرية وأكبر عملية تضليل وتشويه فى تاريخ العلوم.

ويشير محمد ياسين عريبى إلى العملية الفكرية التى مرت من خلالها عملية استلاب العقل المسلم حيث يتحدث عن مرحلة استيعاب الغرب للعلم الإسلامى، وتبنيه للعقل التاريخى العربى فى العصر الوسيط، ثم انتقال الغرب من مرحلة التبنى والاستيعاب إلى مرحلة التمثيل والاستلاب. لقد تملك الغرب العقل التاريخى العربى عن طريق الترجمة اللاتينية للأعمال الإسلامية العربية ثم تمثله من خلال الصراع معه لمدة تزيد على خمسة قرون، وهو العقل المكتوب الذى اعتمدت عليه الجامعات الأوروبية. وللتحقق من ذلك يمكن الرجوع لمحاولة فهم هذا العقل من خلال مؤلفات العصر الوسيط التى تذكر بها أسماء الكتب العربية وأسماء أصحابها ونصوصها. ويعطى عريبى ما يشبه الإحصاء لهذا الفهم كما تمثله ديكارت حين أخذ نظرية الفهم عن ابن سينا وكانط الذى أخذ نظرية العقل عند الغزالى، وهما النظريتان اللتان حددتا صورة الفكر الأوربى من خلال الدمج والتركيب والتحليل، والتركيب والتحليل، والتحليل فى التركيب[1]. وقد اعتمد عريبى فى تقديمه لنموذج تغريب العقل التاريخى العربى على مطابقة النظريات العلمية الإسلامية والنتائج المترتبة عليها على النظريات التى طورها الغرب اعتماداً على النظريات العربية فى إشارة إلى عملية تثبيت العقل والفهم العربيين من ديكارت فى الفكر الأوربى الحديث إلى الفكر المعاصر. ويلاحظ أن هذه العملية التثبتية للعقل العربى استوعبت جل النظرية العقلية الغربية واشترك فيها كبار فلاسفة الغرب المكونين لتراثه العقلى فى العصر الحديث بداية بديكارت وكانط ومروراً بلايبنتز وهيوم وهيجل ونيوتن وفتجنشتين ورسل وهيدجر.

ويشير عريبى إلى أن الصراع الغربى مع العقل التاريخى العربى استمر منذ تبنيه وفهمه وتغريبه بعد تمام عملية ترجمة هذا العقل إلى اللاتينية والعبرية واللغات الأوربية فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر. وأن القرن السابع عشر شهد بداية تغريب العقل التاريخى العربى واستيعابه. ويعتبر ديكارت ممثلاً لبداية مرحلة التغريب والتطبيع. وهى عملية كان القصد منها تغطية عملية الاحتواء بالدمج بين الأفكار المتعارضة للمفكرين المسلمين، وبعدم ذكر أسماء أصحاب النظريات المسلمين كما فعل ديكارت فى تطويره لنظرية «الكوجيتو» لكى تبدو وكأنها من صنعه وإبداعه دون ردها إلى

(١) محمد ياسين عريبى، الاستشراق وتغريب العقل التاريخى، ١٩٩٣، ص١١٨، ١٢٥.

مؤسسيها المسلمين، وكذلك يتم تطبيع التغريب برد النظريات إلى شخصيات غربية دون تأصيل مصادر النظرية عندهم واستبدال بعض المصطلحات، والإمعان فى التركيب لإخفاء أصول النظريات، وتوجيه النقد إلى المتبنين للأفكار العربية بدلاً من توجيهه إلى أصحاب النظريات العرب لتحقيق تطبيع تغريب الفهم والعقل معًا، ومنها التوسع فى التركيب وإكمال النظريات بجوانب أخرى من عند مفكرين مسلمين آخرين، والتطبيع عن طريق اختلاق صراع مصطنع مع شخصيات علمية غربية، ومنه أيضًا محاولة الاختلاف والتميز، وأيضًا تغيير المسميات، ورد النظريات إلى فلاسفة غربيين والوقوف عندهم على أنهم واضعو هذه النظريات دون ردها إلى مصادرها الأصلية. ويعتمد التغريب المعاصر على ديكارت كجسر يربط الفكر اليونانى القديم والأوربى الحديث والمعاصر بدون الرجوع إلى الفكر العربى الإسلامى أو الإشارة إليه[1].

ولا يخفى على الفاحص المدقق فى هذه العمليات التطبيعية التغريبية ما تنطوى عليه من وسائل غير أخلاقية مؤداها تحقيق استلاب الفكر العربى، وإنكار فضل أصحابه، وتجاهل منجزاتهم وسرقتها، ونسبتها إلى شخصيات فكرية غربية. فهى تشير إلى خيانة عظيمة لتاريخ العلم وغياب قاتل للموضوعية العلمية، وغياب أخلاقيات العلم والبحث العلمى، وانتهاك للأمانة العلمية، وسلب لتراث الشعوب الفكرى، وخداع وتحايل وتغيير لطبيعة المعرفة ولسبل انتقالها. ولعل المؤسف فى هذه العملية الاستلابية للفكر أن مرتكبيها هم أعظم مفكرى الغرب منذ ديكارت وحتى العصر الحالى بما يعنى أن عصرًا غربيًا بأكمله فى تاريخ العلم والفكر قام على أساس من النهب الصريح والواضح لمنجزات المسلمين العلمية وعلى يد نخبة من مفكرى الغرب منذ القرن السابع عشر.

ومسئولية الاستشراق فى عملية تغريب العقل العربى مسئولية مباشرة. فالاستشراق والتصير من أهم الوسائل الفكرية لتغريب العقل التاريخى العربى فى الفكر الأوربى. فالاستشراق عمل فى البداية كحركة ترجمة لمنجزات العقل العربى إلى اللاتينية واللغات الأوربية، وهو الذى تبنى واستوعب هذه المنجزات، وكذلك أسهم فى تطبيع

(١) المرجع السابق، ص١٢٥، ١٢٧.

تغريب العقل العربى . ويلخص عريبى عملية الاستيعاب والتبنى والتمثيل والاستلاب فى قوله : « إن كتب التهافت، وتهافت التهافت، والمنقذ من الضلال، والإشارات والتنبيهات، والمباحث الشرقية تمثل فى واقعها صورة مجملة لحقيقة العقل التاريخى العربى فى العصر الوسيط، ناهيك عن معرفة العصر الوسيط بعلوم العقيدة أى علوم القرآن والحديث . ومما تجدر الإشارة إليه أن الجامعات الأوربية بدأت منذ هذا العصر تتميز بتخصصها فى استيعاب العقل التاريخى العربى حيث اهتمت أول جامعة فى إنجلترا - ونعنى بها جامعة أكسفورد - منذ البداية بالعلم التجريبى العربى متخذة من كتاب علم المناظر للحسن بن الهيثم - الذى ترجمه فيتلو - المثل الأعلى والأنموذج لدراسة العلم التجريبى، وهذا ما فعلته جامعة كمبردج فيما بعد . ومن هنا يتضح سبب تميز المدرسة الإنجليزية بالاتجاه التجريبى حتى يومنا هذا . أما فى فرنسا فقد اهتمت جامعة باريس بالكتب الفلسفية العربية ودراستها . وقد تميزت الجامعات الإيطالية بالطب العربى ودراسته بسبب ترجمة هذه الكتب منذ فترة مبكرة فى ساليرنو - أما ألمانيا فقد اهتمت هى الأخرى بالفلسفة والتصوف مما كان سببًا فى ظهور الفلسفات النقدية والمثالية ... «ومع ظهور خمسة مراكز أساسية للترجمة وهى طليطلة وأكسفورد ونابولى وصقلية والبلاط البابوى بروما والقسطنطينية، ومع إدخال تعلم اللغة العربية فى جامعات باريس واكسفورد وبولونيا وسلمنكا انتهت جهود هذه المراكز والجامعات إلى تمثل واستلاب العقل التاريخى العربى فى عصر النهضة وهى السبب فى النقلة للحضارة الأوربية من العصر الوسيط إلى العصر الحديث»[1] .

ويعقب عريبى أن العقل العربى المكتوب انتقل من الشرق إلى الغرب . «وبحكم أوهام الزمان المصاحبة للمركزية الغربية تم توظيف فعل هذا العقل فى صورة تبنى واستيعاب وتمثل واستلاب وتغريب فاغتراب، بل بلغ الأمر مداه حينما بدأ الغرب المعاصر فى توظيف هذا التغييب والتغريب بإحداث قطيعة بين العربى وإنسانيته فى تقنين حركة تاريخية وتطبيعها، وكأن قوانين هذا الإنسان جزء من قوانين الطبيعة»[2] .

(١) المرجع السابق، ص١٣٢ .
(٢) المرجع السابق، ص٢٢٤ .

وبهذا الاستلاب للفكر العربى تزداد أزمة الاستشراق الأخلاقية حدة [1]. فقد تسبب الاستشراق فى إحداث القطيعة بين الفكر الأوربى وأصوله العربية. وقد أخطأ الاستشراق مرتين: الأولى حين أنكر أصالة الفكر العربى ورده إلى أصول يونانية، والثانية حين استلب الفكر العربى وبنى على أساسه نهضة الغرب الحديثة دون الاعتراف بفضل الفكر العربى بل وإنكار هذا الفضل من خلال عملية التبنى، والاستيعاب، والتمثل والاستلاب والتغريب والاغتراب، ويتمادى الاستشراق فى سلوكه اللا أخلاقى حين يجمع بين الاستلاب والاستعمار " حيث دعا إلى استعمار الشرق وهيأ المناخ لاستعمار الأرض والعقل العربيين بداية من أ دموند لول إلى مكسيم رودنسن. وبفعل التنصير والاستشراق تمكن الغرب من تثبيت دوران حركة تطبيع التغريب التى ظهرت فى صورة الاستعمار للأرض والعقل العربيين معًا» [2].

لقد أخطأ الاستشراق أخلاقيًا مع العرب المسلمين مرتين: الأولى حين استلب منجزات العقل العربى بعد تبنيها واستيعابها وتمثلها وحين انتحل الجهود العقلية العربية فى العصر الوسيط وادعاها لنفسه وهو بلا شك عمل من أعمال النهب والسلب تم بتطبيق عدة من وسائل الاحتيال الفكرى التى أشرنا إلى بعضها وسنشير إليها تفصيلاً فى مكان آخر من هذا البحث. والخطأ الأخلاقى الثانى الذى ارتكبه الاستشراق فى حق العرب والمسلمين أنه بعد استلاب فكرهم وعقلهم حاول فى القرون الأخيرة تفريغ العقل العربى من فكره ومضامينه، وإحلال المفاهيم الغربية مكانها فيما يعرف بتغريب الفكر العربى الإسلامى، وإخضاعه للفكر الغربى وقيمه المادية. وهكذا بعد أن استلب الفكر الغربى معطيات العقل العربى وأدخلها بعد انتحالها فى فكره وتسببت فى نهضته العلمية الحديثة عاد ليفرض هيمنته الثقافية على العقل العربى الحديث بتفريغه من مفاهيمه الأساسية وتغريبه بإخضاعه للعقل الغربى بعد فساده وإغراقه فى المادية والإلحاد. ويناقض الغرب نفسه حين يفرض الفكر الغربى المادى الإلحادى على العقل العربى الحديث، وحين يفرض الجناح التنصيرى للاستشراق الرؤية الدينية النصرانية

(١) محمد خليفة حسن، أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ٢٠٠٠م، ص٣٦٣.
(٢) المرجع السابق، ص١٢٧.

على المسلمين. ولا غرابة فى هذا التناقض؛ فالغاية تبرر هذا التناقض. فقد اتفق الاستشراق والتنصير على إخراج العربى المسلم من فكره ودينه بصرف النظر عن النجاح فى تنصيره أو الفشل فى ذلك. فالهدف تفريغه عقليًا ودينيًا[1]. ألم يقل "زويمر": أن المسلم لا يستحق النصرانية، وأصبح هدف التنصير عنده إخراج المسلم من دينه ليصبح لا دينيًا، وهو نفس هدف الاستشراق العلمانى السائد فى الغرب بعد هجر الدين.

## ثانيًا: دور الحضارة الإسلامية فى تكوين الحضارة الغربية

من الأمور المجهولة بالنسبة للأوربيين والأمريكيين الدور الذى لعبته الحضارة الإسلامية فى بناء النهضة الأوربية وتشكيل العقل الأوربى الحديث وبالتالى فى تكوين الحضارة الأوربية الحديثة والمعاصرة. وللحد من تأثير نظرية صراع الحضارات فى الوقت الحالى لابد من التعريف بهذا الجانب المجهول فى تاريخ الحضارة الغربية الحديثة. وذلك لأن أصحاب نظريات الصراع نجحوا فى تصوير الحضارة الإسلامية على أنها حضارة غريبة على العقل الأوربى، وأنها حضارة متخلفة ومتدنية عن الحضارة الغربية، وأنها فى النهاية حضارة مهددة للغرب وللحضارة الغربية. وهذه النتيجة مبنية على أساس من جهل شائع فى الغرب بالحضارة الإسلامية وعلاقتها بالحضارة الغربية، وأيضًا مبنية على أساس من عملية تعتيم على دور الحضارة الإسلامية فى صناعة الحضارة الغربية. وهى حقيقة يعرفها علماء الغرب معرفة جيدة، ولكن شاءت القوى السياسية المناهضة للعالم الإسلامى أن تشوه هذا الجانب الإيجابى فى تفاعل الحضارتين، ويصل التشويه إلى ذروته فى تطوير نظرية تخلف الحضارة الإسلامية وتهديدها للحضارة الغربية، وهى جزء لا يتجزأ من مرض أو ظاهرة "الإسلاموفبيا" التى انتشرت فى الغرب عن طريق الإعلام الغربى الهادف إلى إفساد العلاقات الإسلامية الغربية، وتصوير الإسلام وحضارته فى صورة الخطر الجديد المهدد للغرب وحضارته بعد سقوط الشيوعية.

---

(١) محمد خليفة حسن، أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر، مرجع سابق، ص٣٦٤ .

ومن المعروف أن فترة ازدهار الحضارة الإسلامية يقابلها فى الغرب ما يسمى بالعصور المظلمة، وهى فترة تبدأ قبل ظهور الإسلام بقرنين تقريبًا وتمتد حتى بداية عصر النهضة الأوربية. ويحدد الدكتور سعيد عاشور فترة العصور المظلمة الأوربية من القرن الخامس الميلادى وحتى نهاية القرن الحادى عشر الميلادى. وهى فترة من التخلف الحضارى الذى نتج عن سقوط الإمبراطورية الرومانية وقيام عدد من الممالك الجرمانية التى أقامتها بعض شعوب البرابرة[1]. ومع ذلك فالنهضة العلمية الحقيقية لم تكتمل إلا مع بداية عصر النهضة الأوربية فى القرن الخامس عشر والدخول فى العصر الحديث من التاريخ الأوربى، ووضع نهاية لمرحلة العصور الوسطى بمشاكلها الرئيسية وأهمها مشكلة الصراع بين البابوية والإمبراطورية والتى انتهت إلى الفصل بين الدين والدولة، أو الفصل بين السلطتين الدينية والدنيوية. والمشكلة الثانية التى ميزت مرحلة العصور الوسطى هى مشكلة الصراع بين الكنيسة والعلم والتى انتهت أيضًا بانتصار العلم. وكما هو واضح دخلت أوربا عصر نهضتها الحديث على حساب الدين وأصبحت العلمانية هى أبرز معالم الحضارة الأوربية الحديثة، فهى حضارة لا دينية تقوم على أساس الفصل بين الدين والدولة، وتصل إلى ذروة موقفها السلبى من الدين فى عدم الاعتراف بأى دور له فى حياة المجتمع، وبتحويل الدين إلى شأن شخصى من شئون الإنسان ولا يجب أن يكون له دور فى تسيير المجتمع الإنسانى العام.

ويلخص الدكتور عاشور الوضع الحضارى العالمى خلال هذه الفترة بقوله[2]: «وهكذا نجد أنه فى الوقت الذى أخذ المسلمون يقيمون بناء حضاريًا شامخًا ويسيرون بالحضارة البشرية سريعًا فى طريق التقدم والعمران، ويضربون فى التاريخ مثلاً فريدًا فى حرية الفكر وسرعة التطور، كان الغرب الأوربى يئن تحت كابوس ثقيل من الجهل والتأخر والانحطاط الأدبى والعلمى والفنى. ويمثل للفارق بين علم الخلفاء المسلمين والنبلاء والأمراء الأوربيين بأنه فى الوقت الذى اطلع فيه الرشيد والمأمون على خبايا الفلسفة اليونانية والفارسية «كان شارلمان ونبلاؤه فى الغرب الأوربى يحاولون أن يتعلموا كيف يكتبون أسماءهم»[3].

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور، المدنية الإسلامية وأثرها فى الحضارة الأوربية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٣م، ص٣٧.
(٢) المرجع السابق، ص٤١.
(٣) المرجع السابق، ص٤١.

وفى أواخر القرن الحادى عشر يكتشف الغرب الجاهل المظلم حقيقة الحضارة الإسلامية فيهرع طلاب العلم والمعرفة من مختلف أنحاء الغرب الأوربى إلى مراكز الحضارة الإسلامية، ويقومون بترجمة مؤلفات المسلمين ويحاكون الفنون والعلوم الإسلامية، الأمر الذى أدى فى النهاية إلى قيام حركة حضارية شاملة أطلق عليها اسم النهضة الأوربية الوسيطة والتى وقعت خلال القرن الثانى عشر الميلادى قبل أن تنطلق أوربا إلى نهضتها الشاملة مع بداية العصر الحديث ونتيجة لازدياد الاتصال الحضارى بين غرب أوربا ومراكز المدنية الإسلامية لتقوم حضارة أوربا الحديثة على أساس واضح من المدنية الإسلامية بجميع فروعها[١].

وكانت إسبانيا أحد أهم معابر الحضارة الإسلامية إلى أوربا. فقد حقق المسلمون نهضة إسبانيا حتى صارت أغنى الأقطار الأوربية وأكثرها مدنية وكانت مدينة قرطبة من أعظم مدن العالم المتحضر. وأقبل الاسبان على العلم العربى، ونشطت حركة الترجمة التى استمرت حتى القرن الخامس عشر وذلك من العربية إلى اللاتينية. وكانت صقلية تمثل المعبر الثانى لعلوم المسلمين إلى الغرب الأوربى ثم تأتى الحروب الصليبية ليكون لها دور مهم فى نقل مظاهر الحضارة الإسلامية إلى الغرب الأوربى فى العصور الوسطى حيث نشأت صلات سياسية وحضارية وتجارية بين الشرق الإسلامى والغرب المسيحى. ومع ذلك فالدور الصليبى لم يكن مؤثرًا بسبب عدم اهتمام الصليبيين بالعلم، وانشغالهم المستمر بالحرب ولم تتح لهم فرصة الاتصال السلمى بالعرب الذى يسمح لهم بالوقوع تحت التأثير الحضارى للمسلمين، ولكنهم بالتأكيد انبهروا بالحضارة الإسلامية. وقد أورد أسامه بن منقذ العديد من مظاهر التخلف الصليبى، ومن حكايات الانبهار الصليبى بالعلم الإسلامى وبخاصة فى مجال الطب والصيدلة[٢].

وفى عصر النهضة الأوربية تصبح الحضارة الإسلامية إحدى الروافد الأساسية للنهضة، والتى ارتبطت فى الجانبين العلمى والفلسفى برافدين : التراث اليونانى

(١) المرجع السابق، ص٤٥ .

(٢) أسامة بن منقذ، كتاب الاعتبار، طبعة برنستون، ص، ١٣٢ وانظر أيضًا :

M. Khalifa Hasan, The Crusader in The Memoirs of Usama ibn Munqidh, The Bulletin of Oriental Studies, Cairo, 1990.

والتراث العلمى العربى والإسلامى، وذلك من خلال حركة ترجمة منظمة وواسعة للتراثين اليونانى والإسلامى. والفضل الإسلامى على الحضارة الأوربية فضل مركب. فالمسلمون هم الذين حفظوا التراث اليونانى الكلاسيكى من الضياع وذلك من خلال الحصول على نصوصه وحفظها وترجمة جزء منها إلى اللغات العربية والسريانية والعبرية. وأصبحت التراجم السامية للتراث اليونانى ذخيرة مهمة اعتمدت عليها أوربا فى تحقيق نهضتها بالإضافة إلى ما نقلته عن التراث العربى الإسلامى. ونشطت حركة الترجمة المنظمة للتراثين اليونانى والعربى إلى اللغة اللاتينية عن طريق اللغة العربية التى لعبت دورين مهمين فى تاريخ الحضارة الغربية الحديثة. الدور الأول أنها، بصفتها لغة العلم الأولى فى العالم، كان على علماء أوربا أن يتعلموها حتى ينقلوا عنها علومها، والأمر الثانى أن ينقلوا عنها بعض ما احتفظت به العربية من تراث اليونان. وأصبح المركزان الأندلسى والصقلى من أهم مراكز الترجمة من العربية إلى اللاتينية.

وقد اتسع مجال التأثير العربى الإسلامى فى الحضارة الأوربية ليشمل مجالات العلوم التجريبية كلها، ومن أهمها الرياضيات والطبيعة والكيمياء والطب والصيدلة وعلم النبات والفلك والجغرافيا، وتجاوز ذلك إلى مجال الفنون والآداب والأخلاق والفلسفة فضلاً عن التأثير فى المنهج العلمى. ففى مجال الرياضيات ترجمت أعمال الخوارزمى، وثابت بن قرة، والبتانى، والخازن البصرى، وعمر بن إبراهيم الخيام، ومسلمة المجريطى، وأبى الريحان البيرونى، وابن السمح، وابن الصفار، وغيرهم.

ومن أهم المنجزات العربية التى استفاد منها الغرب فى مجال الرياضيات نظام الأعداد الذى يمثل ثورة فى علم الحساب. وقد استفاد العرب فيها من الهند ومبادئ الحساب الهندى والأرقام الهندية والصفر، وذاعت هذه الأرقام الهندية من خلال تقاويم الخوارزمى[1]. وقد وصلت الأعداد الجديدة المستخدمة فى الغرب عن طريق العرب الأمر الذى سهل العمليات الحسابية التى لم يقدر عليها النظام العددى الرومانى، كما ساعد هذا النظام على تقدم علوم الرياضيات فى الغرب. وقد أخذ الغرب أيضًا طريقة الإحصاء العشرى، وعلامة الكسر العشرى. وأخذ الغرب أيضًا الصفر من العرب، وتعتبر فكرة الصفر من أعظم الهدايا العلمية التى قدمها المسلمون

(١) سعيد عاشور، مرجع سابق، ص٩٩.

إلى غرب أوربا[١] . وقد سميت بعض العلوم الرياضية فى الغرب بأسمائها العربية مثل علم الجبر Algebra وعلم Algorismus .

ومن المنجزات العربية الأخرى استعمال الرموز فى الرياضيات ونظرية الحيز الزائد أو الفراغ الفوقى فى علم الهندسة . وحقق المسلمون طفرات فى العلوم الرياضية منها التحول من الحساب إلى الجبر ، والجمع بين الهندسة والجبر ووضع أسس الهندسة التحليلية ، والتمهيد لنشأة علم التكامل والتفاضل وحساب المثلثات ، والفصل بينه وبين الفلك ، ووضع النسبة المثلثية ، وإدخال المماس إلى حساب المثلثات وحل المعادلات المركبة ، والتعمق فى أبحاث المخروطات ، واكتشاف الدوال المركبة على قواعد المثلثات . واستفاد الغرب أيضًا من علم الميكانيكا عند العرب (علم الحيل) ومن الاكتشافات العربية فى هذا المجال اكتشاف البندول ، ورقاص الساعة . وقد أخذ الغرب علم الفلك عن العرب الذين توسعوا فى الأبحاث الفلكية المعروفة بالزيج ، وتحديد طول السنة ، وأطوال الليل والنهار ، وحركات الكواكب والنجوم ، وظواهر كسوف الشمس وخسوف القمر ، وتعيين الاعتلال الشمسى ، وتحديد خطوط الطول ، والجداول الفلكية ومطالع البروج . كما طوروا نظرية كروية الأرض ، وتقدير محيط الأرض وقياس طول السنة الشمسية . وتحول علم الفلك إلى علم استقرائى عملى يقوم على أساس من المشاهدة وليس على أساس الافتراضات النظرية[٢] .

وفى مجال الطبيعة أفاد الغرب من العديد من إنجازات الحضارة الإسلامية فقد أفاد الغرب من نظريات العرب فى الصوت والمغناطيسية والجاذبية ، وفى البصريات والعدسات ، وفى القول بأسبقية الضوء على الصوت ، وفى شرح ظاهرة قوس قزح . بل إن قانون نيوتن الخاص بالجاذبية له أصوله العربية فقد ورد عن محمد الرازى قوله : «إذا رمينا المدرة إلى فوق فإنها ترجع إلى أسفل فعلمنا أن فيها قوة تقتضى الحصول فى السفل حتى إنا لما رميناها إلى فوق أعادتها تلك القوة إلى أسفل» كما قال الخازن البصرى أن قوة التثاقل تتجه دائمًا إلى مركز الأرض» [٣] . وقد عين البيرونى الكثافة

(١) المرجع السابق ، ص١٠١ ؛ وانظر جورج يعقوب ، أثر الشرق فى الغرب خاصة فى العصور الوسطى ، ترجمة فؤاد حسنين على ، مطبعة مصر ، القاهرة ، ١٩٤٦م ، ص٢١ ، ٢٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص١٣٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص١٣٣ .

النوعية للجسم. وعلل أسباب خروج الماء من العيون الطبيعية والآبار الارتوازية فى ضوء نظرية الأوانى المستطرقة. ووضع الحسن بن الهيثم قانون الانعكاس، وأثبت خطأ بطليموس السكندرى فى نظرية انكسار الضوء، وفسر بعض الظواهر الضوئية فى الطبيعة، وعالج الخازن البصرى النظريات المتعلقة بالجاذبية ومركز الثقل وأوجد العلاقة بين الهواء وكثافته، وقدم جدولاً للأوزان النوعية، وعرف بالمرايا وأنواعها وحرارتها، وخواص الأنابيب الشعرية. وقد استقى علماء الغرب معلوماتهم عن الطبيعة من المصادر العربية وترجماتها اللاتينية، وعن ابن سينا أخذ الغرب نتائج بحوثه عن طبقات الأرض، وعن الحركة، والطاقة، والفراغ، والضوء، والحرارة، والكثافة النوعية.

وفى مجال الكيمياء أخذ علماء الغرب عن العلماء العرب نظرياتهم المهمة مثل: تحليل المواد تحليلاً كيماويًا، والتمييز بين القلويات والأحماض، وشرح التفاعلات الكيماوية، وحولوا الكيمياء إلى علم تجريبى يقوم على الملاحظة. ومن أهم علماء الكيمياء العرب المؤثرين فى الغرب جابر بن حيان وبخاصة فى وصفه للمركبات الكيميائية، ووصف العمليات الكيميائية، وبحوثه فى السموم. وعن الرازى أخذ الأوربيون فكرة تقسيم المواد الكيميائية إلى معدنية ونباتية وحيوانية. ويؤكد جوستاف لوبون على استفادة لو فوازيه أبو الكيمياء الحديثة من نظريات العلماء العرب. وقد حمل العلم فى الغرب اسمه من الاسم العربى تأكيدًا على أصله العربى. ويعود إلى العرب تطوير الكيمياء الصناعية، وتطوير مواد كيميائية عازلة، واستخدام قوة البارود الدافعة، واستغلال القوى الناجمة عن انفجار البارود، وتطوير الأسلحة النارية[1].

وفى مجال الطب كان الغرب فى حاجة إلى طب العرب بسبب جهلهم بأمور الطب، وسيطرة رؤية رجال الدين على مسألة العلاج من المرض، واعتباره عقابًا إلهيًا للإنسان، أو معالجته بوسائل بدائية، أو تفضيل الموت على العلاج. وقد روى أسامة بن منقذ فى مذكراته أمثلة متعددة على تخلف الطب عند الفرنجة ولجوئهم أحيانًا إلى بتر العضو المريض، ومطالبتهم بأطباء عرب لمعالجة بعض المرضى فى المعسكر الصليبى[2].

---

(١) أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوربية، إعداد اليونسكو، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م، ص٢١٤-٢١٥.

(٢) أسامة بن منقذ، كتاب الاعتبار، ص١٣٢.

وفى الوقت الذى جهل فيه الأوربيون الطب كان العرب يدونون الموسوعات الطبية التى تعتمد على التشخيص ومعرفة أسباب المرض وأعراضه ومظاهره قبل وصف الدواء[1]. وقد تقدم الطب العربى فى مجال التشريح وفى طب العيون. وقد استمر تدريس كتاب «تذكرة الكحالين» لعلى بن عيسى فى الجامعات الأوربية حتى القرن الثامن عشر. وقد شرح العلماء العرب وظيفة العين وكيفية البصر وألموا بجهاز البصر وتشريحه ووظائف أعضائه. وقد اعتبر الحسن بن الهيثم شبكة العين مركز المرئيات التى تنتقل إلى الدماغ بواسطة عصب البصر، وأن وحدة النظر بين الباصرين عائد إلى تماثل الصور فى الشبكتين[2]. واعتمد أطباء غرب أوربا على أعمال الطبيب الرازى فى الحميات ذات البثور كالحصبة والجدرى بالإضافة إلى كتابه عن أمراض الأطفال. وقد أخذ الطب الحديث بجهود الرازى فى علم التشريح وتطبيقه لمعلوماته عن الكيمياء على الطب والصيدلة، واختراعه للفتيلة فى الجراحة، واستخدم كتابه «الحاوى» الذى ترجم إلى اللاتينية عام ١٢٧٩م وطبع عدة مرات بعد اختراع الطباعة واستمر استخدامه فى الجامعات الأوربية حتى القرن التاسع عشر. ويحتوى كتاب الحاوى على موضوعات التشريح والأمزجة، والأغذية، والأدوية والجراحة، والأمراض والحمى. وأعطى الكتاب أيضًا أصول علم الطب الإكلينكى الذى يقوم على سجل دقيق للمرضى وتطور المرض. وقد أطلقت جامعة برنستون الأمريكية اسم الرازى على أحد أفخم أجنحتها تقديرًا لعلمه وفضله على الغرب والإنسانية. وتحتفظ جامعة باريس بصورة كبيرة للرازى وأخرى لابن سينا فى قاعتها الكبرى.

وأصبح كتاب القانون لابن سينا مرجعًا أساسيًا لعلوم الطب فى الجامعات الأوربية. وقد اشتمل الكتاب على حد الطب وموضوعاته، وذكر الأمراض وأسبابها، وحفظ الصحة وبيان وحدة المعالجات، والأدوية، والأمراض التى تصيب الإنسان من الرأس إلى القدم، والأمراض التى لا تختص بعضو واحد، والأمراض المركبة. وقد تم طبع كتاب القانون فى روما عام ١٥٩٣م وأصبح المرجع الأساسى فى علوم الطب بالجامعات الأوربية منذ هذا التاريخ، وأعيد طبعه فى أوربا أكثر من خمس عشرة طبعة لاتينية، وأصبح كتاب الطب الأول والأساسى فى العالم كله.

(١) سعيد عاشور، مرجع سابق، ص١٤٨.
(٢) المرجع السابق، ص١٥٠.

وعرفت أوربا الدورة الدموية من أعمال مكتشفها ابن النفيس (ت ١٢٨٨م). وعرفت عن العرب أيضًا الأمراض النفسية وسبل علاجها، وعلاج الشلل بالصدمات العصبية المفاجئة، وتفسير بعض الأمراض العصبية والنفسية فى سن المراهقة، وأمراض الأسنان والعيون والولادة والجراحة، وعلاج أمراض الكلى وحصى المثانة وعمليات سحق الحصاة أو استئصالها، وكذلك استئصال الأورام السرطانية. وقد عرفت أوروبا الجراحة وتجبيز العظام من خلال أعمال أبى القاسم الزهراوى (ت ١١٠٧م) الذى ترك أيضًا كتابًا فى الآلات المستعملة فى العمليات الجراحية وطرق استخدامها. كما يعود اكتشاف دودة الإنكلستوما إلى ابن سينا قبل مكتشفها الإيطالى دوبينى عام ١٨٣٨م[1].

وقد اهتمت الجامعات الأوربية بالأعمال الطبية العربية فجعلتها كتبًا مقررة على طلاب الطب فيها. ففى جامعة مونتبيليه وافق البابا كليمنت الخامس عام ١٣٠٩م على أن يمتحن الطالب إجباريًا فى كتب الرازى وابن سينا للحصول على إجازة الطب واعتمدت مناهج جامعة لوفان عام ١٦١٧م على كتبهما فى دراسة الطب. واستخدمت كتب أبى القاسم الزهراوى كمصادر عامة للجراحين فى أوربا منذ القرن الرابع عشر. ويرجع الفضل إلى الطب الإسلامى فى تأسيس أول جامعة للطب فى سالرنو. ويرجع إليهم الفضل أيضًا فى تأسيس المستشفيات، ونشر فن التمريض وطريق إلحاق كليات الطب بالمستشفيات تأكيدًا للجانب العملى والممارسة، وتنظيم القوافل الطبية واللجان الطبية، وتخصيص مستشفيات خاصة ببعض الأمراض، والاهتمام أيضًا بالطب البيطرى وعلاج الحيوان.

وفى مجال الصيدلة أفادت أوربا من الكتابات العربية فى مجال الأدوية واستعمال العقاقير، ومن أهمها كتاب «جامع المفردات» لابن البيطار (١١٩٧-١٢٤٨) ومن خلال كتاب «الكليات» لابن رشد والذى وصف فيه ابن رشد قوانين تركيب الأدوية والانفعالات التى تحدثها الأدوية بالجسم، والأدوية اللازمة لعلاج الأمراض المختلفة، و كذلك وصف الأغذية المختلفة ومنافعها وأضرارها فى كتاب الرازى «منافع الأغذية ودفع مضارها». ويعود إلى العرب تأسيس أول مدرسة للصيدلة، وضرورة

(١) قدرى حافظ طوقان، العلوم عند العرب، القاهرة، ١٩٦٠م، ص٢١.

اجتياز الصيدلى امتحانًا خاصًا لممارسة المهنة، ويعود إليهم أيضًا اكتشاف البنج المستخدم فى العمليات الجراحية، وتوضيح أهمية الرياضة والتدليك والنوم فى العلاج، وقدموا فى أعمالهم العديد من النصائح الطبية فى مجال الأدوية[١].

ونظرًا لأهمية النباتات فى علم الصيدلة فقد اهتم العرب بدراسة الأعشاب والنباتات وتحديد أسمائها وفوائدها، وعرف العرب نظام التطعيم وخواص التربة وتركيب السماد، واستصلاح الأراضى، وأمراض النباتات وآفاتها.

وفى علم الجغرافيا تدين أوربا للعرب فى حفظ المعرفة الجغرافية اليونانية، وتصحيح أخطاء الجغرافيين اليونان، وإسهامهم الكبير فى تطوير المعرفة الجغرافية من خلال جهود الجغرافيين والرحالة المسلمين أمثال: المسعودى، وابن حوقل، والبيرونى، وابن بطوطة، والإدريسى، والإصطخرى، والمقدسى، والقزوينى، وياقوت الحموى وغيرهم[٢]. وقد أفاد العالم والغرب من جهود المسلمين ومن نظرياتهم الخاصة بكروية الأرض، ووضعهم للخرائط الخاصة بالبلدان[٣]. وتحديدهم لمناخ الأنهار، وتطويرهم للبوصلة وللملاحة البحرية. وقد أفاد كولومبس من خرائط العرب فى رحلة لاكتشاف أمريكا، واستخدمها فاسكو دى جاما[٤].

ولم تتوقف إفادة الغرب من علوم المسلمين التجريبية، بل تجاوزتها إلى العلوم النظرية والفنون والموسيقى. ففى مجال الأدب تأثرت الآداب الغربية بالموضوعات العربية وبالقصص الإسلامى وبالشعر العربى. ويظهر هذا الأثر الأدبى فى شعر التروبادور وفى الموشحات والزجل وأغراض الغزل والفروسية والنبل. كما أثرت ألف ليلة وليلة فى تطوير الأدب الأوربى، وكذلك قصة الإسراء والمعراج فى أعمال دانتى، وفى تطوير القصص الخرافية ذات المغزى الأخلاقى، وكذلك فى إدخال الفروسية فى الأدب الغربى والأمثال العربية. واهتمت الجامعات الغربية بتدريس اللغة العربية والأدب العربى.

---

(١) أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوربية، إعداد منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة، الهيئة العامة للكتاب، ص٢٤٥؛ وانظر سعيد عاشور، مرجع سابق.
(٢) المرجع السابق، ص١١٩ .
(٣) تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى، الأنجلو المصرية، ١٩٦٣م، ص٢٣٧ .
(٤) سعيد عاشور، ص١٢٣؛ وانظر أيضًا كتاب أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوربية، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (يونسكو)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م، ص٢٩١ .

وفى الفلسفة أثرت أعمال الفارابى، والكندى، وابن سينا، وابن رشد، والغزالى وغيرهم فى التفكير الفلسفى الأوربى، ويعود الفضل للعرب فى حفظ التراث الفلسفى اليونانى من الضياع فى الوقت الذى انقطعت فيه صلة الغرب اللاتينى بالأعمال اليونانية. وقد عرف الأوربيون أعمال أرسطو عن طريق الترجمات والشروح العربية. وترك ابن رشد تأثيرًا عظيمًا على الفكر الفلسفى الغربى: بوصفه أكبر شارح لأعمال أرسطو، وتأثر الغرب أيضًا بالفلسفة الصوفية وبخاصة عند ابن عربى والتى أثرت فى فلسفة دانتى ويوهان إيكهارت وسبينوزا وريموند لول[1]. وتأثرت أوربا أيضًا ببعض عناصر منهجية البحث العلمى عند المسلمين مثل فكرة التخصص، والابتعاد عن المقدمات الطويلة، والاهتمام بالواقع المحسوس، ومنهج الشك المؤدى إلى اليقين، والأخذ بمبدأ الملاحظة والتجربة والاستقراء وغير ذلك.

وفى الفنون تأثرت الفنون الأوربية بموضوعات الفنون العربية والإسلامية فى الزخرفة والعمارة والصناعة مثل: النسيج والحرير والجلود، والصناعات المعدنية، والحلى، واستخدام الورق وفنون الخطوط والنقوش والزخرفة والأرابيسك وفنون العمارة على اختلافها[2]. وفى الموسيقى حفظ العرب بعض أعمال التراث الموسيقى اليونانى، وأفادت أوربا من أعمال الكندى والفارابى وابن سينا فى الموسيقى وذاع صيت كتاب الموسيقى الكبير للفارابى، ورسائل ابن سينا الواردة فى كتاب الشفا، كما عرفوا الآلات الموسيقية العربية، وخلت أسماؤها فى المعجم الأوربى[3].

ومن أهم الأدلة على حجم وعمق التأثير العربى الإسلامى الحضارى فى الحضارة الأوربية أن عدد الأعمال العربية التى ترجمت إلى اللغة اللاتينية واللغات الأوربية الأخرى يزيد على خمسمائة عمل من أمهات الأعمال العربية فى مجال العلوم التجريبية والعلوم النظرية. ولذلك يعتبر بعض علماء الغرب المنصفين أن حركة الترجمة من اللغة العربية هى التى أدت إلى إحداث النهضة الأوربية من ناحية وتثبيت الرافد العلمى العربى كأحد الروافد الأساسية للحضارة الغربية. وفى هذا يقول يوجين

(١) سعيد عاشور، ص٩١-٩٢.
(٢) جورج يعقوب، مرجع سابق، ص٥٥.
(٣) سعيد عاشور، ص٢٠٥.

مايرز مؤلف كتاب «الفكر العربى والعالم الغربى»[١]: «إن جذور الفكر الغربى عبارة عن خليط من الفكر اليونانى والعربى والعبرى» ويقول أيضًا: «كانت الثقافة العربية جسرًا للفلسفة اليونانية والعلم إلى الغرب. إن العلماء العرب الذين ترجموا كل الأعمال اليونانية المهمة وهذبوها وأكملوها بأعمالهم ومنجزاتهم الخاصة أثروا تأثيرًا عظيمًا فى تشكيل الفكر الأوربى الغربى». ومن خلال الترجمات انتقلت أفكار العلماء العرب ووجدت طريقها إلى أعمال فلاسفة الغرب العظام أمثال: توماس الإكوينى ودانتى، وريموند لول، وسكوت، وسبينوزا وغيرهم»[٢]. وقد احتلت اللغة العربية مكانة علمية عظيمة لدى الأوساط العلمية الأوربية، وأصبحت لغة العلم والثقافة الراقية على المستوى العلمى والأدبى[٣].

***

---

(١) Eugene A. Myers, Arabic Thought and the Western World in the Golden Age of Islam, Ungar Pub. Co., New York, 1964.

(٢) Ibid., P. 134

وانظر عبد العزيز برهام، الفكر الإسلامى الحر وآثاره فى النهضة العلمية الأوروبية، مرجع سابق، ص ٦٣ .

(٣) المرجع السابق، ص٤٥ .

# الباب الثانى

# نظريات الصراع بين الحضارات
# آراء أبرز الكتاب والشخصيات الغربية

الفصل الأول : الفصل الأول : نظريات الصراع بين الحضارات :

أولاً: نظرية صدام الحضارات لصموئيل هنتنجتون.

ثانيًا: نظرية نهاية التاريخ لفرانسيس فوكوياما.

ثالثًا: برنارد لويس وجذور صراع الحضارات.

رابعًا: جورج بوش وحرب الحضارات.

الفصل الثانى : العولمة وصراع الحضارات على المستوى العالمى.

الفصل الثالث : الشرق أوسطية وصراع الحضارات فى الشرق الأوسط.



# الفصل الأول

# نظريات الصراع بين الحضارات

أولاً: نظرية صدام الحضارات لصموئيل هنتنجتون.
ثانياً: نظرية نهاية التاريخ لفرانسيس فوكوياما.
ثالثاً: برنارد لويس وجذور صراع الحضارات.
رابعاً: جورج بوش وحرب الحضارات.



# نظريات الصراع بين الحضارات

## أولاً: نظرية صدام الحضارات

يدور فكر هنتنجتون عن صدام الحضارات حول تصور لمستقبل العلاقات بين الغرب والشرق يبدأ بتدهور الحضارة الغربية، وحدوث خلل فى الميزان الثقافى لصالح الحضارات غير الغربية. فهو يرى أن ازدهار الحضارات الأخرى يمثل خطرًا على الحضارة الغربية، ويتوقع الصدام بين الحضارة الغربية والحضارات الأخرى حيث ستتكاتف الحضارات الأخرى فى تحالف ثقافى ضد الحضارة الغربية وهيمنتها، وهو ينبه الغرب إلى هذا الخطر ويحذر منه.

### أ - المواجهة الحضارية بين الغرب والشرق:

ويعتبر هنتنجتون أن المواجهة الحضارية الأكثر عنفًا ستكون بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية التى ستدعمها بقية الحضارات الشرقية المشتركة معها فى الحوار الجغرافى. ويربط بين الحضارة الإسلامية والحضارة الصينية ويعتبرهما معًا مصدر التهديد القوى والمباشر لمستقبل الحضارة الغربية. ويرى أن المواجهات الأكثر عنفًا ستجمع المسلمين بباقى الحضارات ضد الحضارة الغربية وسيكون الانقسام الأساسى على المستوى العالمى بين الكبرياء الغربى، واللاتسامح الإسلامى، والرغبة فى تأكيد الذات من جانب الصين. ويؤكد على وجود محور تعاونى إسلامى كونفوشيوسى يجمع مجموعة من الدول الإسلامية والكونفوشيوسية، وهو محور مهدد للمصالح الغربية فى العالم، ولذلك يطالب بمنع هذا المحور من التسلح العسكرى وبخاصة التسلح النووى، ويطالب أيضًا بمنع الهجرة إلى الغرب حماية للوحدة الثقافية والاجتماعية الغربية. ويعتقد أن الاختلافات الثقافية سيكون لها دور كبير فى تحديد

طبيعة العلاقة بين الآسيويين والأمريكيين، وأن الشرق الأقصى سيصبح قلب الاقتصاد العالمى. ويرى أن شعوب الحضارات الأخرى تتجه إلى الاهتمام بقيمة العمل والإنتاج والانضباط والالتزام. ويعترف بدور الدين والأخلاق فى انبعاث الحضارات غير الأوربية، ودفعها إلى الأخذ بقيم العمل والإنتاج والتحديث المضاد للتغريب.

وتنطوى نظرية هنتنجتون على عدة أسس تحتوى على مغالطات واضحة، وتصر على الصدام بين الحضارات كطبيعة أولاً وكنتيجة حتمية ثانيًا.

وتتضح المغالطة الأولى فى الحكم التشاؤمى على الحضارة الغربية والقول باحتمال سقوطها. وبدلاً من بذل المجهود الفكرى لإنقاذ الحضارة الغربية من الانحلال يوجه الاتهام إلى الحضارات الشرقية وغيرها ويعتبر ازدهارها تهديدًا لمستقبل الحضارة الغربية. وبدلاً من وضع الحلول الداخلية لأزمة الحضارة الغربية يفتح هنتنجتون جبهة جديدة للصراع مع الحضارات الأخرى، ويبحث عن عدو يلقى عليه أسباب السقوط الحضارى الغربى من ناحية ويقول بالصدام فيمنع الحضارة الغربية من الاستعانة بالحضارات الأخرى فى علاج أزمتها الداخلية من ناحية أخرى.

إن هنتنجتون لم يقرأ التاريخ جيدًا لكى يعرف أن القول بالوفاق بين الحضارات والالتقاء بينها ربما يؤدى إلى الحصول على تصور لعلاج الحضارة الغربية وإخراجها من أزمتها. وهو بالإصرار على صدام الحضارات يعجل بسقوط الحضارة الغربية، ويمنعه كبرياؤه من أن تتفاعل الحضارة الغربية مع الحضارات الأخرى ذلك التفاعل الإيجابى الذى أفادها قديمًا ويمكن أن يفيدها حديثًا.

وبدلاً من البحث عما لدى الحضارات الأخرى من إمكانيات للتعاون والالتقاء يطور هنتنجتون رؤية صدامية. وكان الأولى به أن يبحث فى أسباب انحلال الحضارة الغربية، وفيما يمكن أن تقدمه الحضارات الأخرى من وجوه تعاون تساعد حضارة الغرب وتعيد لها بعض التوازن المفقود فيها.

إن الرؤية المسيطرة على ذهن صموئيل هنتنجتون هى الرؤية الاستعمارية القديمة التى تضع الحضارة الغربية فى مرتبة السيادة على الحضارات الأخرى. ولا تقنع بهذا بل تتجه إلى ضرورة فرض النموذج الحضارى الغربى على العالم بأسره. ويرى فى

الحضارة الغربية، حتى وهى فى أزمتها، حضارة التقدم والحضارات الأخرى حضارات التخلف والتبعية. إنها نفس العقلية الاستعمارية القديمة التى أقامت العلاقات مع الآخر على أساس من مبادىء القوة والهيمنة والعنصرية، ولا ترى فائدة من الالتقاء الحضارى أو التفاعل بين الحضارات لأنها ذهنية استعمارية وضعت الحضارة الغربية ( حضارة الرجل الأبيض ) فى كفة وكل الحضارات الأخرى فى الكفة الثانية لترجح الكفة الأولى: ولا يزال يفكر هنتنجتون من منطلق عبء الرجل الأبيض المسئول عن تقدم العالم، والذى يحمل الرسالة الحضارية إلى بقية العالم المتخلف.

إن نظرية صدام الحضارات تسير فى الاتجاه المضاد لمسيرة التاريخ، وترى فى الحضارة الغربية، رغم مواتها، القاعدة الحضارية الأساسية لوجهة العالم الحضارية، وتنكر حق الآخرين الحضارى فى الاختلاف، ولا ترضى بالتقاء الحضارات ولا بالتوافق الحضارى بين الشعوب. إنها العنصرية الحضارية فى ذروتها، وفى زمن ينتصر أهله على العنصرية فى معركة تلو المعركة، مما يؤكد أن هنتنجتون بنظريته يسير ضد التيار الحضارى العالمى وضد الاتجاه العالمى إلى التعايش الحضارى.

يستمد هنتنجتون رؤيته عن الإسلام وحضارته من صراعات المسلمين مع غيرهم ومع أنفسهم، ولا يستمد هذه الرؤية من الإسلام ذاته أو من حضارته. إنه يشاهد واقعًا حديثًا للمسلمين ويبنى أحكامه الكلية على الإسلام وحضارته من خلال هذا الواقع الذى يراه، ويعطى للإسلام مكانًا بارزًا فى صراع الحضارات وفى العدواة للغرب. فالإسلام، من وجهة نظره، له ما يسميه بالحدود الدموية، فهناك نسبة مرتفعة لمشاركة المسلمين فى الصراعات مع الحضارات الأخرى، ويفسر ذلك من خلال إطلاق حكم عام على أن المسلمين ينزعون إلى الحرب والعنف، ويصعب اندماجهم مع شعوب الحضارات الأخرى. ثم يطلق حكمه الأخير بأن الإسلام مصدر لعدم الاستقرار فى العالم.، وقدم إحصائية بأن ٨١ صراعًا من بين ٨٢ صراعًا هى صراعات بين مسلمين ومسيحيين، وبقية الصراعات بين مسلمين وشعوب أخرى غير مسيحية ويستشهد بآراء علماء من الغرب، منهم بارن بوزان الذى يرى عدة أسباب لنشوب حرب مجتمعية باردة بين الغرب والإسلام تقف فيها أوربا على خط المواجهة، وهذه الحرب الباردة لها علاقة بالخصومة التاريخية بين المسيحية والإسلام، وبعلاقة القيم العلمانية

بالقيم الدينية وبالغيرة من القوة الغربية وبالاستياء من السيطرة الغربية، وبالشعور بالامتهان من فشل الحضارة الإسلامية ونجاح الحضارة الغربية فى القرنين الأخيرين[1].

ويعتبر هنتنجتون أن الحرب الباردة مع الإسلام سوف تساعد على تقوية الهوية الأوربية فى وقت حاسم بالنسبة للوحدة الأوربية. وهناك كما يدعى استعداد لدى الغرب لدعم الحرب الباردة مع الإسلام وتبنى سياسات تشجع على هذه الحرب. ويستشهد مرة ثانية بالمستشرق اليهودى برنارد لويس الذى يدعى أن هناك حالة أو حركة تتجاوز مستوى القضايا والسياسات والحكومات. وهى حالة صدام حضارات تمثل «رد فعل تاريخى لتنافس قديم ضد تراثنا اليهودى المسيحى وحاضرنا العلمانى»[1].

وتقوم هذه الرؤية بنتائجها المعلنة على أسس فكرية خاطئة أولها - كما ذكرنا - الحكم على الإسلام وحضارته، من خلال أفعال بعض المسلمين، ومن خلال صراعات سياسية إسلامية وغير إسلامية يزخر بها التاريخ المعاصر. ومن غير العدل أن ننسب هذه الصراعات إلى الإسلام وحضارته وإلا جاز لنا أن ننسب الصراعات التى يشترك فيها مسيحيون إلى المسيحية، وكذلك الصراعات التى يشترك فيها يهود إلى اليهودية وهكذا. وكان من الموضوعية أن يرد هنتنجتون الصراعات الموجودة إلى أسبابها الحقيقية، وهى أسباب سياسية لاعلاقة لها بالدين.

ويستند هنتنجتون إلى السياسات العنيفة التى تنتهجها بعض الحركات السياسية الإسلامية لكى يطلق حكمه العام بأن الإسلام دين إرهابى دموى، وأن المسلمين ينزعون بطبيعتهم إلى الحرب والعنف، وأن الإسلام خطر على الغرب، ومصدر للانتشار النووى والإرهاب. إن هذه الأحكام العامة على الإسلام والمسلمين تشير إلى جهل كبير بحقيقة الإسلام وحضارته، أو إلى تجاهل للطبيعة الحقة للإسلام وحضارته. وبنفس هذا المنطق الذى اتبعه هنتنجتون يجوز لنا أن نحكم على اليهودية والمسيحية بأنها ديانات عنف وإرهاب وتطرف ومصدر للخطر على الإنسانية لو فسرنا بعض

---

(١) صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمى، ترجمة طلعت الشايب، تقديم صلاح قنصوة، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٣٤٣-٣٤٤.
(٢) المرجع السابق، ص٣٤٤.

الصراعات الموجودة على الساحة بأنها تعود إلى الدين وطبيعته مثل صراع الكاثوليك مع البروتستانت فى أيرلندا، أو الصراع الإسرائيلى مع الفلسطينيين. ومن السهل هنا أن نحكم على اليهودية والمسيحية بنفس الحكم الذى أطلقه هنتنجتون على الإسلام وحضارته ونقول بأن اليهودية والمسيحية من ديانات الإرهاب والتطرف والعنف.

والذى لا يريد أن يقره هنتنجتون أن ظاهرة الإرهاب ظاهرة عالمية. أسبابها سياسية ولا علاقة لها بالأديان التى يتبعها المتبنون للإرهاب كسياسة. فالأديان من طبيعتها تدعو إلى الحب والسلام، والتسامح والتعايش، ولا يوجد دين يدعو إلى عكس ذلك. وكان الأولى بهنتنجتون أن يبحث عن الأسباب الحقيقية للصراعات بدلاً من نسبتها إلى الإسلام، الأمر الذى يؤثر بلا شك على رجال السياسة وعلى رجال الإعلام. وهناك أصوات كثيرة فى الغرب تأثرت بمقولات هنتنجتون وبرنارد لويس وعبروا عن مخاوفهم من الإسلام كمنافس كونى للغرب، كما أعلن عضو فى إدارة كلينتون أن الإسلام خطر على الغرب مثل الشيوعية كما عبر عن ذلك السكرتير العام لحلف شمال الأطلنطى.

إن إطلاق مثل هذه الأحكام العامة الخاطئة لا تؤثر فقط على رجال السياسة والإعلام بل إنها تؤثر على الرأى العام العالمى، وعلى الجمهور الغربى الذى يتلقى معلوماته من وسائل الإعلام الغربية التى تشيع هذه الآراء الخاطئة وتروّج لها فى الغرب. بل والأخطر من ذلك أنها تؤثر على السياسات والخطط السياسية والاستراتيجية للغرب تجاه العالم الإسلامى. وتضع الشعوب الإسلامية والغربية فى مواجهة حضارية هم فى غنى عنها بدلاً من التقريب حضاريًا بينهم وإشاعة، روح السلام والأمن والتعايش بين المسلمين والغربيين.

لقد أثرت نظرية صدام الحضارات لهنتنجتون وغيره تأثيرًا سلبيًا على العلاقات الإسلامية الغربية فهى، فضلاً عن تضييعها للجهود المبذولة على طريق الحوار الحضارى بين المسلمين والغرب...، تؤثر بشكل سلبى على السياسات الغربية تجاه العالم الإسلامى.

## ب- استراتيجية هنتنجتون لمواجهة الحضارات الإسلامية والآسيوية

لقد طرح هنتنجتون مجموعة من الإجراءات التى يجب أن يأخذ بها الغرب لكى يحافظ على الحضارة الغربية وتماسكها فى مواجهة الحضارات الإسلامية والآسيوية. وهى أشبه بحرب معلنة يريد هنتنجتون أن يتولاها الغرب للحفاظ على هويته. وتتكون هذه الاستراتيجية من :

١- مواجهة مشاكل التفسخ الأخلاقى للحضارة الغربية وانهيار القيم العائلية والاجتماعية فى الغرب.

٢- ترسيخ وحدة الهوية الثقافية للولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها هوية أوربية خالصة، والوقوف ضد تيار التعددية الثقافية للمجموعات الإثنية داخل الولايات المتحدة باعتبارها مهددًا لوحدتها السياسية والثقافية.

٣- التوجه نحو الاندماج السياسى والثقافى والاقتصادى والعسكرى بين أوربا والولايات المتحدة الأمريكية.

٤- الحد من القوة العسكرية للدول الإسلامية والدول الكونفوشيوسية.

وكما هو واضح يرى هنتنجتون أن مواجهة الحضارات الأخرى يتم من خلال العلاج الأخلاقى للحضارة الغربية، وتوحيد أوربا مع الولايات المتحدة الأمريكية فى جبهة حضارية واحدة بعد توحيد الولايات المتحدة داخليًا من خلال رفض التعددية الثقافية والإثنية ومحاربتها. وأخيرًا الحد من القوة العسكرية للعالم الإسلامى وللصين.

وتتضمن استراتيجية هنتنجتون القضاء على النمو الاقتصادى للدول الآسيوية، وقد لاحظنا خلال العامين الأخيرين بداية هذه العملية الخاصة بضرب القوة الاقتصادية النامية للدول الآسيوية وعلى رأسها الدول الإسلامية منها مثل إندونيسيا والملايو. ويقول هنتنجتون « إن النمو الاقتصادى فى آسيا والثقة المتزايدة بالنفس فى المجتمعات الآسيوية تمزق السياسة العالمية بالأساليب التالية :

١- يمكن النمو الاقتصادى الدول الآسيوية من توسيع قدراتها العسكرية، ويثير القلق بشأن العلاقات المستقبلية بين هذه الدول، ويعجل النمو الاقتصادى باحتمالات الصراع وعدم الاستقرار فى المنطقة.

٢- يزيد النمو الاقتصادى للدول الآسيوية من حدة الصراعات بين المجتمعات الآسيوية والغرب وبخاصة الولايات المتحدة الأمريكية . ويقوى من قدرة المجتمعات الآسيوية على تحقيق السيادة فى هذه الصراعات .

٣- يؤدى النمو الاقتصادى إلى زيادة النفوذ الصينى ، ويزيد من احتمال تأكيد الصين لسيطرتها التقليدية فى شرق آسيا[١] .

٤- يؤدى النمو الاقتصادى للدول الآسيوية إلى تغيير ميزان القوى الشامل بينها وبين الولايات المتحدة والغرب عمومًا .

٥- يؤدى النمو الاقتصادى للعالم الإسلامى وللدول الآسيوية إلى زيادة ثقة هذه الدول فى صلاحية قيمها ومؤسساتها ، وتفوق ثقافتها على الثقافة الغربية والتشكيك فى صلاحية القيم الأمريكية والأوربية عالميًا[٢] .

ولا تحتاج هذه الاستراتيجية التى وضعها هنتنجتون إلى تعليق فهى حرب حضارية معلنة على دول العالم الإسلامى والدول الآسيوية التى تسعى إلى تحقيق النمو الاقتصادى والالتزام بهويتها الثقافية ، والحد من تأثير الثقافة الغربية وهى حقوق أولية لهذه الدول يقرها القانون الدولى وتقرها الديموقراطية التى تتشدق بها أوربا والولايات المتحدة الأمريكية . ويلاحظ أيضًا الربط هنا بين النمو الاقتصادى والاستقلال الثقافى ، وأن هذا يؤدى بالضرورة ، ليس فقط إلى تغييرات فى الميزان الاقتصادى لهذه الدول فى علاقتها بأوربا وبالولايات المتحدة الأمريكية ، ولكن يؤدى أيضًا إلى تغييرات فى الميزان الثقافى بتأكيد الهوية الثقافية والاستقلال الثقافى عن الغرب ، وتحقيق التحديث بدون التغريب المصاحب له الأمر الذى يؤدى إلى اضمحلال دور الثقافة الغربية كثقافة كونية ، وظهور قوى ثقافية أخرى مهددة للهيمنة الثقافية الغربية .

ومن وجهة نظرنا بعد عرض هذه الاستراتيجية الحضارية لهنتنجتون أن صراع الحضارات الذى تثيره رؤية هنتنجتون ناجم - من وجهة نظره - عن رغبة إسلامية وآسيوية فى النمو الاقتصادى وما يتبعه من نمو ثقافى مضاد للثقافة الغربية . وهو لهذا

---

(١) صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، مرجع سابق، ص ٣٥٣
(٢) المرجع السابق، ص ٣٦٤

يتهم الدول الإسلامية والآسيوية — بسذاجة شديدة — بأنها بسعيها إلى النمو الاقتصادى والثقافى إنما هى تدخل فى حرب حضارات مع الحضارة الغربية. ولكى لاتنشب هذه الحرب الحضارية لابد من القضاء على النمو الاقتصادى المسبب للنمو الثقافى وحتى تبقى أوربا منتصرة دائمًا بحضارتها، إنه الوجه الاستعمارى السافر لهنتنجتون وحضارته.

يعتقد هنتنجتون فى أزلية الصراع بين الإسلام والغرب وبين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية. وفى هذا يقول فى لغة مباشرة وصريحة: «المشكلة المهمة بالنسبة للغرب ليست الأصولية الإسلامية بل الإسلام، فهو حضارة مختلفة، شعبها مقتنع بتفوق ثقافته وهاجسه ضآلة قوته. المشكلة المهمة بالنسبة للإسلام ليست المخابرات المركزية الأمريكية ولا وزارة الدفاع. المشكلة هى الغرب حضارة مختلفة شعبها مقتنع بعالمية ثقافته، ويعتقد أن قوته المتفوقة إذا كانت متدهورة فإنها تفرض عليه التزاما بنشر هذه الثقافة فى العالم. هذه هى المكونات الأساسية التى تغذى الصراع بين الإسلام والغرب»[1].

ويؤكد هنتنجتون أن هناك حالة شبه حرب حضارية بين الإسلام والغرب منذ حدوث الثورة الإيرانية فى ١٩٧٩ وهى شبه حرب؛ لأن عددًا من الدول الإسلامية (إيران والسودان والعراق وليبيا وسوريا) يحاربون الولايات المتحدة وبريطانيا بالإضافة إلى عداوتهم وحربهم ضد إسرائيل واليهود. وهى شبه حرب لأنها تتم بوسائل محدودة منها الإرهاب فى جانب، والقوة الجوية والعمل السرى والعقوبات الاقتصادية فى الجانب الآخر. وهى شبه حرب لأن العنف فيها متقطع وليس مستمرًا فهناك أفعال وردود أفعال. وتضع أمريكا هذه الدول خارج المجتمع الحضارى العالمى، وأنها تشن حرب إرهاب مدنى ضد الولايات المتحدة الأمريكية وقد شاركت الولايات المتحدة الأمريكية فى ٧١ عملية فى الشرق الأوسط كانت كلها موجهة ضد مسلمين، ولم تحدث عمليات أمريكية ضد شعب آخر من حضارة أخرى (كتب هنتنجتون ووضع نظريته قبل حرب أمريكا والناتو ضد الصرب)[2].

---

(١) صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، ص٣٥٢.
(٢) المرجع السابق، ص٣٤٩، ٣٥١.

المخيف فى نظرية هنتنجتون اعتباره الصراع الحضارى بين الغرب والإسلام صراعًا أزليًا ومستمرًا ولن يتوقف. ولقد عبّر تعبيرًا مباشرًا عن موقف الغرب من الإسلام وموقف الإسلام من الغرب بحيث لا يمكن القول بأن هناك لبسًا فى كلامه.

وفى تحليلنا لهذا الرأى ونتائجه المريعة نقول إننا أمام حالة نفسية معقدة صاحبها مصاب بعقدة الكراهية والحقد والعداء تجاه الإسلام والمسلمين. وهو يحاول أن ينشر هذه الحالة النفسية الهستيرية لدى الغرب يحذره من هذا العدو المتربص به وهو الإسلام.

إن هنتنجتون متشائم إلى أبعد حد ممكن فهو لا يرى أمامه سوى الشر والخراب والدمار عندما يتحدث عن الإسلام والمسلمين، ونجد حديثه أقل حدة وعنفًا وعداوة عندما يتحدث عن شعوب أخرى مناوئة للغرب ومعادية له مثل الصين واليابان. وهو يغذى هذه النزعة العدوانية ضد الإسلام من خلال استغلال عصور الصراع السياسى بين المسلمين والغرب، ويتخذها دليلاً على وجود الصراع واستمراريته، إن تحليله لعلاقة الإسلام بالغرب تحليل عاطفى غير موضوعى وتسيطر عليه مشاعر الكراهية.

ويركز هنتنجتون على الاختلاف بين الإسلام وحضارته والغرب وحضارته كسبب رئيسى للصراع واستمراريته، ويعتبر النزعة إلى عالمية الثقافة لدى المسلمين والغرب سببًا آخر من أسباب الصراع. ونخرج من هذه الأحكام بعدة نتائج أهمها:

١- أن هنتنجتون لا يؤمن بالتعددية الثقافية ولا بالهويات الثقافية المستقلة عن الهوية الثقافية الغربية، ويعتبر الثقافة الإسلامية على وجه التحديد منافسة ومعادية للثقافة الغربية.

٢- لا يؤمن هنتنجتون بحق الاختلاف الثقافى، ولا يؤمن بوجود ثقافات كونية بخلاف الثقافة الغربية، ولذلك فهو يرفض ادعاء الحضارة الإسلامية بالعالمية ويعتبره سببًا للصراع مع الحضارة الغربية.

٣- لا يوجّه هنتنجتون اللوم إلى ثقافته أو يعتبرها هى سبب الصراع الذى يدّعيه، ولكن يُفهم من كلامه أن أى حضارة تدعى العالمية فهى حضارة مضادة ومعادية للحضارة الغربية، ويجب الوقوف فى وجهها ومحاربتها.

٤- يفسر كل صراع مهما صغر بأنه دليل على استمرارية الصراع، وأن الحرب حرب حضارية أزلية لاتنتهى إلا بنهاية التاريخ.

٥- بهذا يقضى هنتنجتون على كل الأمل فى التقريب بين الحضارتين ويتجاهل التقارب الحادث بينهما فى الماضى والحاضر.

٦- يباعد بين الحضارتين الإسلامية والغربية ولا يعترف بدرجة قرابة بينهما تسمح بتفادى الصراع الحضارى بينهما.

إنها صورة مظلمة متشائمة لاترى حلاً ولا علاجًا فى الحاضر والمستقبل، وتحض على استمرارية الحرب الحضارية بدلاً من العمل على منعها. وهى صورة لاتنشأ إلا عن نفس مريضة، ولايمكن مواجهتها إلا من خلال رؤى جديدة لنفوس غربية صحيحة محبة للسلام والاستقرار فى العالم.

لاشك فى أن صموئيل هنتنجتون يقدم تشخيصًا خاطئًا للوضع الحضارى وتأثيراته على السياسة الدولية. فهو يسىء فهم الحاضر عندما يعتبر خطوط الاحتكاك بين الحضارات هى مصدر الحرب. وهو يتوقع حدوث مأساة بسبب ما يراه من صدام متوقع بين الحضارات.

ويقع هنتنجتون فى التبسيط المفرط للأمور، ويقدم نظريته فى شكل بسيط يجعلها نظرية ضعيفة فى تفسير الأحداث والتغييرات التى يمر بها العالم وذلك من خلال التركيز على الثقافة " كعامل أحادى حتمى محدد للسياسات الدولية ". ويصف أحد نقاد النظرية بأنها تمثل نوعًا من الخمول الفكرى الذى يتخفى وراء طروحات ثقافية تريد تحويل البشر إلى سجناء أبديين لثقافاتهم التى تحفزهم على الدخول فى حروب وعداوات فيما بينهم. والواقع أن الثقافة لايمكن أن تكون الفاعل الأساسى المتحكم فى سير العلاقات الدولية. فالسياسة الدولية نتاج تفاعل مستمر ومعقد وجدلى بين مؤثرات متعددة يتداخل فيها الثقافى والاقتصادى والسياسى والأيديولوجى بغيره من العوامل»[1].

---

(١) محمد سعدى، صدام الحضارات، عرض نقدى، مجلة المستقبل العربى، العدد ٢٤٤، المجلد٦، عام ١٩٩٩م، ص١٧٣ .

إن المتعمق فى تاريخ الصراعات عبر التاريخ البشرى الحضارى يلاحظ أن الثقافة احتلت دائمًا المكان الأخير كعامل صدامى بين الشعوب بل أحيانًا نجد العكس وهو أن العامل الثقافى قد ينقلب إلى عامل توفيقى يخفف من حدة الصراع السياسى والاقتصادى والعسكرى. والحقيقة أن معظم إمبراطوريات العالم القديم - فيما عدا إمبراطورية الإسكندر - لم تهتم بالثقافة كعامل من عوامل الحرب ولم تعتبر الغزو الثقافى أحد أهدافها، ولم تحارب بسبب الاختلاف الحضارى، إنما حاربت لأهداف سياسية اقتصادية فقط. ويعتبر الاسكندر الأكبر أول من جعل الغزو الثقافى من بين أهداف الغزو العسكرى، فقد استطاع أن ينشر الثقافة الهللينستية بالقوة فى العالم القديم. وفى التاريخ الحديث اتجه الاستعمار الغربى إلى نشر الحضارة الغربية فى البلاد المستعمرة وكان هذا إحدى نتائج الغزو الاستعمارى فى البلاد المستعمرة ولكن لم يكن أحد أسبابه على الرغم من أن الفلسفة الاستعمارية الغربية تحدثت عن الرسالة الحضارية للاستعمار وعبء الرجل الأبيض. ولكن لم تكن الثقافة هى سبب الاستعمار، ولم يكن الشعور بالتهديد الحضارى أحد الأسباب الدافعة إلى الاستعمار.

ويلاحظ أن بعض الدول الغازية قديمًا وفى العصرين الوسيط والحديث انهزمت حضاريًا بعد أن انتصرت سياسيًا وعسكريًا وحققت المكاسب الاقتصادية الناجمة عن التوسع، وكانت الهزيمة الثقافية نتيجة لتدهور الوضع الحضارى للدولة الغازية فى مقابل القوة الحضارية للدولة المغزوة. وبعد انحسار الصراع السياسى العسكرى يجد المستعمر نفسه فى وضع حضارى أدنى، ويصاب بالانبهار الحضارى، وربما يستجيب لحضارة المغلوب ويتفاعل معها ويتأثر بها. وقد كان هذا وضع معظم أشكال الغزو الى قامت بها جماعات بدوية إلى مناطق الوديان الحضارية فى التاريخ القديم. وفى العصر الوسيط لدينا مثالان واضحان على هذا وهما الحروب الصليبية التى وضعت الأوربى وجهًا لوجه أمام الحضارة الإسلامية المزدهرة، وانتهى أمره بالتفاعل معها والتأثر بها، والقيام بنقل معارفها إلى لغاته الأوربية. فقد انتصر الصليبيون سياسيًا وعسكريًا، وانهزموا ثقافيًا. ونفس الوضع مع حروب المغول الذين غزوا العالم الإسلامى وأسقطوا الخلافة العباسية ثم انهزموا ثقافيًا إلى حد التخلى عن ثقافتهم الوثنية والدخول فى الإسلام، وتبنى الثقافة الإسلامية. من هذه الأمثلة يتضح أن الثقافة لم

تكن سببًا للصراعات والحروب بل كانت دائمًا أحد عوامل انحسار القوة السياسية والعسكرية، وأحد أسباب الالتقاء والتوافق بعد الصدام السياسى والعسكرى.

لقد غالى هنتنجتون فى النظر إلى الثقافة كعامل حتمى لوقوع الصراعات وفى تشكيل السياسة الدولية والتحكم فى سير العلاقات بين الدول، وقد تجاهل هنتنجتون حقيقة أن العالم يقترب من بعضه ثقافيًا، ويسعى إلى دعم العلاقات الثقافية وبخاصة بعد أن أنشأ العديد من المنظمات الثقافية الدولية التابعة للأمم المتحدة أو النابعة من تنظيمات إقليمية ودولية هدفها التعاون الثقافى، وتقوية التبادل الثقافى، وزيادة حجم الالتقاء الحضارى بين الشعوب. ولقد أتاحت وسائل الإعلام المتقدمة فرص التقاء الثقافات والتعرف عليها والاحتكاك بالشعوب الأخرى على المستوى الثقافى، كما فتح باب الهجرة مجال الاندماج فى الثقافات الأخرى والتعايش معها رغم الاختلاف الثقافى. ولذلك تأتى نظرية صدام الحضارات ضد هذا التوجه العالمى إلى الالتقاء الثقافى والحوار بين الثقافات مع الحرص على التعددية الثقافية والاختلاف الثقافى لما فى ذلك من إثراء للثقافة الإنسانية وتنوعها وحفظ للتراث الثقافى الإنسانى من الضياع. فالمجهود الدولى يسعى إلى التقارب بين الحضارات، والظروف الدولية نفسها تساعد على تحقيق هذا التقارب.

### ثانيًا: نظرية نهاية التاريخ لفرانسيس فوكوياما

يعتبر فرانسيس فوكوياما من المفكرين السياسيين الأمريكيين المتبنين لسياسة الصراع. وقد شغل سابقًا منصب نائب مدير التخطيط السياسى بوزارة الخارجية الأمريكية. وشخصيته تعكس العديد من المتناقضات فهو أمريكى من أصول يابانية ولا ينتمى —لهذا السبب— إلى نمط الحضارة والثقافة الغربية المسيحية، ويحمل معه كل تناقضات الجالية الأمريكية اليابانية التى عوملت أسوأ معاملة عنصرية من جانب الولايات المتحدة الأمريكية[1].

(١) حسن بكر، مطارحة نقدية لنظرية فوكوياما: نهاية التاريخ أم أيديولوجية الرجل الأخير؟، مجلة مستقبل العالم الإسلامى، العدد ٩، شتاء ١٩٩٣م، مالطا، ص٣٦٩.

وعلى الرغم من هذه الأصول الشرقية لفوكوياما فهو من أشهر المُنَظرين الأمريكيين للصراع مع الشرق، ومن أكبر المتحمسين لصراع الحضارات. ويدعى فوكوياما فى نظرية نهاية التاريخ أن الرأسمالية والليبرالية انتصرتا على كل الأيديولوجيات، وأن التاريخ وصل بهذا الانتصار إلى نهايته. فحركة التاريخ من وجهة نظره تحتم فوز الرأسمالية وصعود الديموقراطية الليبرالية.

وأدلة فوكوياما على هذا سقوط الشيوعية من ناحية، وتحول الليبرالية إلى منهج حياة لكل شعوب الأرض، ولا توجد أيديولوجية تتحدى الليبرالية والرأسمالية اللتان تتربعان الآن على قمة التاريخ[1]. ومن وجهة نظره أن الليبرالية تتطابق ماديًا ومعنويًا مع حاجة الإنسان إلى التطور والبقاء، ولذلك فهى نهاية المطاف للإنسان الأخير فى القرن الحادى والعشرين، وهى الحل الأخير للإنسان. ويوصف المواطن النموذجى فى الديموقراطيات الليبرالية بأنه «خاتم البشرية»[2].

ويعنى هذا أن الديموقراطية الليبرالية الرأسمالية تمثل الشكل الأرقى لنهاية تطور تاريخ الاقتصاد السياسى، وأن الإنسان فى ظل هذه الليبرالية الرأسمالية هو الإنسان الأخير. فاقتصاد السوق الرأسمالى هو المحرك للتاريخ إلى نهايته. ويقتبس فوكوياما مقولة الفيلسوف هيجل «الصراع من أجل الاعتراف» فالشكل الأكثر معقولية للاعتراف هو الاعتراف العالمى، وقد وصل إليه إنسان الحضارة الغربية فى عالمنا الحديث[3]. وقد تعرضت نظرية نهاية التاريخ والإنسان الخاتم إلى نقد شديد، ما بين نقد منهجى، ونقد للمضمون. ومن أهم عناصر هذا النقد اتهام فوكوياما بجهله بتطور المجتمعات الأوربية، وعدم معرفته الكاملة بالنظرية السياسية الليبرالية، وتناسيه لنضال الشعوب من أجل الديموقراطية، وعدم التمييز بين الديموقراطية والليبرالية كعقيدة، والليبراليات المتعددة كأيديولوجيات مستقلة مستمدة من العقيدة، وتناسيه أيضًا لعيوب الليبرالية الغربية الرأسمالية. ومن أهمها عدم المساواة الاقتصادية. وبالإضافة إلى هذا

(١) المرجع السابق، ص٢٧٠ .

(٢) فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ وخاتم البشرية، ترجمة حسين أمين، مركز الأهرام للترجمة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٣، ص١٦ .

(٣) فوكوياما، نهاية التاريخ، ص١٦ .

هناك نقد عملى للنظرية، منها استنادها إلى حقيقة لم تتم وهى الزعم بسقوط الاشتراكية والنظام الشيوعى، وأن الرأسمالية لا تلقى قبولاً عامًا، وأن ثروة البلاد الرأسمالية. تحققت من خلال استعمار البلدان الأخرى فى العالم الثالث[1].

ولاشك فى أن نظرية فوكوياما نظرية متعصبة ومنحازة للحضارة الغربية وللنظم الغربية، وهى متهمة بالعنصرية تجاه الأنماط الثقافية المغايرة للغرب. ويتنكر فوكوياما للظاهرة الوطنية أو القومية، وينكر النازية على أنها نتاج متخلف لعملية الحداثة الأوربية وهى ليست لازمة للتطور الغربى. وينكر فوكوياما أى تطور إيجابى خارج حدود النظام الغربى مثل نظام الشورى فى الإسلام، ونمط الإنتاج الآسيوى، والأنساق الأخرى للمشاركة فى الثروة.

وفيما يرتبط بالموقف من الحضارات والثقافات الأخرى فمن الواضح أن نظرية نهاية التاريخ متعصبة ومنحازة للحضارة الغربية وغير معترفة بالحضارات الأخرى، فهو ينكر الخصوصية الثقافية، ويلغى الآخر فى الحضارة الإنسانية، ويغلق باب الاجتهاد الحضارى أمام البشرية، ويوقف عجلة التاريخ لمصلحة الليبرالية الغربية والرأسمالية فى انحياز شديد ضد النظم غير الغربية.

وبهذا التفكير ينضم فوكوياما إلى مجموعة المتحمسين لصراع الحضارات المتعصبين للحضارة الغربية ويرون أنها تمثل قمة النظام البشرى. وقد أحس بضعف النظرية بعد عدة سنوات من انطلاقها فأضاف إليها فى عمل تال شرطين أساسيين لتحقق نهاية التاريخ: الأول ثبات الطبيعة البشرية، ونهاية العلم بمعنى الاطمئنان إلى عدم وقوع تغيير انقلابى فى الطبيعة البشرية، وأن يكون للعلم نهاية. وكلاهما غير مضمون، فالطبيعة البشرية متغيرة، والعلم لا ينتهى[2].

ومما لاشك فيه أن فوكوياما ينضم إلى نفس مدرسة «صراع الحضارات» التى يرأسها لويس وهنتنجتون. وربما يكون فوكوياما قد حسم نظريًا هذه النظرية الخاصة بصراع الحضارات بتحقيق الانتصار النهائى للحضارة الرأسمالية الغربية على حساب

---

(١) حسن بكر، مرجع سابق، ص٢٧٢-٢٧٣.

(٢) فرج بوالعشة، صاحب نهاية التاريخ يرفض نهاية التاريخ، جريدة الشرق الأوسط، ٥/١١/٢٠٠١م، ص١٢.

الحضارات الأخرى. وهو يطالب النظم الأخرى بالانطواء تحت سيادة الحضارة الخاتم، والأخذ بنظامها الديموقراطى الليبرالى الرأسمالى.

ويجب الإشارة فى النهاية إلى تبعية أنصار مدرسة صراع الحضارات أمثال لويس وهنتنجتون وفوكوياما للنظام الغربى فى شكله السياسى الداعى إلى تحقيق السيادة والهيمنة، وأفكارهم تصب فى نظرية واحدة هى نظرية تحقيق الهيمنة الغربية على الحضارات والشعوب الأخرى. ويجب أن نشير أيضًا إلى أن هذه المدرسة لها ارتباطات عضوية بالدوائر السياسية الأمريكية، فهم موظفون فى الخارجية الأمريكية يضعون النظريات، ويخططون لليمين الأمريكى المتطرف للسيطرة على العالم سياسيًا، وتحقيق السيطرة النخبوية على ثقافة العالم وحضاراته. إنها دعوة إلى الخضوع للغرب سياسيًا وحضاريًا وعدم اعتراف بالتعددية الحضارية، وعدم قبول بالتعايش السلمى فى عالم واحد يتكون من أمم مختلفة ومتمايزة فى الأفكار ونظم الحكم[1].

والحقيقة التى نقف عندها هنا تمثل ظاهرة غربية وأمريكية على وجه التحديد وهى تحول بعض العاملين فى دائرة الخارجية الأمريكية إلى فلاسفة يعبثون بالتاريخ والحضارة معًا من خلال نظريات مشبوهة لا تنتمى إلى الفلسفة أو العلم، ولكنها تنتمى حتمًا إلى السياسة. وتحمل أعمال بعض موظفى الخارجية الأمريكية أمثال لويس وهنتنجتون وفوكوياما عناوين نظريات فلسفية فى تعمية شديدة وتجهيل لا حد له. فالحقيقة أن أعمال مثل «نهاية التاريخ» و«صدام الحضارات» ليست أعمالاً فلسفية ولا هى فى صميم الفكر الحضارى والتاريخى، ولكنها نظريات سياسية محبوكة حبكة جيدة لإدارة السياسات الخارجية، وللتحكم فى العلاقات الدولية وتحقيق مصلحة الدوائر السياسية التى يعمل فيها هؤلاء الموظفون كخبراء فى الشئون السياسية العالمية.

والسؤال المطروح بقوة الآن هو أين الفلاسفة الحقيقيون فى أوروبا وأمريكا؟ ولماذا تركوا الساحة الفلسفية، حضارية وتاريخية، لكى يعيث فيها أنصاف المثقفين فسادًا؟! وبدلاً من السعى الفلسفى لإصلاح البشرية نجد هذا السعى الحميم لتدمير البشرية من خلال الصدام المفتعل بين الحضارات أو من خلال وضع نهاية غربية رأسمالية للتاريخ السياسى للبشرية.

(١) حسن بكر، مرجع سابق، ص٢٧٦.

## ثالثاً: المستشرق الأمريكى برنارد لويس وجذور نظرية صراع الحضارات

يعتبر المستشرق الأمريكى اليهودى الصهيونى برنارد لويس الأب الروحى لكل دعاة صراع الحضارات، والمنظّر الرئيسى لكل المفاهيم والنظريات الخاصة بالصراع بين الغرب والإسلام، وبين الحضارتين الغربية والإسلامية، وتأثيره كبير على صناع القرار السياسى فى الولايات المتحدة الأمريكية فيما يختص بشئون الشرق الأوسط والعالم الإسلامى، وتستعين به دوائر الخارجية الأمريكية كواحد من أكبر الخبراء بالعالم العربى والإسلامى. وصلاته بإسرائيل وبريطانيا فى منتهى القوة، ويستمع إلى رأيه فى كل الدوائر السياسية والبحثية فى الولايات المتحدة وفى بريطانيا وإسرائيل. وقد عمل لويس أستاذاً لدراسات الشرق الأوسط والعالم الإسلامى فى جامعات لندن وكاليفورنيا وكولومبيا وإنديانا وبرنستون، وهو عضو دائم فى معهد الدراسات المتقدمة، وفى الجمعية الفلسفية الأمريكية منذ عام ١٩٧٣م[١]. ويعتبر د. إبراهيم عبدالكريم برنارد لويس من المستشرقين الصهاينة المجندين لتلبية احتياجات وتطلعات السياسة الأمريكية داخل إطار تجنيد المستشرقين والعملية الاستشراقية فى أمريكا إجمالاً لخدمة المصالح الأمريكية فى منطقة الشرق الأوسط والعالم الإسلامى. ويأتى الاهتمام بإسرائيل فى المرتبة الأولى لدورها الوظيفى فى تنفيذ الاستراتيجية الأمريكية فى الشرق الأوسط. ولذلك تنصب جهود برنارد لويس (المولود عام ١٩١٦م) فى تسويق الأفكار والمقولات السياسية التى تعتمدها إسرائيل والصهيونية، وتعزيز المواقع الإسرائيلية على جبهة المواجهة مع العرب[٢]. ويقوم لويس بتقديم الخدمات المباشرة إلى صانعى القرار فى التحالف الإسرائيلى الأمريكى. فهو مستشرق صهيونى ضالع فى الأداء الأمريكى الرسمى والمحرك الأول لقناعاته[٣].

وتعود جذور مفهوم الصراع عند لويس إلى محاولته الدائمة فى دراساته المختلفة لاختزال التاريخ الإسلامى وحضارته فى مسألة واحدة مسيطرة وموجهة وهى مواقف

---

(١) إبراهيم عبدالكريم، الاستشراق وأبحاث الصراع لدى إسرائيل، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، عمان، ١٩٩٢م، ص٥٣.

(٢) المرجع السابق، ص٥١-٥٢.

(٣) المرجع السابق، ص٥٤.

«اليمين واليسار الإسلامى من الكيان الصهيونى فى فلسطين والمصالح الأمريكية فى العالم الإسلامى»[١]. ويعتبر لويس مثالاً ممتازًا على المستشرق المستعمر، أى المرتبط دائمًا وأبدًا بمصالح الاستعمار، ويعمل فى خدمة تحقيق المصلحة الاستعمارية. وعلى الرغم من انتهاء الاستعمار فى شكله التقليدى فإن المستشرقين أمثال لويس يعملون لتحقيق المصلحة الصهيونية والاستيطانية فى فلسطين والمصلحة الأمريكية فى العالم العربى والإسلامى.

ويعتبر برنارد لويس من الشخصيات الاستشراقية ذات التأثير الكبير فى مجال الاستشراق اليهودى الصهيونى الإسرائيلى. وقد تتلمذ على يديه عدد كبير من المستشرقين اليهود وغيرهم الذين يحملون أفكاره ويروجون لها، ويعيدون إنتاج ما يغذيهم به بطريقة أو بأخرى[٢].

ويعتبر صموئيل هنتنجتون من التلاميذ المباشرين لبرنارد لويس، وقد اعتمد اعتمادًا كبيرًا على مفاهيم لويس الخاصة بين الغرب والإسلام، والصراع فى الشرق الأوسط. وتبدو آثار لويس واضحة فى كتاب هنتنجتون وعمله الرئيسى «صدام الحضارات»[٣]. ويتصف منهج لويس فى دراسة الإسلام بالتعصب الشديد والتشويه المتعمد للإسلام، وتجاهل حقائق الدين الإسلامى والحضارة الإسلامية، واتهامه العرب بمعاداة السامية، بالإضافة إلى العديد من المغالطات التى اعتمد عليها هنتنجتون مثل الربط بين الإسلام والإرهاب، ووصف الإسلام بالدموية، ووصف المسلمين بالقابلية للخضوع للحكم الاستبدادى، ووصف الإسلام بأنه عقيدة استبدادية إلى آخر هذه المغالطات[٤].

ويعود إلى لويس أيضًا جذور فكرة تصوير الإسلام والمسلمين فى صورة خطر مهدد للغرب. وهى الفكرة الرئيسية التى أشاعها هنتنجتون. وقد وجه إليه اسبوزيتو الاتهام

---

(١) المرجع السابق، ص٣٤

(٢) المرجع السابق، ص٥٦، وانظر أيضًا مازن بن صلاح مطبقانى، الاستشراق والاتجاهات الفكرية فى التاريخ الإسلامى، دراسة تطبيقية على كتابات برنارد لويس، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤١٦هـ١٩٩٥/م، ص١٧ .

(٣) جمال معوض شقرة، التهديد الإسلامى للغرب المعاصر، مرجع سابق، ص٢٩٣ .

(٤) مازن مطبقانى، مرجع سابق، ص١٩، ٩٧، ٤٧٠-٤٧١ .

بتقديم صورة عن الإسلام بأنه دين معاد للغرب، وأنه دين صراع ضد التقدم، وأنه دين التشدد والتطرف والإرهاب، وأن علاقة الإسلام بالغرب علاقة الغضب والعنف والحقد وعدم المنطق[١]. ويدَّعى لويس أن الصراع بين الإسلام والغرب أقوى مما كانت عليه المواجهة مع الحضارة اليونانية والرومانية. ويعتبر لويس صاحب مصطلح «الإسلام المسلح» حيث أطلقه على الثورة الإيرانية وأصبح منذ ذلك مصطلحًا شائعًا فى الأدبيات الغربية عن الإسلام[٢]. وهو أيضًا صاحب مصطلح «الغضب الإسلامى» والذى روج له من خلال مقال يحمل عنوان "جذور الغضب الإسلامى". وإليه أيضًا تعود عملية الربط بين الإسلام والنازية متحدثًا عن تأثير الفلسفة التربوية النازية فى الحركات الإسلامية ويعلل بذلك دعوى كراهية المسلمين للغرب[٣].

وهكذا يلاحظ الدور الذى لعبه المستشرق الصهيونى برنارد لويس فى تأصيل نظرية صدام الحضارتين الغربية والإسلامية، ودوره فى وضع مصطلحات هذه النظرية، وتأثيره الكبير على هنتنجتون إلى حد التشابه الكبير فى الأفكار، وبخاصة فيما يتعلق بنظرية الصراع الحضاريه والتى يدين فيها هنتنجتون لبرنارد لويس المنظِّر الأساسى للفكرة، ويتشابه الاثنان أيضًا فى الدور السياسى الذى لعباه كخبراء لشئون الشرق الأوسط والعالم الإسلامى لدى الدوائر السياسية الأمريكية ودورهما فى صناعة القرار السياسى الأمريكى الخاص بالعالمين العربى والإسلامى ولمصلحة الصهيونية اليهودية والتحالف الأمريكى الإسرائيلى.

ويكشف جون اسبوزيتو تأثير برنارد لويس العام على تشكيل الرؤية الأمريكية عن الإسلام والمسلمين فى الوقت الحالى فيقول: «إنه نتيجة للمكانة الدولية التى يحظى بها برنارد لويس كأحد البارزين فى شئون الشرق الأوسط فإن مقال «جذور الغضب الإسلامى» قد استقبل باهتمام واسع محليًا ودوليًا، وكان له تأثير بالغ سواء على تصورات الغرب بالنسبة للإسلام المعاصر، أو على الكثير من تصورات المسلمين عن الكيفية التى ينظرون بها فى الغرب إلى الإسلام والمسلمين»[٤]. ويقول اسبوزيتو إن

---

(١) المرجع السابق، ص٥٣١-٥٣٢، وانظر اسبوزيتو، مرجع سابق، ص٣٨-٤١.

(٢) مازن مطبقانى، مرجع سابق، ص٥٣٥.

(٣) المرجع السابق، ص٥٤١.

(٤) جمال معوض شقرة، التهديد الإسلامى، مرجع سابق، ص٣٠٢.

مقال لويس موجه ضد الإسلام، وأن فكرته الأساسية فكرة تحريضية مستفزة ضد الإسلام والمسلمين»[(١)] .

### رابعًا : جورج بوش وحرب الحضارات

أدت أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١م إلى تحول جذرى وخطير فى سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه العالم الإسلامى فى الخارج وتجاه المسلمين فى الداخل الأمريكى. وحددت الولايات المتحدة الأمريكية الإرهاب كقضية رئيسية فى سياستها الخارجية والداخلية بل وفى تشكيل علاقاتها الخارجية، وفى تكوين استراتيجيتها المستقبلية تجاه العالم ككل بشكل عام، وتجاه العالم الإسلامى ومنطقة الشرق الأوسط على وجه الخصوص. وبدأت أمريكا حربها ضد الإرهاب بعد أن نجحت فى تكوين تحالف دولى لمواجهة الإرهاب، وبدأ هذا التحالف عمله بضرب أفغانستان ومتابعة فلول القاعدة، والقضاء على طالبان. وشن حربها الثانية ضد العراق وتهديد عدد من البلاد الأخرى.

وقد كان أول رد فعل للرئيس الأمريكى جورج بوش تجاه هذه الأحداث وصفها بأنها حملة صليبية، مجددًا استخدام مصطلح دينى محمل بدلالات لاهوتية مثيرة للخوف. ولم يفلح سحبه واعتذاره عن هذا التعبير فى التخفيف من حدة المخاوف وبخاصة لأن سياسة جورج بوش بعد ذلك أثبتت أننا أمام حملة صليبية، وأن العالم الإسلامى قد دخل من جديد فى مرحلة حروب صليبية جديدة وبخاصة إذا وضعنا فى الاعتبار أمرين : الأول كون جورج بوش أمريكيًا مسيحيًا أصوليًا يمينيًا، وينتمى إلى أصولية مسيحية مسلحة، والثانى أن سياسة جورج بوش فى فلسطين تذكرنا بأهداف الحملات الصليبية إلى فلسطين واستعادة فلسطين ليس إلى حظيرة المسيحية كما فعلت الحروب الصليبية، ولكن إلى حظيرة الصهيونية اليهودية داخل إطار لاهوتى صهيونى مسيحى معقد يحقق مصلحة يهودية على المدى القريب، ويحقق مصلحة صهيونية مسيحية فى فلسطين على المدى البعيد[(٢)] .

(١) المرجع السابق، ص٣٠٢ .

(٢) محمد خليفة حسن، البعد الدينى للصراع العربى الإسرائيلى، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد ٨، عام ١٩٩٩م؛ وانظر أيضًا، جريس هالسل النبوءة السياسة، الإنجيليون العسكريون فى الطريق إلى الحرب النووية، ترجمة محمد السماك، طرابلس ١٩٩٠م.

ويشير خطاب الرئيس الأمريكى جورج بوش، والذى وجهه إلى المسلمين وقادتهم بمناسبة شهر رمضان الأسبق، إلى التأكيد على النزعة الصدامية المسيطرة على بوش على الرغم من نغمة النصيحة المسيطرة على الخطاب. والحقيقة أن الخطاب يشير إلى وعى كامل بنظرية صدام الحضارات. ويمكن من خلال التحليل النصى الوصول إلى حقيقة تأثر بوش فى خطابه بلغة صموئيل هنتنجتون الصدامية، وبأسلوب أصحاب نظرية الصدام بين الحضارتين الإسلامية والغربية من مفكرى الغرب.

وتأتى فاتحة الخطاب لكى لا تترك شكًا فى أن بوش يستخدم لغة صدام الحضارات حيث تقول الافتتاحية : «إلى قادة العالم الإسلامى من الرئيس جورج بوش (لاحظ أن الخطاب موجه إلى القادة وليس إلى جمهور المسلمين) فيما أنتم مقبلون على نهاية شهر رمضان، ونحن مقبلون على عيد الشكر، أعتقد أن الوقت مناسب لكى نتبادل ونناقش بعض المخاوف (لاحظ أن الخطاب لم يبدأ بتوجيه التهنئة بمناسبة شهر رمضان، وهو خطاب موجه خصيصًا لهذه المناسبة). اسمحوا لى أن أقول بصراحة ووضوح ودون أى مجاملة إننى أشعر بقلق متزايد من أننا مقبلون على حرب حضارية»[1].

ونظرًا لأهمية هذا الخطاب فى الكشف عن سيطرة نظرية صدام الحضارات على السياسة الأمريكية ودورها فى تشكيل العلاقات الدولية الجديدة للولايات المتحدة الأمريكية نورد النص الكامل للخطاب، فهو نموذج لأسلوب الخطاب الصدامى على مستوى العلاقات بين الحضارات. ونظرًا لأهمية الفقرة الختامية فى البرهنة على هذا الاتجاه نكررها هنا حيث يختتم بوش خطابه قائلاً : «أصدقائى، ما لم تخوضوا حربًا داخل حضارتكم، ستكون هناك حرب بين حضارتينا، إذ بيننا وبين ذلك ١١ سبتمبر أخرى، لذا فلنخصص هذا العام المقبل لمكافحة التعصب فى الداخل حتى نستطيع المحافظة على علاقتنا»[2].

أما نص الخطاب كاملاً فهو كما يلى :

«إلى قادة العالم الإسلامى. . . من الرئيس جورج بوش ... فيما أنتم مقبلون على

---

(١) انظر النص الكامل للخطاب فى جريدة الشرق الأوسط تحت عنوان : حتى لا تكون هناك حرب بين حضارتينا، توماس فريدمان، الشرق الأوسط، ٢٨/١١/٢٠٠٢م

(٢) المرجع السابق.

نهاية شهر رمضان، ونحن مقبلون على عيد الشكر، أعتقد أن الوقت مناسب لكى نتبادل ونناقش بعض المخاوف. اسمحوا لى أن أقول بصراحة ووضوح ودون أى مجاملة إننى أشعر بقلق متزايد من أننا مقبلون على حرب حضارية.

كيف؟ اسمحوا لى بالإشارة إلى بعض الأخبار التى وردت خلال الأيام الأخيرة. فقد قال إمام سامودرا، الإندونيسى المتهم بتدبير انفجار بالى الذى أودى بحياة حوالى ٢٠٠ سائح، عند الإدلاء باعترافاته بأن القنبلة التى دمرت الملهى «قنبلة مقدسة» وأن هذا الموقع استهدف لأنه مكتظ بالأجانب، أى غير المسلمين، ليس هناك ما هو «مقدس» فى قنبلة تقتل ٢٠٠ شخص بسبب كونهم أجانب. قرأت بعد ذلك قصة بونينر، وهى ممرضة أميركية شابه تعمل فى عيادة تعنى بالاهتمام بالنساء الحوامل بمنطقة صيدا فى لبنان. أطلقت النار على الممرضة ثلاث مرات فى الوجه. وحول ما تعرضت له الممرضة الأميركية قال ضابط أمن فلسطينى لوكالة أنباء إن قتل الممرضة كان نتيجة رد فعل غاضب من المسلمين فى منطقة صيدا إزاء عمليات التبشير والدروس التى تقدم للشباب المسلم. هل تدركون عدد الداخلين حديثًا إلى المجموعات الإسلامية فى أميركا؟ إنه عدد كبير، ولكن ليس لدينا مشكلة فى ذلك. هؤلاء نحن، فمن أنتم؟ ليس لدى فكرة ما إذا كانت الممرضة المقتولة ضالعة فى تغيير دين المسلمين، لكننى متأكد من أنها تقدم الرعاية للمسلمين وأنها تعرضت للقتل بسبب المهمة التى كانت تؤديها. علاوة على ذلك ألقى القبض على إمام مسجد فى باريس بتهمة معاونة «صاحب الحذاء المتفجر». تعرض جنديان أميركيان لإطلاق النار فى الكويت التى أنقذتها الولايات المتحدة من صدام بالإضافة إلى مقتل مسؤول أميركى كبير فى الأردن أمام منزله بسبب جريمة كونه أميركيًا يقيم فى العالم الإسلامى. الآن عرفتم السبب وراء إصدارى أوامر إلى دائرة الهجرة والتجنيس الأميركية بتصوير وتسجيل بصمات كل الطلاب العرب الذين يدرسون فى الولايات المتحدة. لم يكن أمامى خيار آخر.

تقولون إن هذه الأشياء تحدث بسبب تأييدنا لإسرائيل. أدرك أننا فى حاجة إلى فعل المزيد لإحلال السلام، لكننى لا أعتقد أن مقتل الممرضة و«قدسية» تفجير بالى قد وقعا لأننا ندعم إسرائيل. أعتقد أن لهذه الأحداث صلة بتزايد روح عدم تسامح عميقة فى أوساطكم لم تأت كرد فعل لإسرائيل، وإنما كرد فعل لدولكم الضعيفة وتبديد أموال

النفط والأيديولوجيات التى أخفقت (الناصرية) وأجيال الحكم الأتوقراطى، والأمية الأصولية الغاضبة والمسلحة باتت تشكل استفزازًا وتهديدًا للمسلمين المعتدلين.

من خلال القيم التى تحاول الترويج لها، ستجلب لك الأصولية الدمار وتظل معنا فى نزاع. وكما كتب برينك ليندسى فى « ناشيونال ريفيو»: لا يمكن أن يقوم معتقد دينى على استظهار نصوص قديمة دون فهمها، ويمنع الفحص النقدى والاختلاف، ويخضع النساء، والإذعان التام للسلطة، إذ لا ينذر ذلك فى مجمله إلا بالانهيار الحضارى.

مطلوب من الوسط الإسلامى، وهو جدير بالاحترام رغم ضعفه، أن يواجه الأصولية المتشددة. نعم، لدينا أيضًا متشددون من النوع المتعصب. فقد نأيت بنفسى علنا عن المسيحيين الذين يشوهون الإسلام بصورة عامة، كما أن أغلبيتنا المعتدلة وصحافتنا أدانت هؤلاء الذين لا غلبة لهم فى مجتمعنا. خضنا مسبقًا أيضًا حربنا الأهلية ضد التعصب، ونطلب منكم الآن أن تخوضوا حربكم أنتم، ولا تقولوا أنكم لن تستطيعوا ذلك. انظروا إلى الطلاب الإيرانيين الشجعان الذين يواجهون الأصوليين المتطرفين داخل مجتمعهم مخاطرين بحياتهم فى مواجهة الذين يريدون العودة بالإسلام إلى العصور الوسطى.

أصدقائى، ما لم تخوضوا حربًا داخل حضارتكم، ستكون هناك حرب بين حضارتينا، إذ بيننا وبين ذلك ١١ سبتمبر أخرى، لذا فلنخصص العام المقبل لمكافحة التعصب فى الداخل حتى نستطيع المحافظة على علاقتنا ».

***

# الفصل الثانى

# العولمة وصراع الحضارات على المستوى العالمى

أولاً: العولمة الوجه الأخير والمعاصر للحضارة الغربية.

ثانياً: المخاطر الثقافية للعولمة.

ثالثاً: المخاطر السياسية للعولمة.

## العولمة وصراع الحضارات على المستوى العالمى

### أولاً: العولمة أو الوجه الأخير للحضارة الغربية

تمثل العولمة الوجه الأخير من وجوه الحضارة الغربية الحديثة، وهى بلا شك تمثل المرحلة الأخيرة من مراحل تطور الحضارة الغربية. ولا يهمنا الآن الحديث عن الجانب السياسى والاقتصادى للعولمة، وذلك من أجل التركيز على الجانب الثقافى الذى سيؤدى بنا إلى تحديد موقف العولمة من حوار الحضارات باعتبار العولمة مرتبطة بالحضارة الغربية وبالثقافة الغربية.

ولا شك فى أن المرحلة الحالية من العولمة هى مرحلة تغيير المفاهيم والأفكار ذات الطابع الثقافى الإقليمى أو المحلى واستبدال الثقافة الإقليمية بثقافة عالمية هى الثقافة الغربية، أو الثقافة الأمريكية على وجه التحديد. فالعولمة الأمريكية تهدف إلى أمركة العالم، ونفى الوجود الثقافى للآخر، وتعميم نمط حضارى واحد وفرضه على شعوب العالم. ويجب أن نؤكد أيضًا أن الحضارات الأخرى لم تشترك مع الحضارة الغربية فى تطوير العولمة، كما أن هذه الحضارات أصبحت فى مأزق حقيقى يتمثل فى ضرورة المحافظة على نفسها وعلى هويتها وخصائصها فى الوقت التى هى فيه مطالبة بقوة بالتفاعل مع العولمة ومعطياتها وقبولها داخل إطار المنظومة الثقافية والاقتصادية الغربية حيث تتمركز العولمة حول الغرب وحضارته.

ويشير مفهوم العولمة إلى أن الغرب يسعى إلى التخلص من الثقافات والحضارات الإنسانية، ويعلن الحضارة الغربية كحضارة واحدة ووحيدة للعالم. فقد اعتبر فوكوياما الغرب هو نهاية التاريخ، واستبعد كل الأمم والحضارات الأخرى. ونجد أن هنتنجتون فى نظرية صدام الحضارات يؤكد على صراع الغرب مع الحضارات الأخرى. والعولمة

تضع أساسًا لمرحلة جديدة من الصراع بين الحضارات الغربية والحضارات الأخرى .

هذا الموقف الغربى المتمثل فى تبنى نظريات العولمة وصدام الحضارات ونهاية التاريخ يشكك فى قيمة حوار الحضارات . فالحضارات حسب هذه النظريات تتصادم ولا تلتقى وبالتالى فالحوار بينها يصبح مستحيلاً . ولا يتوقف الأمر عند حدود إمكانية الحوار بين الحضارات ، ولكن يتجاوز هذا إلى تهديد وجود الحضارات غير الغربية من خلال الانتصار للحضارة الغربية ، وتهديد الثقافات الوطنية والمحلية ، والعمل على فرض هيمنته الثقافية الواحدة وهى الثقافة الغربية . والعولمة كما أنها مهددة لمفهوم الدولة ولاستمرارية الدول فى المستقبل فهى أيضًا مهددة للحضارات غير الغربية من حيث وجودها ومستقبلها ، فالعولمة مرتبطة بالنظام الثقافى الغربى وبالحضارة الغربية .

## ثانيًا: المخاطر الثقافية للعولمة

من أهم مخاطر العولمة تأثيرها على الهوية الثقافية . فمن المعروف أن الجانب الاقتصادى البحت فى العولمة جانب تستطيع الشعوب أن تطور إمكاناتها فيه وتزود خبرتها فى المسائل المرتبطة بنظام السوق حسب التطورات الاقتصادية الجديدة .

أما بالنسبة للجانب الثقافى من العولمة فهو يمثل الخطر الحقيقى على ثقافات الشعوب . فالعولمة على حسب الفهم الغربى لها ليست مجرد اتجاه نحو تقسيم العمل وانتشار التكنولوجيا الحديثة من مركزها فى العالم المتقدم اقتصاديًا إلى العالم الثالث المتخلف تكنولوجيًا وزيادة الإنتاج أضعافًا مضاعفة ، فالعولمة مرتبطة بالنظام الثقافى الغربى ومرتبطة بالحضارة الغربية ، وتحمل فى طياتها تغييرًا جذريًا فى القيم والمبادىء والمعايير وأنماط السلوك ، بل وتحمل معها أيضًا النظام الغربى فى مستوياته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والحضارية ، وهناك فريق من أبناء العالم الثالث منبهر بالحضارة الغربية عمومًا ، ويجد فى العولمة فرصة لنشر الثقافة والحضارة الغربية والعمل بها . فالخطر يأتى من الغرب فى محاولة فرض هذه الثقافة الناتجة عن العولمة ، ويأتى من الداخل فى عملية الانبهار الثقافى بالغرب ، واعتبار العولمة باب الانفتاح إلى الثقافة الغربية .

وهناك عدة سلبيات ناتجة عن هذا الاتجاه إلى العولمة من الناحية الثقافية. فمن ناحية تعد العولمة طريقًا لوقوع البلاد الشرقية تحت الاستغلال الاقتصادى الغربى حيث تسيطر الشركات العالمية المتعددة الجنسيات على حركة التجارة العالمية، وتتحول دول العالم الثالث إلى مجرد سوق لهذه الحركة؛ لأن أهلها غير قادرين على المشاركة الفعلية فى نظام السوق فيتحولون إلى مستهلكين لما ينتجه الغرب ولما تنتجه الشركات الكبرى. وتعكس العولمة كل سلبيات النظام الرأسمالى وتحمل الاستثمارات الأجنبية فى طياتها غزوًا ثقافيًا، ومن الحماية الثقافية منع وقوع هذا الاستغلال.

وتحمل العولمة أيضًا بعدًا دينيًا قد لايكون واضحًا، فالعولمة آتية من الغرب المسيحى اليهودى، وفى نفس الوقت هو الغرب العلمانى. والقيم الواردة مع العولمة تحمل هذين الطابعين: أحدهما طابع دينى مرتبط بالمسيحية واليهودية، والآخر طابع علمانى مرتبط بانتشار الثقافة العلمانية اللادينية فى الغرب، ومن الطبيعى أن تترك العولمة تأثيراتها الدينية من خلال الاتصال الدينى والتوجهات الدينية واللادينية التى تسيطر على الغرب الذى يسعى دائمًا إلى استغلال كل الوسائل الممكنة للدمج بين الانتشار الاقتصادى والانتشار الفكرى، ولا ننسى أن الاقتصاد نفسه يعكس قيمًا مرتبطة بطبيعة الفكر المأخوذ عنه.

وتمثل العولمة أيضًا خطرًا على القوميات المختلفة وذلك لأن الغرب يسعى إلى القضاء على الطابع القومى للشعوب، وكلمة عولمة تحمل هذا المعنى فهى ضد التفكير القومى الإقليمى المحدود جغرافيًا، وهى تعنى أيضًا نشر ثقافة إقليم بعينه فى كل العالم وتحويل هذه الثقافة القومية إلى ثقافة عالمية، وهذه الثقافة المراد نشرها هى الثقافة الغربية الأمريكية.

فالعولمة تقضى أولاً على الاستقلال الاقتصادى وتقضى على التجمعات الاقتصادية الإقليمية ومن باب أولى أنها تقضى على التوجهات الاقتصادية القومية، ولا ترضى إلا بالتبعية للنظام الاقتصادى العالمى.

ولذلك تجد العولمة ردود فعل مختلفة ومتناقضة وقد تسببت فى حدوث تشتت فكرى وثقافى بسبب خروجها على حدود الاقتصاد وآليات السوق إلى مجال الانتشار الثقافى، أو ما يمكن أن نسميه بالعولمة الثقافية والتى لا يمكن أن تتحقق إلا بالتبعية

لثقافة واحدة على حساب الثقافات الأخرى فهى ضد التعددية الثقافية. ولذلك يجب على الشعوب أن تحتاط ثقافيًا وتحاول أن تستفيد من الجوانب الاقتصادية للعولمة وتضع لنفسها استراتيجية للمقاومة على المستوى الثقافى وإلا انتهت المسألة بنهاية مأساوية لكل الثقافات فى سبيل أن تحيا ثقافة واحدة، وتسيطر على كل الثقافات الأخرى بل تلغيها تمامًا وتمحوها من الوجود، ولا نشك أن العولمة ستأتى بالفقر الثقافى للشعوب، فتعدد الثقافات كان دائمًا وأبدًا سببًا فى الثراء الحضارى للشعوب.

ويتصف نظام العولمة بالعديد من السلبيات التى بدأت فى الظهور والتبلور بعد ما يقرب من عقد أو أكثر من الاتجاه إلى العولمة.

ولعل من أهم هذه السلبيات التوجه إلى إضفاء الطابع العالمى على الثقافات والهويات والأسواق، والاقتصاد، وأنماط التفكير والسلوك والذوق، وطرق الاستهلاك. وخطورة هذا الاتجاه إلى الطابع العالمى هو طمس الطابع الإقليمى والمحلى لحساب طابع مهيمن أو يرغب فى فرض الهيمنة من خلال إجبار شعوب العالم على اتباع ثقافته ونظامه، إن نظام العولمة - على حسب الفهم الغربى له عمومًا وعلى حسب الفهم الأمريكى له على وجه الخصوص - يسعى إلى القضاء على التعددية الثقافية والحضارية بين المجتمعات البشرية حيث تسعى الحكومة الأمريكية والنخبة السياسية والإعلامية فى أمريكا وكذلك الشركات الأمريكية الجبارة إلى فرض النظام الأمريكى والأسلوب الأمريكى على شعوب العالم، وعلى حساب قيم هذه الشعوب وأساليب حياتها وثقافاتها.

ولاشك فى أن منطق العولمة الآن يقوم على سياسة استبعاد شعوب وثقافات معينة ومحو الإقليمية والمحلية بزعم أن الإقليمية والمحلية تقوم على سياسة الانغلاق وعدم التسامح ورفض الاندماج. بل وتهدف العولمة حسب الفهم الأمريكى إلى استبعاد دول معينة وعزلها وفرض الحصار عليها مثل العراق والسودان وليبيا وكوبا وكوريا الشمالية وإيران، وإبعاد هذه الدول عما يسمى بأسرة الدول الحرة، وسياسة الاستبعاد هذه لا تنطبق على الحكومات فى هذه الدول ولكن تنطبق أيضًا على الشعوب. فالحصار يشمل الحكومات والشعوب بهدف الاحتواء والقضاء على النظم الإقليمية ومحاولة إعادة تكييف هذه النظم مع النظام العالمى الجديد، إنه اتجاه إلى تفكيك الأبنية

والاتجاهات القومية المشتركة والانتماء القومى، والاقتصاد هو بطبيعة الحال وسيلة تحقيق هذا الهدف.

ومشروع الشرق أوسطية يجب أن يفهم داخل هذا الإطار الساعى إلى تفكيك الروابط القومية التى تربط مجموعة الدول العربية، وفرض مشروع الشرق أوسطية بدلاً من مشروعات الوطن العربى، والوحدة العربية، والنظام الإقليمى العربى[1]، ولذلك فإن الشرق أوسطية تعد من أشد النظم خطورة على العالم العربى فهى تهدد خصوصيته، وتسعى إلى القضاء على تميزه الثقافى، وعلى العلاقات التاريخية والدينية والحضارية التى تربط شعوب العالم العربى، وترفض مفهوم القومية العربية، وتعتبر الوحدة العربية على أى مستوى من المستويات، أمرًا مهددًا للعولمة.

لا شك فى أن العولمة بهذه الصورة تصبح مظهرًا من مظاهر السيطرة الأمريكية على العالم وهى نوع جديد من الاستعمار غير الاستيطانى، والذى لا يعمد إلى الجيوش لكى يستعمر، ولكنه يتخذ الاقتصاد وسيلة لتحقيق السيطرة.

وتتميز هذه العولمة بظهور الولايات المتحدة الأمريكية كزعيم أوحد بعد سقوط الاتحاد السوفيتى يحاول أن يخضع الشعوب لثقافته ولنظامه الاقتصادى. فالعالم بدأ ينتقل من المركزية الأوربية إلى النزعة المركزية الأمريكية، وهى نزعة متأصلة فى السياسة والثقافة الأمريكية، ولم تبدأ فى الانتشار والتطبيق إلا بعد تدهور القارة الأوربية سياسيًا وتدهور الوحدة الأوربية، وكذلك تفكك الاتحاد السوفيتى وسقوطه الأمر الذى أعطى الفرصة للولايات المتحدة الأمريكية لكى تنفرد بالعالم وتعمل على إشاعة ما يسمى بمفهوم السلام الأمريكى **Pax Ameicana** الذى يتمحور حول الذات الأمريكية بعد أن ظلت أوربا هى المحور لعدد من القرون نتج عنها الاستعمار الأوربى لمعظم العالم الآسيوى والإفريقى بل والأمريكى نفسه.

إن العولمة تمثل خطرًا حقيقيًا على العالم العربى بل على العالم الثالث كله. فالعولمة نظام يتجاوز الحدود ونطاق السيادة الوطنية، ويخترق الهويات القومية والاقتصاد

(١) فيصل محمود الغرايبة، دخول العرب فى القرن الحادى والعشرين، ظروفه وشروطه، مجلة شئون عربية، عدد خاص عن «العرب والقرن الحادى والعشرين»، العدد ١٠٣، سبتمبر ٢٠٠٠م، ص٥٦-٥٧

المحلى والأسواق المحلية والثقافات الإقليمية والمحلية لكى يحقق المركزية الأمريكية والسيطرة الأمريكية من خلال ما يسمى بالاقتصاد العالمى، ومن خلال منظمات عالمية مثل صندوق النقد الدولى، والبنك الدولى، ومنظمة التجارة العالمية ونادى باريس، وعن طريق الشركات الكبرى التى تتعدى الجنسيات وتسيطر على رؤوس الأموال وتدفقاتها، وتسيطر أيضًا على حركة الاستثمارات فى العالم، وعلى الإعلام والمعلومات من خلال ثورة الاتصال وثورة الإدارة والتسويق والدعاية والإعلان، والتحكم فى المعرفة ومصادر المعلومات والسيطرة عليها واحتكارها وحرمان الشعوب الضعيفة منها بل والسيطرة على مقدراتها. إنه استعمار جديد بأسلوب يقضى على القوميات والهويات بدون حروب.

### ثالثا: المخاطر السياسية للعولمة

ومن أهم المشاكل التى تثيرها العولمة وما نتج عنها من نظام عالمى جديد مشكلة وضع الدولة ومستقبل الدولة فى ظل العولمة[1]، فالبعض يعتبر أن العولمة ستؤدى إلى اختفاء نظام الدولة، بينما يرى البعض الآخر أن الدولة لن تختفى ولكن سيتم تفكيكها إلى أجزاء منفصلة متميزة من الناحية الوظيفية، ويصبح لهذه الأجزاء علاقات مع شبيهاتها فى الخارج بمعنى أن الهيئات والمؤسسات والمحاكم والهيئات التشريعية تقيم شبكات من العلاقات مع نظرائها فى الخارج، وتشكل معًا نظامًا جديدًا عابرًا للحكومات أكثر أنماط الحكم الدولى انتشارًا وفعالية. وقد فرضت مثل هذه الأنماط فرضًا نذكر منها على سبيل المثال مشكلة الإرهاب، وتدهور البيئة، والجريمة المنظمة، ومشكلة غسيل الأموال والإفلاس المصرفى، وغير ذلك من المشاكل ذات الطابع الدولى والتى لا تستطيع دولة بمفردها أن تواجهها، وقد أقامت بعض المنظمات شبكات خاصة بها وأصبحت تمارس وظائفها بعيدًا عن الدولة، ويلاحظ هذا بشكل واضح فى الأعمال المصرفية لمواجهة عمليات الإفلاس حيث تكونت لجان من رؤساء البنوك ومديرى أسواق الأوراق المالية، ومسئولى مناهضة الاحتكار، ورجال البنوك، ورجال الأعمال

(١) حلمى شعراوى، «الشرق أوسطية ومأزق الوجود العربى وضرورة الوحدة» فى كتاب الشرق أوسطية مخطط أمريكى صهيونى، مكتبة مدبولى، القاهرة، ص١٣ .

والمحامين تقوم بعملها بعيدًا عن سيادة الدولة، والمثال على ذلك أن مؤسسات وول ستريت عادة ما تلجأ إلى لجنة بازل لرؤساء البنوك المركزية ولا تعود إلى البنك الدولى[1].

ومثال آخر على هذا يتمثل فى أن المحامين العاملين فى مجال حقوق الإنسان يعملون على إيجاد استراتيجيات للتقاضى للتعامل مع المحاكم المحلية بدلاً من تقديم الالتماسات إلى لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة.

ويعتبر هذا الاتجاه العابر للحكومات عنصرًا أساسيًا فى السياسة الخارجية التى تقوم على التشاور الثنائى وهى تطرح آليات جديدة للعمل تتبعها الآن الولايات المتحدة الأمريكية بهدف توسيع مجتمع الديمقراطيات الليبرالية حسب الفهم الأمريكى حيث يسود الاعتقاد فى أن عالمًا جديدًا بدأ يظهر إلى الوجود تتلاشى فيه الحدود، فالنظام العابر للحكومات نظام عالمى أكثر فاعلية ومسئولية. ويعتقد أن هذا النظام العابر للحكومات يؤدى إلى تحكم المواطنين المحليين فى المؤسسات الحكومية. ومن هنا فلاشك فى أن العولمة تسعى إلى تفتيت الوحدة الوطنية وإضعاف سلطة القائمين على القوانين المحلية الوطنية. والعولمة تقود إلى التدويل أو تحويل السلطة إلى المنظمة من المستوى الوطنى إلى مؤسسة دولية. وتعمل العولمة على تسخير سلطة الدولة وقوتها للبحث عن حلول للمشاكل العالمية وتنفيذ هذه الحلول، وذلك بعد فشل المؤسسات الدولية فى حل المشاكل العالمية، وقد قامت المنظمات غير الحكومية بدور كبير فى تعويض القصور الذى أصاب المؤسسات الدولية.

ولا شك فى أن العولمة لن تؤدى إلى إلغاء الحكومات إذ لا يمكن للحكم أن يقوم بدون حكومة لها سلطات، لذلك يعتقد البعض أن المنظمات غير الدولية ستؤدى إلى تقوية الدولة من خلال إثبات صحة وجود الدولة فى النظام العالمى، والسيادة الخاصة بالدولة أصبحت تعنى قدرة الدولة على أن تشارك فى عضوية الأنظمة التى تشكل جوهر الحياة الدولية.

---

(١) فؤاد نهرا، الوطن العربى وتحديات العولمة، بين واقع التجزئة وضرورة الوحدة. مجلة معلومات دولية، العدد ٥٨، خريف ١٩٩٨م، دمشق، ص٦٩-٧١؛ وانظر أيضًا، عمر مقداد، الصراع بين العولمة والهوية، نفس المرجع، ص١٠٣-١٠٤.

ومن المعروف أن دول العالم الثالث ستكون أقل الدول قدرة على تحقيق هذه المشاركة فى عضوية الأنظمة الدولية وفقًا لنظام العولمة، ولذلك فالخطر الشديد يهدد هذه الدول والحكومات التى لن تستطيع توفيق أوضاعها فى ظل نظام العولمة بينما لا تجد الدول الصناعية الكبرى، وكل دول أوربا صعوبة فى الانتظام داخل هذه المنظومة الجديدة، فاقتصادها والتكنولوجيا التى تملكها والمؤسسات الاقتصادية الكبرى والبنوك التى تملكها تمكنها من تحقيق هذا التوفيق، وهكذا فالعولمة تزيد الأغنياء غنى، وتزيد الفقراء فقرًا، وستزداد الهوة وتتسع بين عالم الأغنياء وعالم الفقراء فى ظل النظام العالمى الجديد.

لا شك فى أن ظاهرة العولمة ظاهرة لم يسبق لها مثيل فى تاريخ العلاقات الدولية. فقد شهد العالم قديمًا وحديثًا ظهور قوى إمبراطورية سعت إلى فرض سيادتها على مناطق متعددة من العالم، بل قد ظهرت قوى سعت إلى فرض السيادة على العالم كله، وذلك بالوسائل التقليدية وهى الاستعمار والاحتلال والاستيطان، وغير ذلك من الوسائل، وهناك من بين هذه القوى من ادعى العالمية على المستوى الحضارى، وسعى إلى فرض حضارته على الحضارات الأخرى، وذلك باستخدام القوة السياسية والعسكرية كوسيلة لفرض السيادة الحضارية والثقافية، أما المكاسب الاقتصادية فكانت نتيجة حتمية للانتصارات السياسية والعسكرية.

أما العولمة فهى ظاهرة مختلفة تمامًا عن كل ما حدث فى التاريخ القديم والوسيط والحديث، فهى ظاهرة معاصرة ولايمكن أن نسميها - بشكل مباشر - ظاهرة استعمارية وإن أخذت فى بعض الأحيان مظهر الفلسفة الاستعمارية أو نتج عنها سلبيات بالنسبة لدول العالم الثالث تشبه سلبيات العصر الاستعمارى أو المرحلة الاستعمارية.

إن العولمة تأخذ شكلاً إيجابيًا براقا يظهر فى ازدياد العلاقات المتبادلة بين الأمم، وذلك فى تبادل السلع والخدمات، وفى انتقال رؤوس الأموال وفى انتشار المعلومات والأفكار، وفى تأثر الأمم بقيم وعادات وافدة إليها مع هذه العلاقات ذات الطابع الاقتصادى.

ولكن على الرغم من هذا الشكل الإيجابى للعولمة فإن لها آثارًا جانبية شديدة

الخطورة على مستقبل الأمم وبخاصة فى العالم الثالث الذى لا تزال معظم دوله فى حالة تخلف اقتصادى وحضارى عن دول العالم الغربى . وهذا التخلف سيؤدى إلى أن الغرب ـ المتقدم علميًا وتكنولوجيًا واقتصاديًا ـ هو الذى سيجنى ثمار العولمة لأنه القادر على التعامل مع معطياتها بل إن العولمة هى من نتائج الرأسمالية الصناعية الغربية ، وهذه النتيجة مفروضة على دول العالم الثالث بحكم سيطرة الغرب على حركة رأس المال وعلى حركة التجارة العالمية .

**ومن أهم الآثار السلبية للعولمة على العالم الثالث ما يلى:**

١- زيادة نسبة الفقر والتبعية الاقتصادية فى دول العالم الثالث ، وبالنسبة للعالم العربى فقد تم تقدير نسبه الفقر أو عدد الفقراء بـ ٧٣ مليون عربى يعيشون تحت خط الفقر ، وهى نسبة كبيرة تصل إلى ثلث سكان العالم العربى تقريبًا .

٢- إضعاف الدولة القومية ، وذلك لأن الدولة تصبح فاقدة للسيطرة على سياستها الاقتصادية التى لم تعد تخضع لظروف السوق المحلية أو الإقليمية ولكنها خاضعة لمعطيات السوق الدولية وحركة التجارة العالمية وتفعيل قوى السوق ، وهى جميعًا عناصر تصب فى مصلحة الدول الأقوى اقتصاديًا وسياسيًا .

٣- يواجه العالم العربى خطرين للعولمة فى وقت واحد : الخطر الأول يتمثل فى نتائج العولمة على المستوى العالمى باعتبار العالم العربى جزءًا من العالم الثالث ، ولا يملك إمكانات تحقيق وضع اقتصادى قوى فى ظل العولمة . أما الخطر الثانى فيتمثل فى وجود مشروع خاص للعولمة داخل منطقة الشرق الأوسط تتولاه إسرائيل التى تحاول فرض تصورها الخاص بالعولمة على الدول العربية المحيطة بها ، وقد تم تقديم هذا التصور من خلال مشروع الشرق أوسطية حسب الفهم الإسرائيلى الأمريكى له[١] .

هذه الآثار السلبية للعولمة تحتاج من العالم الثالث عمومًا ، ومن العالم العربى خصوصًا ، وضع استراتيجية لمواجهة الآثار السلبية ، ويجب على واضعى هذه الخطة

---

(١) محمود حيدر ، مفهوم السيادة بعد الحرب الباردة : الدولة المعولمة ، مجلة معلومات دولية ، العدد ٥٨ ، خريف ١٩٩٨م ، ص٤٧-٤٨ .

الاستراتيجية أن يدركوا أن هدف هذه الخطة ليس الخروج على العولمة، ولكن التفاعل معها باعتبارها ظاهرة عالمية مفروضة على الجميع، وباعتبارها نتيجة حتمية للتقدم الصناعي والتكنولوجي.

وبالنسبة للعالم العربي يجب أن تكون أهداف هذه الاستراتيجية تحقيق السلام القومي بين العرب، وتطوير العلاقات العربية نحو نوع من الوحدة أو الاتحاد حول الأهداف القومية العربية، والاهتمام بإقامة كيان اقتصادي عربي يمثل قاعدة للوحدة الاقتصادية العربية، وإقامة سوق عربية مشتركة تمكن العرب من الوقوف كقوة اقتصادية قادرة على مواجهة الآثار السلبية للعولمة، وقادرة في نفس الوقت على خلق الظروف الاقتصادية التي تمكن العرب من تحقيق الاستفادة الحقيقية من المعطيات الاقتصادية للعولمة.

وهناك ردود فعل عالمية تجاه العولمة في ظل الهيمنة الأمريكية، وهي ردود فعل مضادة وتأتي من دول قوية وكثير منها دول أوربية ترى في العولمة الأمريكية خطرًا على الثقافة الأوربية.

إن هذه الدول الأوربية مثل فرنسا وكندا لا تخشى العولمة في شكلها الاقتصادي فهي دول قوية اقتصاديًا، وهي تتبع بالفعل النظام العالمي الجديد فيما يتعلق بجوانبه الاقتصادية وتطبق قانون الجات، وتتبع نظام السوق بكامله، وذلك لأنها تملك الإمكانات التكنولوجية والمعرفية الكافية التي تمكنها من المنافسة في ظل نظام السوق، وهي قادرة على حماية منتجاتها وتطويرها وتسويقها.

أما الذي تخشاه هذه الدول القوية اقتصاديًا فهو الجانب الثقافي للعولمة، حيث ترى فرنسا وكندا وغيرها أن هيمنة الثقافة الأمريكية على الثقافات الأخرى هو اعتداء على الشخصية الثقافية، وعلى الهوية القومية، وفيه خطورة على مستقبل الثقافة الفرنسية في ظل العولمة. فالولايات المتحدة الأمريكية تهيمن على الحركة الكونية في مجال الاتصالات والمعلومات والأفكار، وأصبحت الأفلام الأمريكية والموسيقى، وبرامج التليفزيون الأمريكية، وكذلك برامج الكمبيوتر الأمريكية تهيمن على الأسواق العالمية، وتؤثر في الأذواق، وتغير من السلوك الفردي والجماعي، وفي النهاية تؤدي إلى تغيّر في القيم الثقافية، وفي العادات والتقاليد الاجتماعية.

ولهذا السبب تعمل فرنسا وكندا حاليًا على مقاومة النفوذ الثقافى الأمريكى الوافد إليها فى ظل نظام العولمة، وتم إصدار قوانين تحظر نشر المواد الأمريكية ونقلها، وتضع قيودًا على حركة هذه المواد وانتشارها وإبعاد المواطن الفرنسى والكندى عن كل ما يبثه الأمريكيون من أفكار ووجهات نظر وتلوث فكرى، محافظة منهما على الشخصية الثقافية لفرنسا وكندا.

وفى مقابل رد الفعل المضاد للثقافة الأمريكية تسعى الولايات المتحدة الأمريكية إلى مقاومة ردود الأفعال السلبية تجاه العولمة خوفًا من أن يؤدى هذا إلى تقويض قدرة أمريكا على تعزيز مصالحها الشخصية. ولأن هذه المصالح مرتبطة بالمعارف والسياسة والعلوم والثقافة فإن أمريكا تحاول أن تضع منهجية علمية متكاملة لصناعة السياسة الدولية تحقق من خلالها الهيمنة على مجالات السياسة والاقتصاد والاتجاهات الفكرية والأيديولوجية.

إن خطورة العولمة كما تراها البلاد الأوربية التى تسعى بجد إلى الخروج من دائرة النفوذ الأمريكى. . . تكمن فى أن العولمة لا تتقيد بالحدود الوطنية ولا تعترف بالإقليمية ولا بالقومية، وأنها قادرة على التغلغل فى أى مجتمع فى العالم، وأنها تعمل على تعبئة الجماعات الإنسانية والمؤسسات فى اتجاه عالمى يتعارض مع المحلية ومع الانكماش داخل الحدود فى كافة المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتكنولوجية والثقافية.

وهكذا تسعى العولمة إلى تغيير طبائع البشر وسلوكياتهم وتحرير الفرد والدولة من الحدود والقيود، وتغيير نظام الدولة. فالعولمة تفتح الحدود أمام حرية انتقال الفكر، وتطالب بحرية انتقال الأفراد والأفكار، وتسعى إلى الانتشار من خلال اتجاهات متعددة عبر الحدود الوطنية، وتوحيد الأفراد والجماعات والمؤسسات من خلال التغيير الثقافى.

ولا شك فى أن المرحلة الحالية من العولمة هى مرحلة تغيير المفاهيم والأفكار ذات الطابع الثقافى الإقليمى أو المحلى واستبدال الثقافة الإقليمية المحلية بثقافة عالمية يرى الأمريكيون أنها الثقافة الأمريكية المعاصرة. ويعمل الإعلام الأمريكى الآن على إعادة صياغة المفاهيم والآليات والغايات من خلال تذويب الرؤى والسلوكيات والأفكار

والعمل على اندماجها أولاً فى الثقافة الكونية والذى يعنى فى النهاية ذوبانها وانصهارها فى بوتقة المجتمع العالمى .

وترى بعض الدول الأوربية أن العولمة على النظام الأمريكى تهدف إلى أمركة العالم ونفى وجود الآخر ثقافيًا . ويرى بعض المحللين السياسيين أن كلمة العولمة أصبحت مرادفة لمصطلح «أمركة العالم» ، فالولايات المتحدة الأمريكية حريصة حرصًا شديدًا على عولمة المؤسسات السياسية والاقتصادية الدولية واحتكارها لنفسها ، وقد ظهر هذا واضحًا فى قيام أمريكا بالدور المنوط بالأمم المتحدة خلال التدخل المباشر فى الشئون والقضايا العالمية بدون الرجوع إلى الأمم المتحدة . وقد حدث هذا فى العراق ، وليبيا ، والسودان ، وأفغانستان ، وفلسطين وفى البوسنة ، وغير ذلك من المناطق الساخنة فى العالم . ولهذا يصف بعض المحللين القرن الحادى والعشرين بأنه قرن الإمبراطورية الأمريكية ، ووصفوا العولمة بأنها أمريكية الجنسية ، وأن العولمة هى تعميم لنمط حضارى يخص بلدًا بعينه على بلدان العالم أجمع .

***

# الفصل الثالث

# الشرق أوسطية
# وصراع الحضارات فى الشرق الأوسط

أولاً: الشرق أوسطية وعقيدة التميز الحضارى.

ثانياً: علاقة الشرق أوسطية بالمشروع الحضارى الصهيونى لمنطقة الشرق الأوسط.

ثالثاً: مشروع بيريز الحضارى للشرق الأوسط.

رابعاً: البعد الاستراتيجى للشرق أوسطية.

خامساً: علاقة الشرق أوسطية بالعولمة.

# الشرق الأوسطية
# وصراع الحضارات فى الشرق الأوسط

## أولاً: الشرق أوسطية وعقيدة التميز الحضارى

إن من أهم مشكلات إسرائيل - بعد السلام - المشكلة المرتبطة بكيفية ترجمة الاعتقاد الإسرائيلى فى التفوق والتميز، وفى حق الهيمنة والسيادة المبنى على هذا الشعور بالتميز، وكيفية ترجمة هذا كله فى ظل السلام. ولم تكن هناك مشكلة بالنسبة لإسرائيل فى زمن الصراع السياسى والعسكرى، فقد كانت تطبق هذا الاعتقاد بالتميز وتمارسه وتحاول تحقيقه على كل المستويات الصراعية مع العرب.

أما الآن ومع دعوى الدخول فى عصر السلام مع العرب فيبدو أن هذا المفهوم الخاص بالتميز يحتاج إلى إعادة نظر أو إلى تكييف مع الأوضاع الجديدة التى سيأتى بها السلام.

وليس من المنتظر أن تتخلى إسرائيل عن هذا الاعتقاد، وذلك لأن الاعتقاد فى التميز اعتقاد راسخ يستمد أصوله من العقيدة الدينية التى صوَّرت للإسرائيلى قديمًا أنه متميز على غيره من البشر وأنه مختار من عند الرب، كما يستمد أصوله أيضًا من الفهم العرقى العنصرى الذى تطور حول مفهوم الاختيار، وقد نتج عن هذا إيمان بما يسمى بالعبقرية اليهودية، والحقيقة أن هذا الشعور بالتميز ليس موجهًا ضد العرب فقط، ولكنه شعور عام تجاه البشرية ككل، ويظهر فى أبرز صوره العنصرية فى قسمة البشرية إلى قسمين: يهود وغير يهود[1].

---

(١) محمد خليفة حسن، الشخصية الإسرائيلية : دراسة فى توجهات المجتمع الإسرائيلى نحو السلام، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، ١٩٩٨م، ص٤٢-٤٣ .

ولا شك فى أن الحياة اليهودية فى الغرب أضافت بعدًا جديدًا إلى هذا الشعور بالتميز. فقد زادت هذه النزعة العنصرية من خلال اكتساب اليهود للنزعة العنصرية فى الحضارة الغربية والتى نظرت إلى نفسها دائمًا على أنها حضارة الرجل الأبيض فى مواجهة الحضارات الأخرى، حضارات الأجناس الأخرى من سود وملونين. وقد سادت هذه النزعة فى مرحلة الاستعمار العالمى وبنى على أساسها حق الرجل الأبيض فى السيادة على الأجناس الأخرى، وحق الحضارة التى أنتجها الرجل الأبيض فى السيادة والهيمنة على الحضارات الأخرى. وبالنسبة لليهودى أصبح هذا الشعور مركبًا من تميز يهودى على بقية البشر، وتميز حضارى غربى على بقية الأجناس البشرية، بمعنى أن هناك عنصرين فى هذا الشعور اليهودى: عنصر استمده اليهودى من تراثه وعنصر استمده من الغرب، وكلاهما يقوى هذا الإحساس بالتميز.

ويدفعنا هذا إلى القول بأن دخول إسرائيل فى السلام مع العرب لا يعنى أنها ستتخلى عن هذا الإحساس بالتميز؛ فهو شعور كما يبدو ليست له علاقة بالحرب أو السلام، وربما كان شعورًا ثابتًا لا يخضع للمتغيرات، ولذلك فإسرائيل ستوظف هذا الشعور بالتميز لخدمة مصالحها بعد السلام، وسيكون دليلها فى التعامل مع العرب.

ومشروع الشرق أوسطية يمكن فهمه داخل هذا الإطار الخاص بالتميز، وهو فى نفس الوقت انعكاس لهذا النوع المركب من الشعور بالتفوق، فهو مشروع إسرائيلى من زاوية ومشروع غربى من زاوية ثانية، ولا ننسى أن الصهيونية قدمت مشروعها قديمًا قبل قيام الدولة على أنه مشروع حضارى لمنطقة الشرق الأوسط، فإسرائيل التى خلقتها الصهيونية حاملة الحضارة الغربية هى قاعدة حضارية غربية تعمل على تحويل منطقة الشرق من منطقة متخلفة إلى منطقة متحضرة على يد الصهيونية، وكان الادعاء الصهيونى الأساسى بالنسبة لفلسطين هو الادعاء الذى يصف فلسطين بأنها «أرض بلا شعب» وهو أقصى ما يمكن أن توصف به منطقة أو بلد على المستوى الحضارى. فأرض بلا شعب عبارة معناها غياب المدنية، وغياب الحياة، وعدم وجود أى مظهر للحضارة، لسبب بسيط وهو عدم وجود الإنسان الذى يصنع الحضارة، أو بمعنى آخر أن فلسطين غابة تخلو من الحياة الإنسانية وأن هدف المشروع الصهيونى هو تحويل هذه الأرض إلى الحياة الإنسانية المدنية، وهنا يوصف اليهود بأنهم «شعب بلا أرض» وهو

الوجه الثانى للعملة فاليهود هم الشعب الذى سيحول هذه المنطقة إلى الحضارة والمدنية بل، وإلى الإنسانية. وقد كان هذا قمة التفكير العنصرى الصهيونى الذى تفوق على كل النظريات الاستعمارية القائمة على أساس من التميز. فهذه النظريات رغم عنصريتها لم تتجاهل الإنسان الموجود على الأرض التى يراد استعمارها، ولم يسبق لدولة استعمارية أن ادعت أنها تحتل أرضًا خالية من السكان، أو لا وجود لبشر عليها.

وفى ظل مثل هذا التفكير يصعب على المحلل أن يتصور إسرائيل بعد السلام بدون عقدة التميز هذه. وإذا كانت هذه العقدة قد سيطرت على العقل الإسرائيلى زمن الصراع العسكرى فكيف سيوظف هذا العقل هذا الشعور بالتفوق فى زمن السلم؟ هذا ما سنناقشه من خلال استعراض الأبعاد الإسرائيلية لمشروع الشرق أوسطية.

### البعد الثقافى للشرق أوسطية

لا يخلو مشروع الشرق أوسطية من أبعاد ثقافية عنصرية، فهو مشروع يتجاهل أولاً ثقافة الشرق الأوسط وهى الثقافة العربية، ويحاول فرض ثقافة أجنبية على شعوب الشرق الأوسط. ويظهر الجانب الثقافى العنصرى فى رفض ثقافة الآخر، وعدم الاعتراف بها كمحور للمنطقة، وفرض معطيات ثقافية أجنبية عليها، وتصدير قيم وأفكار تتنافى مع طبيعة المجتمع الشرقى، ولا يتوقف المشروع الشرق أوسطى عند حدود فرض القيم الاقتصادية الغربية، بل يسعى إلى تحقيق الاختراق الثقافى من خلال نشر قيم ومبادىء المجتمع الغربى[1].

جدير بالذكر أن المجتمع الإسرائيلى لن يطرأ عليه تغيير فى ظل فكرة الشرق أوسطية وفكرة ثقافة السلام، فالوضع الثقافى فى المجتمع الإسرائيلى سيظل على ما هو عليه معبرًا عن وجهة نظر ثقافية غربية تسعى إلى تغيير الوضع الثقافى للآخر بدلاً من التفاعل ثقافيًا معه، فمثل هذه المشروعات موجهة إلى العالم العربى والإسلامى بهدف فرض السيادة الثقافية، وهى فى نفس الوقت تمثل بدائل للصراع الذى لا تستطيع إسرائيل أن تعيش بدونه وبخاصة بعد أن تم تحجيم الصراع فى شكله السياسى

(١) المرجع السابق، ص٣١.

والعسكرى، والبديل هو أن ينتقل الصراع إلى دائرة جديدة مناسبة لعصر السلام وهى الدائرة الثقافية والاقتصادية .

إن الأمل فى تكيف إسرائيل مع ثقافة منطقة الشرق الأوسط أمل بعيد على الرغم من وفرة الأسباب التى تسمح لإسرائيل بالاندماج ثقافيًا فى المنطقة .

وهنا تبدو فكرة الاندماج فى حد ذاتها فكرة مخيفة للإسرائيليين وتدفعهم دفعًا إلى الابتعاد الثقافى والعزلة الثقافية عن المنطقة، ودعوى الدفاع عن النفس تدفعهم إلى معاداة الثقافة الشرقية العربية ومحاربتها ومحاولة إخضاعها بدلاً من التكيف معها وهو الوضع الطبيعى .

وكلمة «الاندماج» لها تاريخ فى الثقافة اليهودية فقد عاش اليهود دائمًا وأبدًا على هامش الثقافة الإنسانية لسبب رئيسى وهو أن الاندماج الثقافى اعتبر مهددًا للهوية اليهودية، ولعل هذا هو الذى يشعر به الإسرائيليون الآن بعد بداية دخول المنطقة فى عصر السلام، وبخاصة بعد أن تنحسر المشاكل السياسية العسكرية، ويبدأ التطبيع الفعلى والذى سينتج عنه الاتصال اليومى بالعرب من خلال علاقات رسمية مع دول الجوار أولاً، ومع بقية الدول العربية ثانيًا .

وأخشى ما يخشاه الإسرائيليون هو هذا الانفتاح الذى سيحدث تلقائيًا على العالم العربى والذى لايمكن أن توضع له ضوابط سياسية . فحركة الأفراد والجماعات فى اتصالها الطبيعى بغيرها لا يمكن أن يسيطر عليها أحد،

فالإسرائيلى الذى يسير فى شوارع القاهرة بعد التطبيع والسلام لن تستطيع حكومة أن تفرض عليه سلوكًا معينًا، ولا تستطيع أن تضع لحركته الحرة ضوابط معينة تمنعه من الكلام مع الناس والتعامل معهم، والإعجاب بهم وبتقاليدهم والدخول فى صداقات معهم والتأثر بهم والاندماج فيهم، وقد اعتبر الاندماج الشر الأكبر فى الحياة اليهودية، وهناك مناسبتان للاندماج فى الحياة اليهودية : المناسبة الأولى والأقوى منهما فى ظل الحضارة العربية الإسلامية التى شهد اليهود فى ظلها أقوى اندماج ثقافى واجتماعى فى حياتهم وفى تاريخهم بسبب ظروف توفرت فى ظل الحضارة الإسلامية، ولم تتوفر بنفس الشكل فى ظل حضارات أخرى عاش فيها اليهود .

أما المناسبة الثانية المهمة التى وقع فيها الاندماج اليهودى فهى مرحلة الحضارة الغربية فى العصر الحديث والتى كان تأثيرها الاندماجى قاتلاً للهوية اليهودية وهو أمر لم يحدث مع الحضارة الإسلامية. والدليل على ذلك أن اليهودى خرج من اندماجه فى الحضارة الإسلامية محافظًا على هويته الدينية، ولم يفقد استقلاله الدينى بينما خرج اليهودى، من اندماجه فى الحضارة الغربية الحديثة بلا دين أو بمعنى آخر خرج فاقدًا لهويته الدينية. فاليهودى الآن هو ذلك الإنسان الغربى العلمانى المندمج على المستوى الاجتماعى، الذى تمثل فى الزواج المختلط الذى لم يؤثر فقط على الهوية اليهودية بل ضيَّع معالم الهوية الاجتماعية والعرقية لليهودى وللشخصية اليهودية.

والآن لنا أن نتساءل ما هو مستقبل الشخصية الإسرائيلية فى ظل السلام القادم وما سينتج عنه من تطبيع ثقافى؟ وهل يمكن أن نتحدث مستقبلاً عن خطر اندماج إسرائيلى فى الثقافة العربية الشرقية؟ وهل يمكن للتاريخ أن يعيد نفسه مرة أخرى؟[1].

## ثانيًا: علاقة الشرق أوسطية بالمشروع «الحضارى» الصهيونى لمنطقة الشرق الأوسط

من المعروف أن مشروع الشرق أوسطية ليس مشروعًا جديدًا يطرح لأول مرة كنتيجة من نتائج المتغيرات السياسية فى منطقة الشرق الأوسط بعد الدخول فى مفاوضات السلام العربية الإسرائيلية. فقد تم طرح هذا الموضوع عدة مرات خلال العقود الأخيرة، وبداية يجب أن ننوه إلى أن هذا المشروع قديم قدم الحركة الصهيونية التى لا ننسى أنها قدمت نفسها للغرب على أنها مشروع سياسى لإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين. إن المتأمل فى كتابات قادة الحركة الصهيونية الأوائل يدرك إدراكًا مباشرًا أن الصهيونية لم تحدد نفسها داخل إطار الحركة القومية اليهودية الساعية إلى وضع نهاية للشتات اليهودى فى العالم بجمع هذا الشتات فى فلسطين، بل إنها نظرت إلى نفسها على أنها مشروع حضارى مستقبلى للشرق الأوسط، ولذلك لا نعجب إذا ما ظهرت فى الوقت الحالى مشروعات مستقبلية للشرق الأوسط تعطى لإسرائيل الدور الأكبر المدعوم بواسطة قوى الغرب المختلفة، وبخاصة الولايات المتحدة الأمريكية.

(١) المرجع السابق، ص٨٩-٩١.

وإذا عدنا إلى الوراء ونظرنا فى بعض الكتابات الصهيونية الأولى فسنجد هذا المخطط الثقافى للمنطقة واضحًا كل الوضوح ومخططًا له منذ البداية، وكان من الطبيعى أن يتأخر هذا الجزء من المخطط الصهيونى العام حتى تنتهى المشاكل السياسية والعسكرية التى خلفتها الصهيونية فى المنطقة والتى نشطت فيها الصهيونية دبلوماسيًا وسياسيًا وعسكريًا من أجل إتمام احتلال فلسطين ؛ لتصبح ما سمى بالوطن القومى لليهود. وقد استغرق هذا الشق السياسى العسكرى ما يقرب من قرن كامل لو حسبناه منذ انعقاد أول مؤتمر صهيونى عالمى فى عام ١٨٩٧م فى مدينة بازل السويسرية. والآن بعد أن أوشك الدور السياسى والعسكرى على الانتهاء بدأ يظهر الجانب الثقافى الحضارى من المشروع الصهيونى.

وتبدو الصهيونية كمشروع ثقافى حضارى فى فكر الزعيم الصهيونى « موشى هس » (١٨٢١ - ١٨٧٥م) وذلك قبل انعقاد المؤتمر الصهيونى الأول بربع قرن تقريبًا، فقد كان هس أول مفكر صهيونى يحدد هدف الصهيونية فى القيام بدور فعال فى بناء عالم الغد ويقول أيضًا: أنه من خلال المشروع الصهيونى ستصبح الأمة اليهودية رقيبًا ومعلمًا لشعوب الأرض. ولا شك فى أن هذه العبارات تعكس تأثير الفكر الاستعمارى الغربى للشرق بأنه مشروع حضارى يتم نقل شعوب الشرق المتخلفة من خلاله إلى دائرة الحضارة، وقد وصف هذا المشروع الاستعمارى بأنه ضرورة لتغيير أوضاع الشعوب الشرقية ومن ثم فاستعمار شعوب العالم العربى والإسلامى ضرورة لنشر المدنية ونشر الحضارة الغربية، حضارة التقدم والعلم والازدهار فى مواجهة حضارات التخلف والفقر، وما ينطبق على الشعوب العربية والإسلامية ينطبق على شعوب الشرق الأقصى وبخاصة الهند والصين واليابان وغيرها [١].

إن المفكر الصهيونى « موشى هس » يستخدم نفس العبارات الاستعمارية التى شاعت فى الدوائر الاستعمارية خلال قرون الاستعمار الأخيرة، وهى عبارات مأخوذة من فلسفات استعمارية تبريرية تعلل الاستعمار ؛ لإرضاء الضمير الغربى أولاً، ولإقناع العقل الشرقى بالاستعمار ثانيًا. ولعل من أشهر النظريات الاستعمارية التى طورت فى

(١) محمد خليفة حسن، الحركة الصهيونية وعلاقتها بالتراث الدينى اليهودى، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، ١٩٩٩م.

ذلك الوقت نظرية القابلية الشرقية للاستعمار بمعنى أن الشعوب الشرقية يتوفر لديها الاستعداد الداخلى لأن تستعمر وأن الاستعمار يلبى هذه الرغبة الداخلية .

وهنا تقدم الصهيونية المرتبطة بحركة الاستعمار العالمى نفسها بنفس المنطق الاستعمارى، وقد اتحدت أهداف الصهيونية وأهداف الاستعمار العالمى فيما سمى بضرورة الغزو الحضارى لمنطقة الشرق الأوسط ونشر المدنية الغربية فى بلاد تم تصويرها على أنها مجرد صحراء جدباء لا حضارة فيها ويعيش فيها شعب متخلف ثقافيًا وفى أمس الحاجة إلى المدنية والدخول فى دائرة الحضارة على يد الصهيونية التى وصفت هذا الهدف بأنه واجب إنسانى وضرورة إنسانية .

ويدخل ضمن هذا التفكير النظرية الصهيونية المتطرفة التى تمادت فى وصف الحالة الثقافية أو الحضارية لفلسطين من أجل تبرير غزوها بادعاء أن فلسطين « أرض بلا شعب» وأن اليهود « شعب بلا أرض» . والأرض تنادى الشعب لكى يعمرها ويحولها من منطقة خربة خالية من السكان وغير مأهولة إلى بلد معمور مسكون صاحب ثقافة . واستعمار فلسطين صهيونيًا هو مدخل الصهيونية لتنفيذ الهدف الثقافى للاستعمار الغربى فى كل الشرق الأوسط ، وفى النهاية لا يمكن فهم المشروع الشرق أوسطى إلا داخل هذا الإطار التاريخى للاستعمار والصهيونية .

لقد تم طرح المشروع الشرق أوسطى كمشروع ثقافى وحضارى لمنطقة الشرق الأوسط منذ الثمانينيات وقبل أن يصدر رئيس الوزراء شمعون بيريز كتابه «شرق أوسط جديد» والذى أعاد فيه طرح المشروع فى ضوء المتغيرات التى جدت على منطقة الشرق الأوسط بعد الدخول فى العملية السلمية .

ففى عام ١٩٧١م طرح وزير المالية الصهيونى الأسبق« يورام ميريدوم» مشروعًا شبيهًا بمشروع بيريز وذلك تحت مسمى «مشروع مارشال موسع للشرق الأوسط» ويتضمن إنشاء صندوق للتنمية رأسماله ٣٠ مليون دولار سنويًا ولمدة عشر سنوات مع إنشاء شركة قابضة يكون مقرها إسرائيل ويتم التمويل عن طريق الدول الرأسمالية الكبرى .

وفى نفس هذا العام تم طرح مشروع أمريكى للشرق الأوسط مشابه لهذا المشروع

السابق، فقد أصدرت وكالة التنمية الأمريكية وثيقة شارك فى إعدادها ثمانى وزارات وهيئات حكومية، وعشر مؤسسات ومراكز بحوث علمية، من بينها الأكاديمية القومية الأمريكية للعلوم. وقد أطلق على هذه الوثيقة اسم «التعاون الإقليمى فى الشرق الأوسط» وهى بمثابة مشروع سياسى اقتصادى يسعى إلى إعادة تشكيل منطقة الشرق الأوسط وإحداث تغييرات هيكلية وتشتمل على مشروعات ع .لاقة فى مجال البنية التحتية والطاقة والمياه والإشراف والإدارة.

### ثالثا: مشروع بيريز الحضارى للشرق الأوسط

أما مشروع بيريز الشرق أوسطى فقد جاء فى ظل متغيرات دولية مهمة من أهمها انهيار الاتحاد السوفيتى، وقيام حرب الخليج، وانطلاق العملية السلمية، وكلها ظروف كانت مواتية لطرح مشروع بيريز. فسقوط الاتحاد السوفيتى يعطى فرصة جيدة لعدم وجود مشاركة سوفيتية فى المشروع الشرق أوسطى ينتج عنها نوع من التوازن الاستراتيجى الذى استطاع الاتحاد السوفيتى أن يحققه فى الشرق الأوسط قبل أن يتحلل وينهار الاتحاد السوفيتى، وتستطيع إسرائيل فى ظل الهيمنة الأمريكية المنفردة أن تلعب دورًا كبيرًا فى ظل غياب قوة أخرى كبرى هى قوة السوفيت أنصار العرب التقليديين.

أما حرب الخليج فقد أعطت شاهدًا قويًا على بداية هذه الهيمنة الأمريكية فى شئون العالم، ومثلت أول اختراق قوى لوحدة العرب، ونتج عنها انشقاق العالم العربى إلى قسمين متضادين متصارعين، تمثل فى الدول التى أيدت العراق فى هجومه على الكويت والدول التى عارضت هذا الهجوم ووقفت ضده، ولا شك فى أن حرب الخليج قد أضعفت العرب اقتصاديًا، وقضت على المشروعات الاقتصادية التنموية فى منطقة الخليج أولاً فضلاً عن تأثيراتها الاقتصادية السلبية على تبعية الدول العربية بالإضافة إلى التدمير الكامل لواحدة من أكبر القوى الاقتصادية العربية وهى العراق.

أما العملية السلمية فقد فتحت الطريق واسعًا أمام الحديث عن تطبيع العلاقات الإسرائيلية العربية. وقد أصرت إسرائيل على أن يبدأ التطبيع فورًا ولا ينتظر نتائج المفاوضات، وأن على العرب أن ينفتحوا على إسرائيل اقتصاديًا ويبدأوا فى الدخول

فى علاقات اقتصادية مباشرة تبدأ بإنهاء المقاطعة الاقتصادية . ولهذا بادر بيريز بطرح مشروعه الشرق أوسطى الذى دعا فيه إلى إقامة نظام إقليمى اقتصادى أمنى يبدأ بإقامة مناطق حرة ثنائية وثلاثية تتسع لتشمل كل الدول العربية، وكذلك إقامة مشروعات إقليمية ذات بعد استراتيجى بتمويل دولى . ويتضمن المشروع فى مرحلته الثانية إقامة الصناعات الإقليمية من خلال هيئات دولية واتحادات مالية مستقلة . وفى المرحلة الثالثة من المشروع يحدث الاتجاه إلى سياسة المجموعة الإقليمية مع التطوير التدريجى للمؤسسات الرسمية، وينبغى أن تكون للمنطقة قوات تستطيع الرد على أى عدوان بصورة مؤثرة وذلك فى حالة انقطاع القنوات الدبلوماسية مؤقتًا خلال فترات الأزمات .

ومن المعروف أن مشروع بيريز للشرق الأوسط الجديد اتخذ طريقه نحو التنفيذ فى البداية من خلال الدعوة إلى عدة مؤتمرات اقتصادية ضخمة دعا إليها المنبر الاقتصادى العالمى «دافوس»، ويسعى المشروع إلى اندماج إقليمى يتجاوز القوميات، ويهدف إلى شطب النظام العربى، والقضاء على كل مشروعات الوحدة الاقتصادية العربية والمساعى إلى خلق سوق عربية مشتركة . ويسعى مشروع بيريز إلى تحويل إسرائيل إلى المركز الاقتصادى الأساسى للشرق الأوسط، وأن تكون إسرائيل محور عملية الاندماج عبر الاتفاقات الثنائية، ويعمل على ربط المنطقة بقوة الرأسمال العالمى من خلال التمويل والمساهمة فى المشروعات الإقليمية، كما يهدف أيضًا إلى دمج إسرائيل فى المنطقة من خلال العمليات الاقتصادية التى اعتقد أنها مفتاح نجاح العملية السياسية . وبالاتجاه بعد ذلك إلى التعاون الاقتصادى يسعى مشروع بيريز إلى اعتبار الاقتصاد هو الطريق إلى نجاح العملية السلمية[1] .

ومن المعروف أيضًا أن مشروع بيريز توقف مؤقتًا بعد أن تلقى عدة ضربات تمت من خلال مقاطعة المؤتمرات الاقتصادية التى تمت الدعوة إليها أو العمل على إفشالها كما حدث فى مؤتمر قطر وذلك بسبب إدراك عربى واضح بأن المشروع الشرق أوسطى

(١) نيفين عبدالخالق مصطفى، المشروع الشرق أوسطى والمستقبل العربى، مجلة المستقبل العربى، العدد ١٩٣، مارس ١٩٩٥م، ص١٣-١٤ .

مشروع صهيونى له وجهه الاستعمارى ويعطى إسرائيل دورًا قياديًا فى المنطقة .

## رابعًا: البُعد الاستراتيجى للشرق أوسطية

هناك بُعد استراتيجى واضح للمشروع الشرق أوسطى كما يُروج له الإسرائيليون والأمريكيون على وجه التحديد . وهذا البُعد الاستراتيجى يظهر فى إعطاء أولوية للجوانب الاقتصادية والثقافية على حساب الجوانب السياسية والعسكرية فى قضية الشرق الأوسط ، فلقد خلق جو السلام الذى أدت إليه المفاوضات الجارية حول العملية السلمية فرصة للإسرائيليين وللأمريكيين لكى يقوموا بعملية احتواء للموقف والدخول بالشرق الأوسط إلى مرحلة جديدة من الصراع ، والتحول من الصراع المسلح إلى الصراع السلمى ، وتحقيق نفس الأهداف التوسعية السابقة باستخدام سلاح جديد وهو سلاح السلام . وهذا يعنى فى المقام الأول أن الاستراتيجية الإسرائيلية والأمريكية فى الشرق الأوسط لم ولن تتغير ، إنما هى تتكيف مع ظروف السلام والمفاوضات ، وتحاول الانقضاض على شعوب العالم العربى من أبواب استعمارية جديدة بعيدة عن الهيمنة السياسية والعسكرية .

إن مشروع الشرق أوسطية ـ كما يفهمه الإسرائيليون والأمريكيون ـ يهدف إلى تثبيت الأوضاع القائمة فى العالم العربى ، ومنع الدول العربية من إنهاء الاحتلال الصهيونى لفلسطين وللأراضى العربية بخلق الظروف التى تجعل من الصعب على الدول العربية أن تقوم بعمل ضد إسرائيل إذا ما رفضت إسرائيل الانسحاب من هذه الأراضى . ولهذا فإن مشروع الشرق أوسطية مشروع واضح الهدف ومحدد فى غرضه ، فهو ليس مشروعًا للتعاون الاقتصادى بين دول المنطقة كما يبدو فى شكله الظاهرى . والقراءة المتعمقة لكتاب شيمون بيريز «الشرق الأوسط الجديد» وكتاب بنيامين نيتنياهو «مكان تحت الشمس» ومراجعة تصريحات الساسة الأمريكيين . . كلها تشير إلى المحتويات الحقيقية لمشروع الشرق أوسطية . وقد لخص المتخصصون فى الاستراتيجية العناصر الأساسية للنظام الشرق أوسطى فى بُعده الاستراتيجى على النحو التالى :

تجميد معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى بين الدول العربية ، ووضع العقبات أمام الدفاع المشترك العربى ، وإقامة نظام أمنى إقليمى جديد يحل محل الأمن

القومى العربى، وضمان التفوق العسكرى الإسرائيلى على الدول العربية جميعها، وتحقيق الوجود العسكرى المكثف فى الشرق الأوسط من خلال اتفاقيات ومعاهدات مع أمريكا، وتطويع الأمم المتحدة للحصول على قرارات منها بوجود عسكرى محدد فى المنطقة، وهو الأمر الذى تحقق بالفعل منذ حرب الخليج وكنتيجة من نتائجها، فمنذ عام ١٩٩١ ازداد الوجود العسكرى الأمريكى البريطانى فى منطقة الخليج، وأصبح وجودًا ثابتًا[١].

ومن أهداف هذه الاستراتيجية الشرق أوسطية ربط إسرائيل باتفاقيات أمنية مع دول المنطقة وبخاصة الدول المجاورة لإسرائيل والتى تشترك معها فى الحدود وأيضًا مع الدول البعيدة نسبيًا عن المنطقة ولكن لها تأثير فى الصراع مثل تركيا والحبشة وإريتريا[٢].

وبالنسبة للفلسطينيين تسعى هذه الاستراتيجية إلى عدم الوصول بالفلسطينيين إلى مرحلة الدولة، والإبقاء على الوضع الحالى، وربط الفلسطينيين بإسرائيل اقتصاديًا وعسكريًا والعمل على تحقيق نزع سلاح السلطة الفلسطينية، واتباع سياسة الحدود المرنة بما يمكن إسرائيل من التغلغل داخل الفلسطينيين وداخل الدول العربية. وفى نفس الوقت عدم إعطاء فرصة للفلسطينيين والعرب للتغلغل داخل الكيان الإسرائيلى. ومن بنود هذه الاستراتيجية إنشاء مناطق منزوعة السلاح، ومناطق حظر الطيران لتسهيل التوسع الإسرائيلى، وحرمان الدول العربية من فرصة الدفاع عن النفس فى الوقت المناسب، والعمل على منع التعاون بين الدول العربية، وإيجاد مبررات دائمة للتدخل.

وهناك عدة مظاهر لبداية تنفيذ هذه السياسة منها على سبيل المثال لا الحصر التواجد العسكرى الأمريكى البريطانى فى الخليج العربى، والتحالفات التى تم عقدها بين إسرائيل وتركيا، وإسرائيل، وإرتريا، والتعاون بين الشرطة الإسرائيلية والشرطة

---

(١) طلعت أحمد مسلم، البعد الاستراتيجى للمشروع الشرق أوسطى، فى كتاب: الشرق أوسطية مخطط أمريكى صهيونى، مرجع سابق، ص٦٣ .
(٢) المرجع السابق، ص٦٤ .

الفلسطينية فى مناطق الحكم الذاتى، والتعاون بين إسرائيل وبعض الدول العربية فى المجال العسكرى، والعمل على توسيع دائرة الخلاف بين الدول العربية وهو أمر بدأ يظهر قويًا وواضحًا بعد حرب الخليج التى قسمت العرب إلى فريقين متضادين متنازعين، وعدم وجود علاقات سياسية بين الفريقين منذ حرب الخليج، بالإضافة إلى تجميد الاتفاقات العسكرية بين الدول العربية، وتجميد معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى، وعمليات الإضعاف الشديدة والمستمرة لجامعة الدول العربية، والقضاء على كل دور لها فى توحيد العرب وسياستهم فى المنطقة[1].

كل هذه مظاهر للاستراتيجية الإسرائيلية الأمريكية بعد السلام وهى مظاهر تشير إلى تغيير فى الوسائل المحققة للهيمنة بعيدًا عن الشكل العسكرى الذى ساد قبل حرب ١٩٧٣ أو منذ بداية الصراع، إنها مرحلة جديدة فى العلاقات بين إسرائيل والعالم العربى تقوم على أساس من صراع السلام بعد أن انتهى زمن صراع الحرب أو على الأقل انحساره إلى حين.

ويعتبر مشروع الشرق أوسطية صياغة جديدة للخريطة الجغرافية السياسية (الجيوسياسية) لمنطقة الشرق الأوسط، وقد سبقتها عدة صياغات سابقة تمت الأولى بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) حيث تم إخضاع المنطقة العربية لنظام الانتداب وتوزعت الدول العربية بين الانتداب البريطانى والانتداب الفرنسى، وقد توافق هذا الانتداب مع وعد بلفور الخاص بإقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين، وتمت صياغة ثانية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) حيث خضعت المنطقة العربية لنظام التجزئة والتفتيت ونتج عن هذه المرحلة قيام إسرائيل فى قلب الوطن العربى.

وقد شكل واقع التجزئة ووجود إسرائيل الركيزتين الأساسيتين لفرض السيطرة الغربية الاستعمارية على العالم العربى.

والآن يتم إعادة صياغة الخريطة الجغرافية السياسية للمنطقة العربية للمرة الثالثة وتحت ظروف مغايرة وجديدة تمامًا. فالمنطقة بدأت تدخل فى مرحلة السلام والمباحثات

(١) المرجع السابق، ص٦٤ .

المتعددة الأطراف من أجل الوصول إلى سلام بين العرب وإسرائيل وفى نفس الوقت إعادة ترتيب المنطقة من جديد لخدمة الأهداف الإسرائيلية والغربية، ومشروع الشرق أوسطية هو المشروع الجديد الذى يحاول الغرب فرضه على المنطقة العربية للدخول فى مرحلة جديدة لا تقل خطورة عن المرحلتين السابقتين، فالنظام الشرق أوسطى المراد إقامته يهدد المستقبل العربى ويقوض السيادة الوطنية للأنظمة العربية، ويعمق التبعية للغرب، ويعطى إسرائيل فرصة أكبر للتدخل فى شئون المنطقة، كما أنه يساعد إسرائيل فى تجاوز مشاكل الصراع مع العرب والدخول فى علاقات جديدة متشابكة مع بقاء المشاكل القديمة بدون حل.

ويدور التغيير الجديد فى خريطة الشرق الأوسط بعد أحداث مهمة ومؤتمرات سياسية مهدت الطريق للدخول فى الشرق أوسطية منها مؤتمر مدريد ١٩٩١ ومؤتمر الدار البيضاء ١٩٩٤ كما حدث هذا فى ظل تداعيات سياسية خطيرة زادت من تفتت المنطقة العربية وضعفها. ومن أهم هذه التداعيات سقوط الاتحاد السوفيتى وانفراد الولايات المتحدة الأمريكية بأمور الشرق الأوسط إن لم يكن بأمور العالم كله، وكذلك قيام حرب الخليج (١٩٩٠-١٩٩١) والتى أصابت المنطقة العربية إصابة قاتلة حيث أدت إلى انقسام العرب إلى قسمين متناحرين، ولا تزال المنطقة العربية تعيش حتى الآن تحت تأثير آثار حرب الخليج المدمرة للوحدة العربية وللعلاقات العربية - والمؤثرة بطبيعة الحال على الموقف العربى الموحد تجاه قضايا العرب، ومنها قضية العراق ذاتها ومن قبلها قضية فلسطين[١].

إن مؤتمر مدريد يأخذ أهمية خاصة فى هذا المشروع الجديد الخاص بالشرق أوسطية، فالمؤتمر بداية لمرحلة إعادة الصياغة على مستوى التنفيذ، ومحور السياسة التى أقرها المؤتمر هو الأرض مقابل الاندماج الإقليمى وهو تعبير أعمق وأخطر من عبارة الأرض مقابل السلام، فالأرض مقابل السلام إنهاء لحالة الصراع بين العرب وإسرائيل على المستويات السياسية والعسكرية، أما الأرض مقابل الاندماج الإقليمى فهو تعبير خطير يشير إلى هذا التوجه ولتشكل الاتجاه العملى التنفيذى لتحقيق الاندماج الإقليمى

(١) أحمد صدقى الدجانى، الجذور التاريخية للشرق أوسطية فى كتاب : الشرق أوسطية مشروع أمريكى صهيونى، مرجع سابق، ص٢٧-٢٨ .

والدخول فى مرحلة المشروعات التنفيذية لعملية الاندماج، ولذلك انقلبت المؤتمرات السياسية إلى مؤتمرات اقتصادية تنظر فى المشروعات الاقتصادية التى يتحقق من خلالها الاندماج الإقليمى.

ولقد أدرك العرب منذ البداية خطورة هذا الاتجاه الذى يحقق المكاسب الاقتصادية لإسرائيل ويحقق اندماجها فى المنطقة قبل أن يتحقق السلام، وأدركت أن الوضع السياسى الجديد مدمر لكل المكاسب السياسية التى تحققت عن طريق السلام، ولذلك لم تحضر مصر المؤتمر الذى انعقد فى قطر، وهو آخر المؤتمرات الاقتصادية الساعية إلى تحقيق ما يسمى بالاندماج الإقليمى فالاندماج المرغوب يجب أن يتم بعد تحقيق السلام وليس قبل ذلك، كما أن الاندماج لا يجب أن يكون على حساب المصلحة القومية العربية، ولايمكن أبدًا أن يكون وسيلة جديدة لاختراق جديد للمنطقة العربية وتشكيل جديد لجغرافيتها واقتصادها.

## خامسًا: علاقة الشرق أوسطية بالعولمة

هناك علاقة أكيدة بين المشروع الشرقى أوسطى ومفهوم العولمة. فالعولمة ظاهرة اقتصادية سياسية اجتماعية تحمل فى مضمونها معانى الهيمنة والسيادة الاقتصادية والسياسية، وهى المشروع الجديد البديل للنظام الاستعمارى القديم، ولكنه استعمار من نوع جديد وبأسلوب جديد[1].

ويلتقى مفهوم العولمة مع الاستعمار فى مسألة مهمة جدًا وهى مسألة التبعية، فإذا كان الاستعمار قديمًا يسعى إلى تحقيق تبعية الشعوب الشرقية للسيادة الاستعمارية واتباع نظمها السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية، فالعولمة فى معناها ومحتواها ما هى إلا مشروع غربى لتحقيق تبعية الشعوب الشرقية للشعوب الغربية، وربما يكون وجه الخلاف الرئيسى فى الشكل المتبع أو الأسلوب الذى يحقق من خلاله الاستعمار التبعية المطلوبة عن الأسلوب الجديد الذى سلكته القوى السياسية الغربية من خلال العولمة.

(١) محمد رشاد الشريف، العولمة والمشروع الشرق أوسطى، مجلة معلومات دولية، العدد ٥٨، خريف ١٩٩٨م، دمشق، ص٣٤.

فالاستعمار كان يعتمد على القوة العسكرية فى تحقيق أهدافه السياسية والاقتصادية بينما أسلوب العولمة هو فى فرض النظم الغربية من خلال شبكة علاقات إعلامية تجبر كل دول العالم على الدخول فيها . . إنه أسلوب تغيير النظم الاقتصادية وربطها بالتكنولوجيا الغربية وفرض نظام السوق وآلياته على شعوب العالم وإن العولمة نوع من الاجتياح الاقتصادى من قبل المراكز الرأسمالية الكبرى لحدود وأسواق ومجتمعات الدول الأخرى فى العالم وتأتى فى سياق تطور النظام الرأسمالى وآليات سيطرته على العالم.

ولاشك فى أن الولايات المتحدة الأمريكية تتزعم هذا النظام الدولى الجديد، ويمكن القول بأن مشروع السوق الشرق أوسطية ما هو إلا جانب تطبيقى لسياسة العولمة مع تحديده داخل إطار دول الشرق الأوسط بحدوده الواسعة التى تشمل إلى جانب الدول العربية وإسرائيل كُلاً من إيران وتركيا مع اعتبار إسرائيل محور هذا السوق الشرق أوسطى، وفى هذا تحقيق للسيادة الأمريكية الإسرائيلية على النظام الاقتصادى فى الشرق الأوسط وتوجيهه لخدمة المصالح الاقتصادية الأمريكية والإسرائيلية.

وقد ساعد على انفراد الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل بهذا النظام الجديد فى الشرق الأوسط انهيار الاتحاد السوفيتى كقطب اقتصادى ضخم وانتهاء التوازن الدولى الذى كان قائمًا على أساس من القطبية الثنائية.

وتأخذ العولمة أيضًا معنى الأمركة فى توجيه النظام العالمى تجاه القطب الأمريكى، وذلك من خلال مؤسسات اقتصادية ضخمة تقف وراءها المراكز الرأسمالية الكبرى، وتهدف إلى تعميم النظام الاقتصادى الأمريكى وإزالة القيود والحواجز القومية فى الاقتصاد أمام تدفق السلع وحركة الأموال والاستثمارات الرأسمالية لصالح الاحتكارات الكبرى فى البلدان الرأسمالية. إنها عولمة لا تسعى إلى تسوية الأوضاع بل على العكس إنها تسعى إلى تعميم تحكم قلة من الأمم على المراكز المالية العالمية.

لقد استخدم شمعون بيريز مصطلح «الشرق الأوسط الجديد» كعنوان للمشروع الاقتصادى والحضارى للشرق الأوسط، وهذه التسمية لها دلالتها الواضحة فهى مرادفة للمصطلح الأمريكى «النظام العالمى الجديد» بل إنها كما قلت مجرد تطبيق

للنظام العالمى الجديد على الشرق الأوسط لإدخاله فى النظام العالمى وإعلان تبعية العالم للقطب الأمريكى ولإسرائيل التى تملك التكنولوجيا اللازمة للدخول فى الشرق الأوسط الجديد كجزء من النظام العالمى الجديد .

لذلك لا نستغرب وصف السوق الشرق أوسطية بأنها مشروع أمريكى إسرائيلى لمنطقة الشرق الأوسط يربطها تمامًا بالنظم الأمريكية الإسرائيلية .

هناك نقاط أساسية يلتقى عندها مشروع الشرق أوسطية بموضوع العولمة ، ومن أهم هذه النقاط أن القوى التى تقف وراء نظام العولمة هى نفسها التى تدعم مشروع الشرق أوسطية ، وهنا يبدو مشروع الشرق أوسطية كمشروع تابع للعولمة ويخدمها ، فالعولمة مشروع لخدمة الرأسمال الذى يتجاوز القوميات أو ما يسمى بالرأسمال فوق القومية ، وتعمل العولمة لصالح الدول الصناعية الكبرى التى تملك الشركات المتعددة الجنسية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية ، وموقع إسرائيل هنا موقع الوكيل الفرعى الذى يسعى إلى تحقيق إمبراطورية فرعية أى متفرعة عن الإمبراطورية الكبرى التى تملكها الدول الرأسمالية الصناعية الكبرى[1] . إن الشرق أوسطية مشروع لخدمة هذه القوى مضافًا إليها إسرائيل كوكيل فرعى لها فى منطقة الشرق الأوسط ، وتعتبر الولايات المتحدة الأمريكية القوة الدولية الصناعية الأولى المحركة لمشروع الشرق أوسطية ، وقد لعبت الولايات المتحدة الأمريكية دور الراعى الأول للمؤتمرات الاقتصادية التى عُقدت فى إطار الشرق أوسطية بل إنها هى التى تبنت المسيرة الاقتصادية الخاصة بالشرق الأوسط .

ونلاحظ أنه قد تزامن طرح نظام العولمة الجديد مع طرح المشروع الشرق أوسطى ، بل إن الانتقال إلى تنفيذ المشروع كان نتيجة للشروط السياسية الإقليمية والدولية التى أدت إلى انطلاق العولمة الجديدة ، وقد ظهرت هذه العولمة الجديدة بعد انهيار الاتحاد السوفيتى وسعى الولايات المتحدة الأمريكية إلى خدمة مصالحها وأهدافها الاستراتيجية فى تحقيق السيطرة على العالم سياسيًا وعسكريًا واقتصاديًا وثقافيًا[2] .

---

(١) المرجع السابق ، ص٣٧ .
(٢) المرجع السابق ، ص٣٧ .

أما الصلة الرابطة بين العولمة والشرق أوسطية فهى تبدو فى كون الشرق أوسطية مشروعًا تابعًا للعولمة بل هو وجه من وجوه تنفيذها فى إقليم محدد هو الشرق الأوسط . وإسرائيل هنا - كمحور للشرق أوسطية - تؤدى دورًا وظيفيًا ، فإسرائيل كانت فى المقام الأول نتاجًا لمشروع استعمارى استيطانى خادم للمراكز الاستعمارية الكبرى ومدعوم بواسطتها دعمًا استثنائيًا بوصفه أحد محاور السيطرة الاستعمارية فى منطقة الشرق الأوسط ذات الأهمية المتنامية فى استراتيجية المراكز الرأسمالية الكبرى ، وإسرائيل من إفرازات النظام الرأسمالى فى النطاق العالمى ، والشرق أوسطية مشروع اقتصادى أمنى سياسى يرسخ هذا المحور الاستعمارى ويؤكد دوره الإقليمى فى إطار استراتيجية عالمية[1] .

ومن أهم نقاط تلاقى المشروع الشرق أوسطى مع نظام العولمة الدور المشترك للمؤسسات والهيئات والمنتديات الاقتصادية المالية الدولية ذات النشاط الفعال الذى يسعى إلى إزالة الحواجز الوطنية وتحقيق الخصخصة الكاملة حسب شروط البنك الدولى ومنتدى دافوس الاقتصادى العالمى . فمن المعروف أن المؤتمرات الاقتصادية المرتبطة بمشروع الشرق أوسطية دعا إليها المنتدى الاقتصادى العالمى دافوس . ففى عام ١٩٩١م تم عقد خمسة مؤتمرات بدعوة من منتدى دافوس ، وهى مؤتمر القاهرة الشرق أوسطى ، ومؤتمران بالهند والصين ، ومؤتمر لوسط أوربا وأمريكا اللاتينية والمؤتمرات الأخيرة تم عقدها فى إطار فكرة العولمة .

ويضم منتدى دافوس ألف شركة من أكبر الشركات العالمية التى لا يقل رأس مال كل شركة فيها عن مليار دولار ، وهو قمة اقتصادية عالمية تتوفر لديه جيوش من القادة المديرين والأكاديميين ورجال الصحافة ، وقبل مؤتمر القاهرة تم عقد المؤتمر الأول للشرق الأوسط وشمال أفريقيا فى عام ١٩٩٤م بمدينة الرباط .

وهكذا يقف نظام العولمة الجديد وراء كل المشروعات الشرق أوسطية والمؤتمرات الاقتصادية الكبيرة التى عقدت ، ويتولى البنك الدولى دورًا قياديًا فى البرامج الاستثمارية المستهدفة فى الشرق الأوسط ، وقد ترجمت هذه القوى الاقتصادية التى

(١) يوسف صايغ ، منظور الشرق الأوسط ودلالته عربيًا ، مجلة المستقبل العربى ، العدد ١٩٢ ، ص١٦-١٧ .

يمثلها منتدى دافوس العملية السليمة فى الشرق الأوسط ترجمة اقتصادية ورأت فيها فرصة تجارية لا تعوض، وأسرعت الشركات العالمية إلى المشاركة فى المشروعات الإقليمية الشرق أوسطية.

وهكذا يبدو واضحًا مدى ارتباط مشروع السوق الشرق أوسطية بالنظام العالمى الجديد، وبالعولمة الجديدة التى تقودها الولايات المتحدة الأمريكية. ولعل أصدق تعبير عن هذه الصلة هو وصف إسرائيل بأنها وكيل فرعى لشركة كبرى تقوم لمشروعات هذه الشركة العالمية فى منطقة الشرق الأوسط لتصبح إمبراطورية فرعية داخل إمبراطورية كبرى.

من النقاط الأساسية الأخرى التى يلتقى عندها مشروع السوق الشرق أوسطية بالعولمة نقطة أو صفة الاستقطاب فى كل من العولمة والشرق أوسطية.

فالعولمة تقسم العالم إلى منطقتين: منطقة استهلاك، ومنطقة إنتاج. وفى منطقة الاستهلاك تتراكم كل مشاكل العالم الثالث من تخلف وفقر وتلوث بيئى، وهى فى نفس الوقت منطقة العمالة الرخيصة، أما منطقة الإنتاج ويمثلها الغرب المتقدم صناعيًا حيث يتراكم رأس المال والسيطرة التقنية والإدارية والمالية والسياسية.

وتتوفر صفة الاستقطاب أيضًا فى مشروع الشرق أوسطية فإسرائيل تمثل منطقة الإنتاج والتقدم الصناعى والتكنولوجى وتتوفر فيها الخبرات الإدارية والمالية، ويمثل العالم العربى منطقة الاستهلاك والعمالة الرخيصة والفقر والتلوث، ولذلك يسعى مشروع الشرق أوسطية إلى تحويل إسرائيل إلى مركز مالى وإدارى وقيادى وإلى مركز عسكرى وسياسى وأمنى للمنطقة كلها[1].

وتوضح الأوراق المقدمة إلى المؤتمرات الاقتصادية التى عقدت بشأن مشروع الشرق أوسطية أن هدف السوق الشرق أوسطية تنمية القطاعات غير المنتجة على حساب القطاعات المنتجة كالصناعات التى تحتاج إلى عمالة كبيرة وتقوم بتلويث البيئة وتصبح المنطقة حسب التقسيم الدولى للعمل منطقة خدمات وسياحة وعمالة رخيصة وسوق

(١) سالم توفيق النجفى، الإشكالية الاقتصادية الشرق أوسطية ـ رؤية عربية، مجلة المستقبل العربى، العدد ٢٠٩، يوليو ١٩٩٦م، ص١٥ .

استهلاكية واسعة لصالح إسرائيل والشركات المتعددة الجنسيات. وهو نفس الوضع فى العولمة حيث يصبح العالم الثالث منطقة خدمات وعمالة رخيصة وسوقًا استهلاكية لمنتجات العالم الغربى المتقدم. فالعولمة تسعى إلى توحيد السوق العالمى لصالح الاحتكارات الإمبريالية والشركات فوق القومية أى تعمل لصالح المركز على حساب الأطراف ولصالح الشمال على حساب الجنوب.

وهكذا أيضًا الشرق أوسطية تسعى لاستغلال ثروات المنطقة وطمس هويتها القومية والحضارية العربية لصالح إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية، وتحويل شعوب الشرق الأوسط إلى أطراف بالنسبة للمركز وهو إسرائيل. وفى هذا يعترف رئيس المفوضية الأوربية إن إسرائيل ستكون المستفيد الوحيد فى المنطقة من مشروع البنك الإقليمى الذى تم التفكير فى تأسيسه خدمة لمشروع الشرق أوسطية، وذلك لأن إسرائيل هى الوحيدة القادرة على الإقتراض من البنك الإقليمى بشروط السوق التجارية، ولهذا يتحفظ الأوربيون على مشروع البنك الإقليمى لأنه لا يعمل إلا لمصلحة أمريكا وإسرائيل، كما تحفظوا لنفس السبب على مشروع الشرق أوسطية[1].

إن موقع إسرائيل فى الشرق أوسطية هو نفس موقع الولايات المتحدة الأمريكية فى العولمة، وقد لوحظ أن المشروعات التى تقدمت بها إسرائيل فى المؤتمرات الاقتصادية المرتبطة بالسوق الشرق أوسطية كلها مشروعات ثنائية وثلاثية أى بين إسرائيل ودولة عربية أو دولتين وهى جميعًا مشروعات فى مجال المياه والسياحة والنقل والمواصلات ومركزها جميعًا إسرائيل، ويلاحظ أن المشروعات المقدمة تقسم المشرق العربى إلى خمسة مراكز إقليمية، وتحرص إسرائيل فيها على عدم التقاء مصر وسوريا أو الضفة بقطاع غزة، والهدف فصل هذه المنطقة عن بقية الدول العربية[2].

ويعترف مارتن إنديك مساعد وزير الخارجية الأمريكية بأنه كان يقوم بالترويج لإسرائيل فى الوسط التجارى الأمريكى على أنها بوابة السوق الشرق أوسطية وهى بوابة تنفتح على ٣٠٠ مليون نسمة، وإن تجربة إسرائيل فى العلاقات مع الشركات العالمية الكبيرة تقلص من حدة المخاطر التى يتخوف منها الكثيرون فى الشرق الأوسط.

(١) المرجع السابق، ص٣٩.
(٢) المرجع السابق.

ومن زاوية أخرى تبدو السوق الشرق أوسطية دخيلة ومقحمة على شعوب المنطقة وعلى تاريخها وعلى مسيرة التطور الاجتماعى والاقتصادى للمنطقة، كما أنها لا ترتبط بمصالح شعوب العالم العربى، بل ترتبط باستراتيجيات الإخضاع والسيطرة الأمريكية والصهيونية وبمطامع الرأسمال فوق القومى المتطلع للهيمنة على المنطقة وأسواقها ومقدراتها وثرواتها.

وهذا هو نفس وضع العولمة فهى تمثل فعلاً خارجيًا مقحمًا على بلدان الجنوب، وعلى الدول التى تقع خارج المراكز الرأسمالية، وتمثل تجاوزًا لمصالح هذه البلاد، وتأتى من خارج السياق الطبيعى للتطور الاجتماعى والاقتصادى لهذه الدول.

***

# الباب الثالث
# نظريات حوار الحضارات والجهود الدولية المبذولة تجاه الحوار الحضارى

الفصل الأول: الجهود الدولية فى مجال حوار الحضارات

أولاً: سنة الأمم المتحدة للتسامح ١٩٩٥م.

ثانياً: إعلان برلين ١٩٩٩م ومبادرة الحوار الثقافى بين المجتمعات الإسلامية والغربية.

ثالثاً: الوثيقة العالمية للحوار بين الحضارات الصادرة عن الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة ٢٠٠٠م.

الفصل الثانى: جهود بعض قادة وعلماء الغرب فى مجال حوار الحضارات

أولاً: كوفى أنان: حوار الحضارات والحاجة إلى منظومة أخلاقية عالمية.

ثانياً: الرئيس الألمانى السابق رومان هرتسوج ومعارضة نظرية صدام الحضارات.

ثالثاً: موقف المستشار الألمانى السابق هيلموت شميت من حوار الحضارات.

رابعاً: الأمير تشارلز وعضوية العلاقة بين الحضارتين الإسلامية والغربية.

خامساً: موقف المستشرق الألمانى شتيبات من نظرية صدام الحضارات.

سادساً: رؤية المستشرقة الألمانية آنا مارى شميل.

سابعاً: موقف المستشرق الأمريكى جون اسبوزيتو.



# الفصل الأول

# الجهود الدولية فى مجال حوار الحضارات

أولاً : سنة الأمم المتحدة للتسامح ١٩٩٥م.

ثانيًا : إعلان برلين ١٩٩٩م ومبادرة الحوار الثقافي بين المجتمعات الإسلامية والغربية.

ثالثًا : الوثيقة العالمية للحوار بين الحضارات والصادرة عن الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة.



# الجهود الدولية فى مجال حوار الحضارات

## مقدمة

لقيت نظريات الصراع الحضارى ردود فعل قوية ترفض مفهوم الصراع بين الحضارات، وتؤكد على التقاء الحضارات فى الماضى، وضرورة العمل على تواصل الحضارات وتفاعلها فى الحاضر والمستقبل. وقد أثارت نظرية صدام الحضارات لصموئيل هنتنجتون جدلاً عظيمًا فى الدوائر الثقافية فى الغرب، وانبرى للرد عليها عدد من زعماء الغرب من أهمهم الرئيس الألمانى السابق رومان هرتسوج، وكذلك عدد من المستشرقين الموضوعيين المحبين للحضارة الإسلامية والمقدرين للتفاعل الحضارى بين المجتمعات الإسلامية والغربية من أمثال المستشرقة الألمانية الشهيرة آنا مارى شيمل، والمستشرق الألمانى فريتز شيتيبات، والمستشرق الأمريكى اسبوزيتو وغيرهم.

إلى جانب المواقف الشخصية الإيجابية لعدد من الزعماء والعلماء قامت هيئة الأمم المتحدة بجهود جيدة لدعم العلاقات الحضارية بين الشعوب، وأسهمت نظريًا وعمليًا فى تنشيط الجهود المبذولة لتقوية الحوار بين الحضارات. وقد بدأت هذه الجهود بتحديد عام ١٩٩٥م عامًا للتسامح الثقافى. وفى عام ١٩٩٩م صدر إعلان برلين عن الحوار بين المجتمعات الإسلامية والغربية. وفى عام ٢٠٠٠م أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة وثيقتها العالمية الخاصة بالحوار بين الحضارات.

## أولاً: سنة الأمم المتحدة للتسامح ١٩٩٥م

تم إعلان سنة الأمم المتحدة للتسامح من خلال قرارين للجمعية العمومية هما القراران رقم ٤٧/١٢٤ بتاريخ ١ ديسمبر ١٩٩٢ ورقم ٤٩/٢١٣ بتاريخ ١ ديسمبر ١٩٩٤ .

وتم اختيار عام ١٩٩٥م باسم سنة الأمم المتحدة للتسامح استنادا إلى أن ميثاق الأمم المتحدة يؤكد على أن سنة التسامح هى أحد المبادئ التى يجب تطبيقها لبلوغ الغايات التى تنشدها الأمم المتحدة فى سبيل منع نشوب الحرب ودعم السلام وحفظه. ويشير ميثاق الأمم المتحدة أيضاً إلى أن من أهداف الأمم المتحدة تحقيق التعاون الدولى فى حل المشاكل الدولية التى تتسم بطابع اقتصادى أو اجتماعى أو ثقافى أو إنسانى، وتعزيز احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية للجميع دون تمييز على أساس العنصر أو الجنس أو اللغة أو الدين. وتضع الأمم المتحدة فى اعتبارها الإعلان العالمى لحقوق الإنسان، وبرنامج عمل ڤيينا ١٩٩٣ والمواثيق الدولية الخاصة بحقوق الإنسان اقتناعًا منها بأن التسامح والاعتراف بالآخرين وتقديرهم والقدرة على العيش معهم والاستماع إليهم هو الأساس السليم لأى مجتمع متحضر، وهو الأساس الجيد للسلام بين الشعوب[(١)].

وقد تقدم مدير عام اليونسكو فى نهاية عام ١٩٩٤م بتقديم إعلان المبادئ الخاص بالتسامح مطالبا المجتمع الدولى بوضع نهاية لثقافة الحرب، وبداية ثقافة السلام. وأدان التطهير العرقى والإرهاب، والتعصب الثقافى والدينى، والإبادة والاستبعاد والتمييز، وأثنى على الحوار ونبذ العنف كأفضل الوسائل لحل الصراعات التى تنشب فى المجتمعات الإنسانية[(٢)]، وفى ٢١ فبراير ١٩٩٥ تم إعلان يوم الأمم المتحدة للتسامح فى مؤتمر عقده الأمين العام للأمم المتحدة والمدير العام لليونسكو فى مقر الأمم المتحدة. وقد عقد اليونسكو مجموعة أنشطة خلال عام ١٩٩٥م لإشاعة التسامح وذلك من خلال برامج متنوعة واجتماعات، وحفلات موسيقية، ومهرجانات إذاعية، وإصدارات، وعروض ومعارض فى العديد من بلدان العالم. واشتمل هذا النشاط الإقليمى والدولى على برامج ثقافية، وجوائز دولية ومؤتمرات دولية، وأفلام وعروض مسرحية ومعارض لكتب الأطفال، ومسابقات أدبية، وكتابة مقالات، ونشر اقتباسات عن التسامح من كتابات مختلفة ... كل هذا من أجل إشاعة مفهوم التسامح بين الشعوب.

(١) United Nations Year for Tolerance the Plenary meeting, Adapted without a vote in / Dec. 1993, p.391.

(٢) Final Report on the United Nations Year for Tolerance, Declaration of principles on Tolerance, p.4.

وتم عقد عدة مؤتمرات دولية فى تركيا والبرازيل وكوريا وإيطاليا وتونس والهند والاتحاد الروسى لتفعيل مفهوم التسامح وتحريك المجتمعات والجماعات العلمية والثقافية من أجل هدف التسامح، وقد شاركت شخصيات عالمية لإعطاء رسائل فى التسامح واشترك فيها أيضاً شخصيات حكومية من البلاد المضيفة[1].

وفى ١٦ نوفمبر ١٩٩٥م تم وضع إعلان المبادئ الخاص بالتسامح واتخاذ الإجراءات الكفيلة بإشاعة التسامح كضرورة لنشر السلام وتحقيق التقدم الاجتماعى والاقتصادى للشعوب. وقد عرف إعلان المبادئ التسامح على النحو التالى: «التسامح هو احترام وقبول وتقدير التعددية الغنية، والتنوع الثرى لحضارات العالم وثقافاته، وأشكال التعبير، وطرائق البشر المختلفة. ويتم تحقيق هذا من خلال تنمية المعرفة، والاتصال وحرية التعبير، وعن طريق الضمير والإيمان».

التسامح هو الاتساق داخل الاختلاف، وهو ليس فقط واجبا أخلاقيا ولكنه أيضاً مطلب سياسى وشرعى. إن التسامح فضيلة تجعل السلام ممكنا وتساهم فى استبعاد ثقافة الحرب وإشاعة ثقافة السلام[2].

التسامح موقف إيجابى يدفع إليه الاعتراف بحقوق الإنسان وبالحريات الأساسية للآخرين، ويجب على الأفراد والجماعات والدول ممارسة التسامح لأنه مسئولية الجميع الضامنة للحفاظ على حقوق الإنسان وعلى التعددية بما فيها التعددية الثقافية وسيادة القانون، ويحتوى التسامح ضمناً على رفض «الدوجماتية ـ dogmatism»، ومع احترام حقوق الإنسان لا يعنى التسامح التنازل عن العدالة الاجتماعية، أو ارتكاب المظالم الاجتماعية، أو إضعاف ثوابت الإنسان ومعتقداته، ولكن التسامح يعنى أن يتبع الإنسان ثوابته ومعتقداته، ويقبل أن يفعل الآخرون نفس الشئ. التسامح يعنى قبول حقيقة اختلاف البشر فى المظهر والموقف والخطاب والسلوك وفى القيم[3]. التسامح يعنى قبول حق الآخر فى أن يعيش فى سلام، كما يعنى عدم فرض آراء الإنسان على الآخرين.

(١) Ibid., p.5.
(٢) Ibid., p.7.
(٣) Ibid., p.7.

وعلى مستوى الدولة يتطلب التسامح تطوير تشريعات عادلة غير منحازة، وتحقيق تكافؤ الفرص الاقتصادية والاجتماعية، وتجنب التمييز حيث يؤدى الاستبعاد والتهميش إلى تنمية الكراهية والإحباط والتعصب. والمطلوب من الحكومات وضع القوانين التى تضمن تحقيق العدالة فى المعاملة وتحقيق تكافؤ الفرص أمام الجميع من أجل خلق مجتمع أكثر تسامحاً. ولضمان حدوث التوافق على المستوى الدولى يجب على الأفراد والدول والجماعات أن تقبل الصفة التعددية الثقافية على المستوى البشرى وتحترمها. وبدون التسامح لا يمكن أن يكون هناك سلام، وبدون السلام لا يمكن تنمية الديموقراطية، فعدم التسامح يؤدى إلى تهميش واستبعاد الجماعات والأفراد عن المشاركة السياسية والاجتماعية، وارتكاب أعمال العنف والتمييز ضدها [١].

والتسامح له أيضاً بعده الاجتماعى المهم على المستوى الدولى. ففى ظل عولمة الاقتصاد يمثل عدم التسامح تهديدا عالميا. فهو يؤدى إلى ممارسة التمييز ضد الدول والجماعات، ويمنع من الاتصال والتكامل بين المجتمعات. والتسامح ضرورى بين الأفراد وعلى مستوى الأسرة والمجتمع، ولذلك يجب العمل على إشاعة التسامح وتنمية الاستماع المتبادل، والانفتاح على الآخر فى المدارس والجامعات ومن خلال التعليم غير التقليدى. وعلى وسائل الإعلام دور كبير وبنّاء فى تيسير الحوار الحر والنقاش المفتوح، وفى إشاعة قيم التسامح، وتوضيح مخاطر اللامبالاة تجاه الآخر، والحض على نبذ ثقافة عدم التسامح [٢].

وفى مجال التعليم ينص إعلان المبادئ على أن التربية والتعليم من أهم الوسائل المؤثرة لمنع التعصب وعدم التسامح. وأولى خطوات تربية التسامح تعليم الناس حقوقهم وحرياتهم المشتركة، وحثهم على احترام حقوق الآخرين. ولذلك من الواجب تنمية التسامح المنظم والعقلانى من خلال مناهج دراسية تخاطب العقل، وتوضيح مصادر عدم التسامح الثقافى والسياسى والاجتماعى والاقتصادى والدينى،

(١) Ibid., p.8.
(٢) Ibid., p.8.

وتحديد جذور العنف والتمييز[1]. وضرورة وضع السياسات التعليمية والتربوية التى تساهم فى تنمية التفاهم والتسامح بين الأفراد والجماعات الأثنية والاجتماعية والثقافية والدينية واللغوية. ويهدف تعليم التسامح إلى مواجهة التعصب من خلال تدريب الشباب على التفكير العقلى النقدى وعلى التفكير الأخلاقى، ويجب دعم برامج البحث العلمى والتربوى فى مجال التسامح وحقوق الإنسان، وتنمية النزعة إلى اللا عنف. وهذا يعنى الاهتمام بالتدريب وبالمناهج وبالمحتوى المنهجى فى الكتب المدرسية من أجل العناية بالانفتاح على الثقافات الأخرى، وتقدير قيمة الحرية واحترام الكرامة الإنسانية، وقبول الاختلاف، ومنع الصراعات أو حلها بالوسائل السليمة[2].

## ثانياً: إعلان برلين (٢٣ أبريل ١٩٩٩) ومبادرة الحوار الثقافى بين المجتمعات الإسلامية والغربية:

احتوى إعلان برلين الخاص باستراتيجية العمل من أجل تنفيذ مبادرة الحوار الثقافى بين المجتمعات الإسلامية والغربية - التى دعا إليها الرئيس الألمانى هرتسوج، وتبناها عدد من ملوك ورؤساء الدول الغربية والإسلامية — على البنود التالية التى انتهت إليها المناقشات فى المؤتمر الذى عقد لهذا الغرض:

- اقتناع الأطراف المشتركة أن الاتصال بين الثقافات والحضارات المختلفة قد أصبح واحدا من المعالم الرئيسية للمجتمعات المعاصرة فى العالم، وهو يمثل النسيج الداخلى للعلاقات بين الأمم[3].
- هدف الإعلان بناء استراتيجية للحوار الثقافى الذى يستوعب التعليم والبحث والاتصالات، والتعبير الثقافى، والسياسات والاقتصاد، والمجالات الأخرى ذات الصلة بموضوع الحوار والمؤثرة فى مستقبل المجتمعات وعلاقاتها.
- الاجتهاد من أجل تطوير مفهوم طويل المدى لمنع وقوع الصراعات ولإدارة الصراع فى حالة وقوعه.

(١) Ibid., p.9.

(٢) Ibid., p.9

(٣) Berlin Declaration, Agenda for Cultural Action Dialougue of Cultures, The future of Relations between Western and Islamic Societies, Berlin July.p.1.

● التركيز على القيم المشتركة بين الثقافتين الإسلامية والغربية[١].
● التأكيد على القاعدة الذهبية التى تقول أو توصى بألا تفعل للآخرين مالا تحب أن يفعلوه معك، والتى هى جزء من مجموعة قيم أخلاقية مشتركة بين كل الثقافات والأديان. واعتبار هذه القاعدة الذهبية مصدر إلهام لطرق ووسائل يسلكها أفراد المجتمعات الغربية والإسلامية تجاه بعضهما البعض[٢].

واستنادا إلى هذه الأمور يوصى المؤتمرون بخلق مساحة من الحوار الثقافى وتكثيف التعاون الثقافى بين الدول المعنية فى المجالات التالية:

**١- مجال التعليم والبحث العلمى**

ويمثل مجال التعليم أحد المجالات الهامة التى يمكن من خلالها بث قيم الحوار الثقافى ونشر المبادئ التى تساعد على قيام الحوار بين الحضارات. فالتعليم وسيلة للتعرف على الآخرين والتفاعل معهم، وتنمية القدرة على التعامل إيجابيا مع الآخر. والهدف المنشود هنا هو العمل على تكوين مجتمع تعليمى كونى يسمح بالتبادل الثقافى على المستوى العالمى، وينمى روح الحوار، وتطوير نظام تعليمى عابر للثقافات وغير منغلق ثقافيا على نفسه.

وقد أوصى إعلان برلين من أجل تحقيق هذا الهدف بشكل عملى بما يلى:

● أن يتضمن البرنامج التعليمى فى التعليم الأولى والثانوى التخطيط لنشر المفاهيم الثقافية المشتركة بين الشعوب وتوضيح التفاعل الثقافى على المستوى العالمى ووضعه ضمن البرامج الدراسية[٣].

● تشجيع تعليم اللغات الأخرى منذ المرحلة التعليمية المبكرة ووضع البرامج الدراسية التى تخرج طلابا يتحدثون بلغتين على الأقل.

● تشجيع التبادل الثقافى بين تلاميذ المدارس وتعويدهم على التعامل مع الثقافات الأخرى.

---

(١) Ibid., p.1.
(٢) Ibid., p.1.
(٣) Ibid., p.2.

- نقل المعرفة عن الثقافات الأخرى وتخليص الكتب المدرسية من الصور النمطية عن الآخر وبخاصة إذا كانت صورا مشوهة وعدائية .
- تطوير مشروعات نموذجية ثنائية أو متعددة فى تأليف الكتب المدرسية .
- تدريس نماذج لدراسات مقارنة للتعليم الدينى والأخلاقى التبادلى أو المشترك بين الأديان ، وتشجيع الحوار الدينى فى المدارس العامة والخاصة[١] .

أما بالنسبة للتعليم العالى والمؤسسات العلمية فيجب :

- تشجيع الدراسة والبحث والتدريس فى المجالات العلمية المرتبطة بالعلوم الثقافية والاجتماعية التى تتناول المجتمعات المعنية مع استخدام أحدث الوسائل المنهجية[٢] .
- إنشاء برنامج تدريبى للمعلمين يرتبط بدرجة علمية تمنح فى العلاقات الثقافية المتبادلة ، ويهدف هذا البرنامج التعليمى إلى تدريس قيم أو أخلاق عالية (كونية) . وحض الجامعات فى البلدان المشتركة فى هذا البرنامج على التعاون مع بعضها البعض فى ذلك .
- التوسع فى دراسة المشاكل المرتبطة بالبحث الثقافى المقارن أو المتبادل ، وتشجيع برامج الدراسات العليا التى تهتم بدراسة الثقافة العالمية[٣] .
- تكوين لجان خبرة مشتركة ثنائية أو متعددة تهتم بتطوير تكنولوجيا المستقبل فى مجالات الاتصال والبيئة والجينات .
- تأسيس مؤسسة لدراسات الحوار الثقافى وذلك من أجل تنفيذ المشروعات الثقافية المقارنة والدراسات الثقافية البيئية فى المجالات الأكاديمية ، وتقوم بتقديم المنح الدراسية فى مجال حوار الحضارات ، وتعمل على تبادل الطلاب من ثقافات مختلفة[٤] .

---

(١) Ibid., p.2.

(٢) Ibid., p.2.

(٣) Ibid., p.2.

(٤) Ibid., p.3.

يؤكد نص إعلان برلين عن الحوار الثقافى بين المجتمعات الإسلامية والغربية على ضرورة استخدام وسائل الإعلام وتوظيفها لخدمة هدف الحوار الإسلامى الغربى. ويأتى الإعلام بعد التعليم فى الأهمية وفى القدرة على خلق شخصية إنسانية تقبل الآخر وثقافته، وتحقق التفاعل الثقافى بين الشعوب. ولذلك ينص إعلان برلين على أنه يجب على وسائل الإعلام الحرة أن تطور عن طواعية عمليات الفهم المتبادل، وأن تقوى العلاقة بين المسلمين والغرب بل وبين الشعوب عموما، وذلك من خلال تشجيع إدراك الآخر أو الأجنبى كشريك أو زميل أو صديق؛ وذلك يتم من خلال البعد عن التعصب والتحيز الإعلامى المشوه للشخصية الإنسانية المنتمية إلى ثقافة أخرى، وتوخى الموضوعية فى ذلك الأمر من أجل تقريب الشعوب من بعضها البعض، وتطوير مبدأ القبول للآخر وثقافته. وتقع على الإعلام مسئولية قبول الحقيقة المختلفة بوسائل لغوية واصطلاحية[1].

ويتطلب الأمر إعادة توجيه وسائل الإعلام وتوظيفها لتعميق الحوار الثقافى المتبادل. **وقد أوصى إعلان برلين لتحقيق هذا بالأمور التالية :**

- تصميم أو تخطيط قانون أخلاقى للسلوك بالنسبة لرجال الإعلام والصحافة ويصبح هذا القانون الأخلاقى أساسًا يؤخذ به فى عمليات الأخبار ذات الطابع الدولى. ويجب تأسيس جماعة عمل أو فريق عمل من الصحفيين لإعداد هذا القانون.
- إقامة حوارات إعلامية متعددة الجنسيات لدعم العمل تجاه تحقيق الحوار الثقافى.
- تأسيس مراكز بحوث لدراسات الإعلام المنظمة ذات الطابع الدولى المتعدد الجنسيات، والاهتمام بالتدريب الصحفى المهنى والتوثيق، وأن يتم تأسيس أحد هذه المراكز فى أوروبا وأحدها الآخر فى العالم الإسلامى[2].
- تشجيع البرامج التليفزيونية والإذاعية التى تعمل على التقريب بين العالمين الإسلامى والغربى بطريقة خلاقة وفعالة، وتقدم العالم الإسلامى إلى الغرب،

(١) Ibid., p.3.
(٢) Ibid., p.3.

وتقدم الغرب إلى العالم الإسلامى بشكل غير منحاز أو متعصب .

- استخدام وسائل الاتصال الحديثة لتحقيق مستوى من الاتصال الثقافى التعددى وفى ربط علماء ومفكرين من العالمين الإسلامى والغربى ببعضهم ومساعدتهم على تبادل الأفكار والمفاهيم من خلال شبكات الإنترنت وغيرها من وسائل الاتصال الحديثة[1] .

ولا شك فى أن الإعلام هو المسئول الأول عن تكوين صورة ومفهوم الآخر . وهو القادر على تقديم الصورة الحقيقية للآخر ، أو تقديم صورة مشوهة عنه . ولابد من الإشارة هنا إلى دور الإعلام الغربى فى تشويه العلاقات الإسلامية الغربية خلال العقود الأخيرة من القرن العشرين ؛ حيث انحاز الإعلام فى الغرب ضد القضايا العربية والإسلامية ، وعمل على تقديم صورة للمسلم تربطه بالإرهاب ، وتصفه بالتشدد الدينى والتزمت ، وترميه بالتخلف ، وصورت الإسلام فى صورة الدين الذى يحض على الإرهاب ويشجعه ، كما اعتبرته سبب تخلف المسلمين فى العصر الحديث . والحقيقة أن الإعلام الغربى بتحيزه التام وتعصبه ضد كل ما هو عربى ومسلم يعتبر مسئولا مسئولية مباشرة عن تكوين صورة العربى أو المسلم لدى الإنسان الغربى .

وإذا كان إعلان برلين صادقا فى أهدافه ومخلصا لها فعلى القائمين عليه والمهتمين بتأسيس حوار ثقافى غربى مع المسلمين أن يعملوا على إعادة تشكيل صورة العربى والمسلم لدى العقلية الغربية التى تشبعت بالصورة السلبية السيئة التى قدمها الإعلام الغربى .

إن الإعلام العربى والإسلامى ليست له قضية مع الغرب ، وهو فى حالة دفاع عن النفس وحملته ضد الغرب تستهدف تغيير الصورة السلبية المنحازة ضد العربى والمسلم . والإعلام العربى بلا شك على استعداد للدخول فى الحوار الثقافى مع الغرب عندما يرى تغييرا حقيقيا فى الموقف الإعلامى الغربى تجاه العرب والمسلمين .

---

(١) Ibid., p.3.

### ثالثا : الوثيقة العالمية للحوار بين الحضارات الصادرة عن الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة ٢٠٠٠م :

#### أ - مبررات الدعوة إلى حوار الحضارات :

استند مشروع الوثيقة العالمية للحوار بين الحضارات إلى عدد من المسوغات أو المبررات من أهمها :

١- أن ميثاق الأمم المتحدة يقوم على أساس الحوار والتفاهم بين الشعوب التى ترتكز إلى وحدة الأصل الإنسانى، وهى حقيقة أكدتها القيم الروحية فى مختلف الأديان والحضارات وتمثل القاعدة لإقامة الحوار والتفاهم والتعارف بين الأمم والحضارات[١] .

٢- أن تعزيز العلاقات الودية المتبادلة يؤدى إلى توسيع نطاق التعاون الاجتماعى والثقافى والاقتصادى فى مجال العلاقات الدولية ويقوى بالتالى النزعة إلى السلام بين الشعوب .

٣- وجود التفاعل بين الحضارات على مر العصور وعلى الرغم من انتشار الحروب . وهذا التفاعل هو الذى أدى إلى إعمار الأرض .

٤- أن الثقافات والحضارات تنتشر خارج حدودها الجغرافية والإقليمية ولا تقتصر على دول بعينها بل تشكل نطاقات أوسع للتفاعل بعيدا عن الاعتبارات السياسية .

٥- أن المنجزات الحضارية الإنسانية منجزات مشتركة، وتمثل إرثا إنسانيا مشتركا للبشرية كافة .

٦- أن الثقافات والحضارات توفر مصادر ثرية من المعرفة والحكمة لمعالجة المشاكل المادية والروحية المشتركة للمجتمعات الإنسانية[٢] .

٧- أن الحرية والعدالة والتضامن والفضيلة تمثل مقومات أساسية لتعزيز التنمية البشرية

(١) United Nations Year of Dialogue among Civilizations, The General Assembly, Adopted without a vote in 4 November 1998.

(٢) Ibid., p.18.

والسلام والأمن المتبادل والعلاقات الودية بين الشعوب .

٨- أن الحوار ضرورة للعيش المشترك والتعاون الدولى لمنع الهيمنة والعدوان ودفع شرور الحرب ومظالمها .

٩- أن مستقبل البشرية مرهون بالإيمان الوثيق بالقيم الأخلاقية والالتزام بها مع العمل المخلص لإشاعة السلام والأمن[١] .

واستنادا إلى هذه المبررات السابقة أعلنت الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة الوثيقة العالمية للحوار بين الحضارات لتكون بمثابة رؤية عالمية لإقامة نظام عالمى عادل قائم على التواصل والمشاركة والتفاهم المتبادل والتسامح بين الشعوب من خلال الممارسة والتربية والتعاون[٢] .

### ب- أهداف الحوار بين الحضارات

وقد تم تحديد أهداف الحوار بين الحضارات فى هذه الوثيقة العالمية على النحو التالى :

١- تعزيز التواصل والعدالة والتسامح بين البشر وتشجيع التفاهم والاحترام المتبادل القائمين على التفاعل بين الحضارات على أساس من العقل وقيم الاعتدال والوسطية والتعددية الثقافية والسياسية[٣] .

٢- تعزيز أواصر التبادل الحضارى من خلال الاعتراف بثراء كل الحضارات وحكمتها[٤] .

٣- البحث عن أرضية مشتركة بين الحضارات لمواجهة التحديات المشتركة التى تهدد القيم والإنجازات البشرية .

٤- الحفاظ على الموروث الثقافى والحضارى وخصوصيته .

(١) Ibid., p.18.
(٢) Ibid., p.18.
(٣) Ibid., p.18.
(٤) Ibid., p.20.

٥- تنمية المعرفة الإنسانية من خلال إقامة التعاون بين مختلف الحضارات .

٦- تعزيز قيام الإنسانية المشتركة لترسيخ أسس التعاون بين الشعوب .

٧- حماية حقوق الإنسان الأساسية وحق الأفراد والشعوب فى حرية تقرير المصير، وفى الحفاظ على هويتها الثقافية، واحترام قيمها، وصيانة تراثها الحضارى وبخاصة عند تعرضها للاحتلال الأجنبى، والحفاظ على كيان الأسرة بوصفها أساس المجتمع الإنسانى(١) .

**ج ـ المبادئ المتحكمة فى تحقيق أهداف حوار الحضارات :**

ونص مشروع الوثيقة العالمية للحوار بين الحضارات على المبادئ التالية كمبادئ يجب أن تتحكم فى مسيرة العمل الدولى الساعى إلى حوار الحضارات :

١- احترام كرامة الإنسان وضمان المساواة بين البشر وبين الدول .

٢- الالتزام بمبادئ العدالة والأخلاق والقانون الدولى وميثاق الأمم المتحدة(٢) .

٣- الاعتراف بالتعددية الثقافية وتنوع مصادر المعرفة كمقوم لتعزيز الازدهار المادى والروحى للبشرية .

٤- احترام الثقافات والحضارات باعتبارها نتاجا للتفاعلات المشتركة للإنسانية .

٥- الاعتراف بحق كل الحضارات فى صيانة الموروث الحضارى والثقافى الخاص بها وتنميته .

٦- الالتزام بالتواصل والتعاون والتفاهم كأدوات لتعزيز القيم المشتركة .

٧- تمكن الشعوب من المشاركة فى صنع القرار وتبادل المنافع تبادلا عادلا لتحقيق السلام والتقدم والأمن(٣) .

---

(١) Ibid., p.19.

(٢) Ibid., p.19.

(٣) Ibid., p.20.

### د - عالمية المشاركة فى حوار الحضارات

نص مشروع الميثاق أيضاً على أن يكون حوار الحضارات حوارا عالميا تشترك فيه كل الحضارات والثقافات، ويتولى أمر الحوار بين الحضارات كل المنتمين إلى جميع الحضارات المعاصرة بصرف النظر عن الاعتبارات السياسية والقومية. ويشارك فى حوار الحضارات العلماء والمفكرون والكتاب والفنانون والمثقفون والمبدعون والإعلاميون والشباب باعتبارهم القوة المحركة للحوار والضامنة لاستمراره.

كما يجب أن يشارك فى الحوار بين الحضارات ممثلو هيئات المجتمع الأهلى والمنظمات غير الحكومية والحكومات باعتبارها مسئولة عن تيسير رسالة الحوار بين الحضارات، ويشارك فيه أيضاً المنظمات الإقليمية الدولية وبخاصة الأمم المتحدة، ومنظمة اليونسكو، وعلى هذه المنظمات اتخاذ الخطوات المناسبة لدعم الحوار[١].

### هـ - مجالات الحوار بين الحضارات

حددت الوثيقة مجالات الحوار بين الحضارات على النحو التالى:

١- المعرفة بالثقافات والحضارات المختلفة وبإنجازاتها الثقافية والتربوية والعلمية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية.

٢- دراسة الأوضاع البيئية والتحديات المهددة للسلم والأمن فى العالم مثل التحديات البيئية والنزاعات المسلحة والمخدرات والإرهاب والعنصرية وكراهية الأجانب.

٣- مجال حقوق الإنسان الأساسية[٢].

### و - الوسائل والآليات

حددت الوثيقة وسائل وآليات تحقيق أهداف الحوار بين الحضارات بدعوة الدول والمنظمات الدولية وغيرها إلى اتخاذ الحوار بين الحضارات كأداة لإرساء الثقة فى

(١) Ibid., p.20.

(٢) Ibid., p.21.

مختلف المجالات على المستويات الإقليمية والدولية بهدف تحقيق التواصل والتسامح والأمن المتبادل والتنمية، ومنع اللجوء إلى القوة فى إطار نظام دولى عادل(١).

وطالبت الوثيقة الدول الأعضاء فى الأمم المتحدة بتطبيق بنود الوثيقة فى المجالات السياسية والثقافية والتربوية والاجتماعية والاقتصادية والإعلامية والتكنولوجية بالوسائل التالية:

١- تقوية التفاعل والتعاون بين المثقفين والمفكرين المنتمين إلى حضارات متعددة بشكل متوازن وبعيداً عن نزعات التفوق والسيطرة وإقصاء الآخر أو استبعاده.

٢- تشجيع نشر الفنون وتبادلها باعتبارها تعبيراً جماليا مشتركا ووسيلة للإثراء الفنى والحضارى المتبادل.

٣- تنظيم المؤتمرات والندوات وورش العمل لتعزيز التعارف والسماحة، ونشر ثقافة الحوار بين الحضارات، ومن خلال الاحترام المتبادل والمعاملة الحسنة.

٤- تشجيع الترجمة والنشر بلغات الحضارات المختلفة وتوثيق تراثها وفنونها وصيانة آثارها ومخطوطاتها.

٥- إنتاج مواد وثائقية مختلفة تشمل الكتب والمقالات والأفلام التى تعطى أمثلة ونماذج تاريخية للتفاعل البنَّاء بين الحضارات(٢).

٦- تشجيع السياحة الثقافية والتاريخية

٧- إدراج برامج للتعريف بالثقافات والحضارات فى المناهج التعليمية وتعليم اللغات والتاريخ والفكر الاجتماعى والسياسى لمختلف الحضارات وتعزيز الدراسات الحضارية والثقافية البيئية والمقارنة. وتشجيع تبادل المعارف والمعلومات والمنح الدراسية بين الأكاديميين(٣).

٨- السعى إلى فهم الحضارات ودراسة وسائل تطوير التفاعل والتفاهم بينها.

---

(١) Ibid., p.21.

(٢) Ibid., p.22.

(٣) Ibid., p.22.

٩- تصحيح صورة الحضارات الأخرى فى المناهج التعليمية والاعتراف بحق الاختلاف وحرية الاختيار.

١٠- تعزيز التبادل العلمى والتكنولوچى وتضييق الفجوة العلمية والتكنولوجية مع مراعاة الجوانب الأخلاقية للعمل فى هذه المجالات[١].

١١- التعاون فى مواجهة الآثار والجوانب السلبية للعولمة.

١٢- توظيف تكنولوچيا الإعلام ووسائل الإعلام المختلفة والإنترنت لدعم رسالة حوار الحضارات وتعزيز التفاهم بين الشعوب.

١٣- توفير فرص متكافئة فى تدفقات إعلامية تعزز التفاعل الإيجابى والتعاون بين الحضارات.

١٤- تنفيذ برامج تهدف إلى إذكاء روح الحوار والتفاهم ونبذ العنف والعنصرية بين الشباب[٢].

١٥- تطوير آليات مناسبة على المستويات المحلية والوطنية والإقليمية لإشاعة الحوار فى كافة المجالات لنشر التفاهم المتبادل بين الحضارت.

١٦- تشكيل لجنة خاصة بالجمعية العامة للأمم المتحدة لتشجيع حوار الحضارات وتيسيره وإشاعة ثقافة الحوار فى أنشطة الأمم المتحدة فى المجالات المختلفة[٣].

١٧- تخصيص عام ٢٠٠١م كعام الأمم المتحدة لحوار الحضارات.

***

---

(١) Ibid., p.22.
(٢) Ibid., p.22.
(٣) Ibid., p.22.



# الفصل الثانى

# جهود بعض قادة وعلماء الغرب فى مجال حوار الحضارات

أولاً: كوفي أنان: حوار الحضارات والحاجة إلى منظومة أخلاقية عالمية.

ثانيًا: الرئيس الألماني السابق رومان هرتسوج ومعارضة نظرية صدام الحضارات.

ثالثًا: موقف المستشار الألماني السابق هيلموت شميت من حوار الحضارات.

رابعًا: الأمير تشارلز وعضوية العلاقة بين الحضارتين الإسلامية والغربية.

خامسًا: موقف المستشرق الألماني شتيبات من نظرية صدام الحضارات.

سادسًا: رؤية المستشرقة الألمانية آنا ماري شميل.

سابعًا: موقف المستشرق الأمريكي جون اسبوزيتو.



## جهود بعض قادة وعلماء الغرب فى مجال حوار الحضارات

### أولاً: كوفى أنان: حوار الحضارات والحاجة إلى منظومة أخلاقية عالمية

عبر كوفى أنان الأمين العام للأمم المتحدة عن رؤيته الشخصية لحوار الحضارات فى محاضرة ألقيت فى مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية فى يونيه عام ١٩٩٩م. ومن أهم الآراء التى عبر عنها أنان عن الإسلام والعلاقة بين الحضارتين الإسلامية والغربية وحوار الحضارات ما يلى:

١- أن الدين الإسلامى واحد من أعظم أديان العالم، ونبراس هاد لأكثر من حضارة عظيمة[1].

٢- أن «الصراع» بين الحضارتين الإسلامية والمسيحية تخلله اتصال والتقاء من خلال نقل علوم إحدى الحضارتين إلى الأخرى.

٣- أن غزو الحضارة الغربية للحضارات الأخرى فى العصر الحديث أدى إلى تحول حوار الحضارات إلى حوار من طرف واحد.

٤- أن كل العقلاء يرفضون حتمية الصدام بين الحضارات ويودون تجنب وقوع هذا الصدام.

٥- يوافق أنان على مقولة هنتنجتون بخصوص انتقال العالم من صراع الأيديولوچيات إلى صراع الهويات[2].

---

(١) مجلة الكلمة، متابعات الاستعداد لعام حوار الحضارات ٢٠٠١م، العدد ٢٤، صيف ١٩٩٩م، بيروت، ص١٨٥ .

(٢) المرجع السابق، ص١٨٦ .

٦- أن معظم الزعماء المسلمين الذين قابلهم يؤيدون حوار الحضارات ويتحمسون له .

٧- الدعوة إلى حوار سلمى يقوم على أساس مجموعة من القيم المشتركة .

٨- أن محاولة فرض الهيمنة الأمريكية على النظام العالمى الجديد وتأجيج الصراع سيؤدى إلى اندحار أمريكا شأنها شأن القوى العظمى السابقة[1] .

٩- أن الجاليات الإسلامية فى الغرب قادرة على إقامة حوار الحضارات باعتبارها جزءاً أساسيًا من المجتمع الغربى .

١٠- يجب أن يقوم الحوار على أساس من الاحترام المتبادل وليس على إلغاء الاختلاف بين البشر بل يجب الحفاظ على هذه الاختلافات[2] .

١١- التأكيد على مساهمة الحضارات الإسلامية فى البناء الحضارى الإنسانى .

### ثانيًا: الرئيس الألمانى السابق رومان هرتسوج ومعارضته نظرية صدام الحضارات

من بين الأصوات الأوروبية المعارضة لنظرية صدام الحضارات الرئيس الألمانى السابق رومان هرتسوج والذى عبر عن معارضته للنظرية بشكل عملى حيث طالب ببداية الحوار الثقافى بين الإسلام والغرب، وتبنى مبادرة لإقامة هذا الحوار، وتمكن من إقناع عدد من ملوك ورؤساء الدول من بينها النرويج وإسبانيا وفنلندة وإيطاليا والمغرب والأردن. كما تحمست مصر لهذه المبادرة وتبنتها ودعت إلى العمل من أجل تنفيذها .

وهدف مبادرة الرئيس هرتسوج تعميق التفاهم الثقافى بين العالم الاسلامى والغرب وتحقيق الالتقاء والتعاون بينهما بما يدحض نظرية هنتنجتون ويمثل ردا عمليا عليها. وبالنسبة لآليات تنفيذ هذه المبادرة فهى تتم على مستويين. المستوى الأول يتمثل فى التقاء عدد محدود من رؤساء الدول لمناقشة المبادرة وتوسيع دائرة المشاركة بعد ذلك، وعقد قمة على مستوى الملوك والرؤساء الذين تبنوا المبادرة. ولا شك أن هذه الآلية الأولى ستعطى للحوار الثقافى بين الإسلام والغرب قاعدة قوية للانطلاق

(١) المرجع السابق، ص١٨٦ .
(٢) المرجع السابق، ص١٨٦ .

بها إلى مجالاتها المختلفة، وتعطيها أيضاً قدرة تنفيذية بعد بلورة المفهوم ومناقشته والدخول فى مرحلته التنفيذية .

أما الآلية الثانية للعمل من أجل تحقيق هذه المبادرة فستتم على مستوى المعاهد ومراكز الفكر والبحوث فى الدول المعنية بالمبادرة. وقد تم اختيار معهداً لهذا الغرض يقوم بعمليات التنسيق المطلوبة وهو معهد الدراسات الشرقية فى مدينة هامبورج بألمانيا. أما فى مصر فقد تم اختيار معهد الدراسات الدبلوماسية التابع لوزارة الخارجية لتمثيل مصر فى هذه الآلية. وفى الحقيقة يجب توسيع دائرة المساهمين فى هذه الآلية من المراكز المصرية وبخاصة مراكز البحوث التى تهتم بالعلاقات بين الغرب والشرق وبالعلاقات الإسلامية الغربية. فالمبادرة مهمة وتحتاج إلى جهود العلماء فى العديد من المؤسسات الدينية والثقافية.

أما المراحل التنفيذية التى تمت من أجل تحقيق هذه الآليات فتتمثل فى انعقاد مؤتمر دولى للحوار فى مدينة برلين فى ٢٤-٢٣ إبريل عام ١٩٩٩م. وقد حضر هذا المؤتمر ممثلون للمعاهد والمراكز فى الدول المتبنية للمبادرة مع عدد من المفكرين. وقد مثل مصر كل من الدكتور أحمد كمال أبو المجد وزير الإعلام الأسبق، والسفير د. محمود فرغل مساعد وزير الخارجية ومدير معهد الدراسات الدبلوماسية.

وتمت دعوة عدد من المفكرين من عدة دول مثل إيطاليا وفرنسا. وقد ألقى الرئيس هرتسوج كلمة الافتتاح، وأكد فى كلمته على نجاح المبادرة وضرورة التصدى للرد على نظرية هنتنجتون، ورفض مفهوم الصراع بين الحضارات.

**ومن أهم القضايا التى ناقشها المؤتمر:**

- أبعاد العلاقة بين المجتمعات الإسلامية والمجتمعات الغربية.
- كيفية تنفيذ الحوار الثقافى بين الإسلام والغرب بشكل عملى.
- دور التعليم والعلوم المختلفة فى بلورة مفهوم الحوار بين الحضارات وتنفيذه.
- دور الإعلام فى علاقات الحوار وفى الدعاية للحوار بين الحضارات، وبث الفكرة ونشرها بين الشعوب الإسلامية والغربية.
- ظروف التسامح فى المجتمعات الإسلامية والغربية .

● الحوار الحضارى وأوضاع الأقليات.
● التحديات المشتركة من أجل تحقيق نظام إعلامى مهتم بالتنمية[١].

وبالإضافة إلى هذا ناقش المؤتمر المبادئ التى يجب أن يقوم عليها الحوار بين الإسلام والغرب، وتم الاتفاق على:

● التركيز على نقاط التلاقى بين الإسلام والغرب.
● تصحيح صورة الإسلام والمسلمين لدى الغرب وبخاصة فى وسائل الإعلام وفى الثقافة والفنون.
● التأكيد على الطبيعة الثقافية للمؤتمر تجنبا للمشاكل السياسية[٢].

وانتهى المؤتمر إلى إصدار إعلان برلين الذى يحتوى على أجندة عمل تتضمن استراتيجية الحوار على أساس من القيم الثقافية المشتركة وأهميتها.

ولا شك فى أن مؤتمر برلين والإعلان الصادر عنه يعد بمثابة الخطوة الأولى الضرورية للانطلاق إلى الحوار الإسلامى الغربى، ونعتقد أنه فى حالة نجاحه سيصبح نموذجا قابلاً للتطبيق فى مجال الحوار العام بين كل الحضارات فى الشرق والغرب، وهو أفضل رد على نظرية الصدام، وذلك من خلال العمل الدؤوب على تحقيق التقاء الحضارات، وإثبات توافقها لا صدامها وتصارعها.

### علاقتنا بالإسلام

وفى مناسبة أخرى مهمة نقد الرئيس الألمانى السابق رومان هرتسوج نظرية هنتنجتون نقدا شديداً. ففى حفل تكريم المستشرقة الألمانية آنامارى شيمل بمناسبة حصولها على جائزة السلام فى عام ١٩٩٥ قال هرتسوج: "إن تأمين حقوق الإنسان والسلام بين البشر وبين الشعوب والدول وأخيرا بين الحضارات قد أصبحت اليوم من أكثر الآراء المقنعة لدينا إلا أن هذا يفترض أن تتعرف الشعوب والحضارات على بعضها البعض.

---

(١) وزارة الخارجية: معهد الدراسات الدبلوماسية: مذكرة معلومات حول مبادرة الرئيس السابق هرتزوج للحوار الثقافى بين الإسلام والغرب، يوليه ١٩٩٩، ص ١.
(٢) المرجع السابق، ص٣.

فبدون معرفة مشتركة لا يمكن أن ينشأ تفاهم متبادل، وبدون تفاهم لا يمكن أن يتوفر الاحترام أو الثقة المتبادلة، وبدونها لا يمكن أن يسود السلام، بل هنا يكون التصادم هو الخطر المحقق[1] . ويقول أيضاً: «إن الكرامة الإنسانية فى التعايش الثنائى تستلزم منا المزيد من العمل، إنها تفرض علينا فى البداية أن نبذل كل المساعى لكى لا تفسر الحدود الحضارية باعتبارها حدودا بين الفقر والغنى. إن الصلات فى مجالات العلوم والتقنية والاتصالات العالمية هى التى تحمينا من تحقق النبوءات التى تشير إلى صدام الحضارات أو الصراع الحضارى العالمى»[2].

ويطالب الرئيس الألمانى هرتسوج باستراتيجية سلام بين الحضارات تمنع التصورات المروعة عن التصادم الحضارى إذا ما تعاون المستنيرون والباحثون عن حضارة التسامح ضد من يرسمون الصور العدائية بين الشعوب[3] . ويعتبر هرتسوج التعاون الاقتصادى والمصالح الاقتصادية المشتركة وتبادل العلوم والتكنولوچيا والاتصالات الحديثة مدخلا جيداً لتحسس القواسم الكبرى التى تربط الحضارات العالمية، وللبحث عن أخلاقية حضارية مشتركة، ويمكن أن تأتى نتيجة تجنب العالم التصادم الحضارى العالمى[4].

وفيما يتعلق بعلاقة الغرب بالإسلام يؤكد هرتسوج على خطأ شائع فى الغرب وهو أن كلمة «الإسلام» ارتبطت فى أذهان الكثيرين فى الغرب بالتعصب الدينى، والجمود والتخلف، والأصولية المتشددة، وقمع المرأة والعقوبات الشديدة مثل الإعدام وغير ذلك من السلبيات[5]. ويقول: «إن هذا الربط يعبر عن قصر نظر يجب علينا إصلاحه، ولنتذكر مرة واحدة أن تاريخ العالم شهد تنويراً إسلاميا منذ ستمائة أو سبعمائة عام وهى النهضة التى حافظت للغرب على قسم كبير من أصول المعرفة اليونانية الأصلية»[6].

(١) الإسلام والغرب وإمكانية الحوار. تحرير وتقديم كامى حافظ ترجمه من الألمانية صلاح محجوب مراجعة محمد خليفة حسن، المجلس الأعلى للثقافة المشروع القومى للترجمة، العدد ٢٤٠، القاهرة ٢٠٠٠م، ص ٢١٨ .

(٢) نفس المرجع السابق، ص٢١٧ .

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق، ص٢٢٠ .

(٥) المرجع السابق، ص٢١٨ .

(٦) المرجع السابق، ص٢٧ .

## ثالثا: موقف مستشار ألمانيا السابق هيلموت شميت من حوار الحضارات

عبر السيد هيلموت شميت مستشار ألمانيا السابق عن موقف بلاده من حوار الحضارات من خلال كلمته التى ألقاها فى مؤتمر «الإسلام ومستقبل الحوار الحضارى» الذى انعقد بالقاهرة عام ١٩٩٦م.

وعبر المستشار عن اهتمامه بالحوار بين الحضارات على النحو التالى: «إن اهتمامى الشخصى بالإسلام ومساندة الحوار بينه وبين الديانات والحضارات الأخرى قد استهوانى طوال العقدين الماضيين بواسطة الرئيس أنور السادات؛ لأنه كان مسلمًا عميق الإسلام والإيمان. وفى الوقت نفسه كان هو الشخص والإنسان الوحيد الذى خطط وقاد عملية السلام فى الشرق الأوسط»(١).

وقد أعلن المستشار هيلموت شميت عن رفضه الشديد لنظرية صدام الحضارات بقوله: «منذ ثلاث سنوات نشر الأمريكى الأكاديمى صموئيل هنتنجتون بحثًا حول عدم إمكانية تجنب أو تفادى التصادم بين الحضارات والديانات. وإننى أعتقد أن هنتنجتون غير صائب تمامًا بل مخطئ كليًا. ومع هذا فإن بحثه يمكن الاستفادة به فى حالة إدراكنا لمدى الخطر الذى يحيق بمستقبل البشرية»(٢).

وأشار المستشار هيلموت فى كلمته إلى العديد من الجهود الألمانية نحو تحقيق الحوار بين الأديان والحضارات، واستشهد شميت بأقوال من بيان مجلس التفاعل الذى انعقد فى مايو ١٩٩٦م تحت عنوان: «الحاجة إلى مقاييس أخلاقية علمية» من بينها: «إن ديانات العالم تكون أهم نواميس الحكمة والعقل للبشرية وإن مصادر المعايير والنماذج الأخلاقية موجودة فى الديانات العالمية. إن المفهوم العالمى للأخلاق يعطى الحد الأدنى الضرورى من القيم العامة والمعايير الإنسانية وكذلك الحد الأدنى الأساسى من التوافق المتعلق بالقيم والمواقف الأخلاقية التى تؤكدها كل الأديان(٣). وأوصى بمبدأين هما:

---

(١) كلمة السيد هيلموت شميت في المؤتمر العام الثامن للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٩٤م، في كتاب الإسلام ومستقبل الحوار الحضاري، سلسلة قضايا إسلامية، العدد ١٥، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٩٦م، ص٨٣.

(٢) المرجع السابق، ص٨٥.

(٣) المرجع السابق، ص٨٦.

ضرورة المعاملة الإنسانية لكل إنسان ومعاملة الآخرين كما نحب أن يعاملنا الآخرون. ويجب أن نتعهد بعدم استخدام العنف وضرورة احترام الحياة، والالتزام بالتضامن والتكافل فى النواحى الاقتصادية، وخلق الوعى بالتسامح، وخلق الوعى بالمساواة فى الحقوق بين الرجل والمرأة. وطالب المستشار فى كلمته بضرورة أن يشتمل التعليم على قيم التسامح الإيجابى لمواجهة العنف الدينى مهما كان مصدره. إن سلام البشرية يحتاج إلى كثير من التسامح المتبادل بين ديانات الشعوب المختلفة والنابع من الاحترام المتبادل، ويجب على الجامعات أن تعلم الاحترام والتسامح تجاه كل الأديان، وتراعى التضامن الدينى والثقافى المتبادل[1].

وأنهى المستشار كلمته بقوله: «أشكركم لحسن استماعكم لى كمسيحى يحمل الاحترام العميق للإسلام وللنبى محمد (صلى الله عليه وسلم) ويؤمن بوحدانية الله مثل إيماننا بوجودنا نحن فى الحياة»[2].

ويؤكد شميت على أن الحوار مع العالم الإسلامى يهدف إلى بلوغ قيم إنسانية مشتركة ومقننة. وقد اعترف البرلمان الأوربى فى ستراسبورج عام ١٩٩١م بدور الإسلام فى بناء الثقافة الأوربية والتاريخ الإنسانى مما يستلزم إعادة النظر فى الصورة المغلوطة والسلبية عن الإسلام والتى تنشرها وسائل الإعلام الغربية ذات الجماهيرية الكبيرة[3].

## رابعًا: الأمير تشارلز وعضوية العلاقة بين الحضارتين الإسلامية والغربية:

يعتبر الأمير تشارلز، ولى عهد بريطانيا، من الشخصيات الأوربية الرسمية المثقفة فى مجال الإسلام والحضارة الإسلامية. وقد شارك فى عدد من المناسبات الثقافية والدينية ذات الصلة بالشأن الإسلامى. وقد عبر فى كل هذه المناسبات عن وجهة نظر غربية إيجابية تجاه الإسلام وحضارته، وأبدى إعجابه الشديد بالحضارة الإسلامية

---

(١) المرجع السابق، ص٨٨ .

(٢) المرجع السابق، ص٨٩ .

(٣) La Contribution de la Civilisation islamique a la Culture Europeenne, Conceil de l' Europe. 6497, Strasburg, 1992,p.2.

ومنجزاتها، وبخاصة فى مجال الفنون، واعترف بإسهامات الحضارة الإسلامية فى الحضارة الإنسانية. وتعتبر آراء الأمير تشارلز من أقوى وأجرأ الآراء الإيجابية عن علاقة الحضارتين الغربية والإسلامية.

ومن أهم آراء الأمير تشارلز التى عبر عنها فى إحدى محاضراته بمركز الدراسات الإسلامية بجامعة أكسفورد التأكيد على الصفات الحضارية للدين الإسلامى، ورفض الربط بين الإرهاب والإسلام، والاعتراف بأن الدين الإسلامى دين معتدل والإشارة إلى عالمية ظاهرة الإرهاب وعدم ارتباطها بالمسلمين من بين كل أهل الأديان.

ولعل من أهم آراء الأمير تشارلز ربطه للتراث الإسلامى بالتراث الغربى، واعتبار الإسلام جزءًا لا يتجزأ من تاريخ الغرب وله تأثير كبير على حضارة الغرب. وأكد على تفاعل الحضارة الإسلامية فى تكوين النهضة الأوربية وفى تشكيل أوربا الحديثة[1].

## خامسًا: موقف المستشرق الألمانى فريتز شتيبات من نظرية صدام الحضارات

أبدى المستشرق الألمانى فريتز شتيبات، أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة برلين الحرة، اعتراضه الشديد على نظرية صراع الحضارات، واعتبرها من النظريات المدمرة للعلاقات بين الغرب والعالم الإسلامى. وفى بداية مناقشته للنظرية ونقده لها يشير شتيبات إلى أمرين مهمين ينبغى أن يشارك المتخصصون الأكاديميون فى مناقشتهما نظراً لأهميتهما الكبرى فى تحديد مصير العلاقات الغربية الإسلامية.

الأمر الأول يرتبط بمسألة اعتبار الإسلام عقبة رئيسية فى وجه السلام العالمى فى الوقت الحاضر. والأمر الثانى يتعلق بإشكالية الحوار بين الأديان، وبخاصة بين المسيحية والإسلام. وقد أكد شتيبات أن السنوات القليلة الماضية شهدت «ميلاً فجائيا متناميا فى الغرب لاعتبار الإسلام خطراً يهدد العالم الحر، ويزعزع السلام على

(١) جمال معوض شقرة، التهديد الإسلامي للغرب المعاصر بين صموئيل هنتنجتون وجون اسبوزيتو في كتاب التقاء الحضارات في عالم متغير، حوار الصراع، القاهرة، ٢٠٠٣م، هامش ١٦، ص٣٢٢.

الأرض»[1]. وأن هذه الظاهرة بدأت تبرز بعد سقوط الاتحاد السوفيتي وسقوط الشيوعية في شرق أوروبا. وأصبحت هناك حاجة في مواجهة تهديد بديل وخلق عدو بديل للشيوعية، والإسلام يشكل هذا البديل الملائم[2].

ويؤكد شتيبات: «وأنا أرى أن لهذا السلوك دافعا غير عقلاني»[3]. ويرفض شتيبات استخدام مفهوم الحضارة والدين كمؤشر أساسي للتمييز بين أطراف الصراعات الرئيسية في العالم اليوم[4]. كما يرفض إعطاء الدين دورا حاسما في تشكيل المجموعات في نظام عالمي يتجه نحو الحرب، ويعتبر ذلك تفكيرا خاطئاً لأنه «لا الإسلام ولا المسيحية يهدفان أساسا إلى الدعوة إلى الحرب ... ولذلك يجب تفسير ظاهرة الحرب الدينية داخل إطارها التاريخي»[5].

ويكرر شتيبات رفضه لنظريات هنتنجتون فيقول: «تقوم نظرية هنتنجتون على الافتراض القائل بأن الأديان تواجه بعضها البعض بطريقة تقود بالضرورة إلى كل أنواع النزاعات بما في ذلك الحرب. وأنا أرفض هذه النظرية»[6]. وقد اقترح شتيبات استراتيجيتين لتجنب هذا الخطر. الاستراتيجية الأولى هي تفادي تأليف تكتلات سياسية مؤيدة لنشوب النزاعات ذات الصبغة الدينية.

والاستراتيجية الثانية هي «العمل باتجاه التفهم والتفاهم وإيجاد الأرض المشتركة بين أتباع كل الديانات بما يقلص من احتمالات التأزم»[7]. ويلقى شتيبات بالمسئولية على المتخصصين لكي يضعوا مقولة صدام الحضارات «داخل إطارها التاريخي، وأن يصححوا أنماط التفكير اللاتاريخية. وتعتبر نظرية هنتجتون الخاصة بصراع الحضارات

---

(1) فريتز شتيبات، «المنظومة الإبراهيمية للحوار»، في كتاب: الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت، ٢٠٠٠م، ص١٨٥.
(2) المرجع السابق، ص١٨٥.
(3) المرجع السابق، ص١٨٥.
(4) المرجع السابق، ص١٨٧.
(5) المرجع السابق، ص١٨٧.
(6) المرجع السابق، ص١٨٨.
(7) المرجع السابق، ص١٨٨.

نمطا من أنماط التفكير اللاتاريخى[1]. ويعتبر شتيبات مهمة الحوار بين الحضارات والحوار بين الأديان نشر الإحساس بأن الطرف الآخر لا يسعى إلى التدمير أو الإيذاء، ولا يهدف إلى التصادم، بل إلى الفهم وإيجاد أرضية مشتركة للتعايش البنَّاء والتعاون، ويؤكد أن الأزمات الكبرى فى العصر الحالى لا تقوم فى الحقيقة على قاعدة دينية أو حضارية[2].

## سادساً: رؤية المستشرقة الألمانية آنا مارى شيمل

تعتبر المستشرقة الألمانية آنا مارى شميل من أهم علماء الغرب المهتمين بحوار الحضارات وبالحوار بين الحضارتين الإسلامية والغربية. وللمستشرقة مواقف جريئة وشجاعة فى هذا الخصوص. وقد تعرضت فى عام ١٩٩٥م لحملة يصفها الدكتور محمود حمدى زقزوق بأنها حملة ظالمة من جانب الإعلام الألمانى والغربى حين وصفت عمل سلمان رشدى بأنه يمثل إهانة للأمة الإسلامية. ولا تزال تواصل إسهاماتها فى قضية الحوار بين الشرق والغرب[3]. وهى أعمال تمهد السبيل لحوار جاد مع الغرب يؤدى إلى تحقيق المزيد من التفاهم المشترك، وتصحيح المفاهيم الخاطئة والأفكار المغلوطة عن الإسلام وحضارته[4].

ويصف الدكتور محمود فهمى حجازى جهود آنا مارى شميل بأنها جهود جادة فى إطار لقاء الحضارات، ولها دور فى مقاومة جهود دعاة الصدام وإثارة الجماهير[5].

وفى موضوعية تامة تقول آنا مارى شميل «إن الإسلام هو الدين الوحيد الذى كثيراً ما تعرض للهجوم. وقد نشأ هذا كله من عدم الفهم الصحيح له حيث بدأت فى أوربا أسطورة تهديد المسلمين لعالم الغرب الأوربى منذ ما يقرب من ألف عام . . . وقد نشأت عن بعض الأحداث التاريخية تصورات مغلوطة عن الإسلام والمسلمين

(١) المرجع السابق، ص١٨٨ .
(٢) المرجع السابق، ص١٨٨ .
(٣) آنا مارى شميل، الإسلام دين الإنسانية. ترجمة د. صلاح محجوب، سلسلة دراسات إسلامية، العدد ٦٠ ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م، ص٦ .
(٤) المرجع السابق، ص٦ .
(٥) المرجع السابق، ص١٢ .

باعتبارهم العدو التقليدى للمسيحية فى أوربا»[1]. وقد اهتمت المستشرقة فى دراساتها المتعددة بإعطاء الصورة الصحيحة عن الإسلام مركزة على توضيح أثر الحضارة الإسلامية فى ازدهار الثقافة الغربية. ووضحت تأثير الثقافة الإسلامية فى الفنون والآداب الغربية، وتأثير علوم المسلمين الطبيعية فى النهضة العلمية الأوروبية مؤكدة على الالتقاء والتفاعل الحضارى بين الحضارتين الإسلامية والغربية.

على الرغم من اعتراف بعض المستشرقين بالتقدم العلمى والحضارى للمسلمين وتفوقهم فى العديد من المجالات العلمية يميل الاستشراق بصفة عامة إلى إنكار دليل السقوط الأخلاقى للاستشراق الذى يعطى تبريرات تتناقض مع الأدلة التاريخية على ثبوت التأثير الإسلامى على العالم الغربى، وعلى فضل الحضارة الإسلامية على الحضارة الغربية. ويتجه الاستشراق إلى سياسة التشويه المتعمد للدين الإسلامى وحضارته لجذب الأنظار بعيدًا عن حقيقة الفضل الإسلامى على الغرب، والتعتيم المتواصل على حقيقة العلاقة بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية الحديثة، ومنع انجذاب الغربى إلى الإسلام وحضاراته إذا ما أعطى الصورة الحقيقية التاريخية ورغبة فى استمرار صورة الحقد والكراهية فى نفوس الغربيين عن الإسلام. وقد عبرت المستشرقة آنا مارى شميل عن هذا الوضع بقولها: «إن الجهل يورث الكراهية والبغضاء، وأن عدم المعرفة، الذى ينجم عنه الخوف حقيقة يسجلها دارسو العلاقات بين الأفراد، وبين الدول بعضها ببعض، وذلك على تقلب العصور . . . ومن يحاول جلاء هذا الغموض قد يعالج بعض الجوانب على حساب غيرها فيغمط حقائق ـ أهم مما يعالج ـ حقها، وقد يؤدى هذا إلى تشويه حضارة ما، أو تقديم صورة مزيفة لها فتنبعث الحزازات والحساسيات الفكرية الضارية»[2]. ثم تطبق المستشرقة هذا الرأى على الإسلام فتقول: «ينطبق هذا خاصة على صعيد الأديان، والإسلام مثل نمطى لتلك التأويلات الظالمة المشوهة، كما نعهد فى لوحات فنانى القرن التاسع عشر الغربيين الذين شغفوا بتصوير المسلمين برابرة غير متحضرين، محاربين شاهرى السيوف، أو

---

(١) المرجع السابق، ص١٩-٢٠.

(٢) مراد هوفمان، الإسلام كبديل، مجلة النور الكويتية ومؤسسة بافاريا للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٩٣م، ص٢٢.

مترفين غارقين فى مجالس اللهو بين الحسان، و كما نعهد اليوم إذ تقفز إلى الأذهان - عند ذكر كلمة: إسلام - صورة فقيه ملتح متزمت، أو صورة إرهابى وقح منحط، لا وازع له، والحق أن تلك اللوحات وهذه الصور اليوم تستندا إلى التأويل الخاطئ الظالم، والشرح الآثم، والذى يستطيع كل من درس الحضارة الإسلامية أو خالط المسلمين أن يصوبه ويبين خطأه وفساده»[1]. ثم تعترف المستشرقة المنصفة بفضل الحضارة الإسلامية الذى ينكره الغرب عامة بل ويعمد إلى تشويهه والتعتيم عليه بقولها عن التقاء الحضارة الإسلامية والغربية فى الأندلس واستفادة الأخيرة من الأولى: «أصبحت إسبانيا مركز إشعاع وبث حضارى بين أوربا والعالم الإسلامى، وحتى يومنا هذا، تشهد للحضارة الإسلامية مصطلحات لا حصر لها فى ميادين العلوم الطبيعية والطب والفلك والحضارة بعامة، ناطقة بتأثير الحضارة الإسلامية الرفيعة فى الأندلس حيث أظلت اليهود والنصارى والمسلمين بيئة واحدة، سادها الوئام والتسامح والتلاقح الفكرى والحضارى، ولا نظن أن ذلك الصرح الحضارى الرائع تكرر وجوده فى أية بيئة متحضرة حتى يومنا هذا»[2]. وتتهم آنا مارى شميل الاستشراق بإصدار الأحكام الظالمة المبنية على الخطأ وسوء الفهم: «إن الكثير من الأحكام الظالمة التى نلصقها بالإسلام ناشئة عن سوء فهمنا وخطئنا فى القياس المنطلق من معاييرنا الغربية ومثلنا أو قيمنا - وليدة القرن العشرين المشرف على النهاية - وهنا لب المشكلة التى يجسدها تساؤلنا: هل يمكن أن تكون القيم الغربية قيم المجتمع المعدوم الإله قيمًا مطلقة ؟ ... إن من المحزن حقًا أن لا يميز كثيرون من الغرب بين الإسلام وبين ما يلصق زورًا وبهتانًا بالإسلام، أو ما يرتكب من جرائم باسم الإسلام، فالإسلام برئ من الإرهاب والإرهابيين ومن الأصوليين ( هذا التعبير الذى لا يمت إلى الإسلام بصلة، فهذه الكلمة تطلق فى اللاهوت على اتجاه معين فى أمريكا، ويريد الإعلام الغربى بهذه الكلمة المتطرفين المسلمين ) ... وإحقاقًا للحق ينبغى أن نتساءل: وهل نصف نحن المسيحية بأنها إرهاب ؟ أو هل نخلط بينها وبين الإرهابيين والمتطرفين الغربيين الذين يمارسون أنشطة إرهابية فى مختلف أنحاء أوروبا ؟»[3].

---

(١) المرجع السابق، ص٩-١٠ .

(٢) المرجع السابق، ص١٠-١١ .

(٣) المرجع السابق، ص١٤ ، ١٧ .

وترد آن مارى شميل ظهور هذا الاتجاه فى الفكر الغربى المعاصر إلى عامل نفسى متأصل فى النفس الغربية ألا وهو الخوف من الإسلام. وهو عامل ساعد المستشرقون على إذكائه من خلال عدم موضوعيتهم وغياب الوازع الأخلاقى فى كتاباتهم. تقول آن مارى شميل: «لكم يبدو لى أحيانًا أن خوف الأور، يبين من الزحف التركى مازال عالقًا بذاكرتهم، التى لم تنس وقوف الترك مرتين أمام أبواب ڤيينا عامى ١٥٢٩م و١٦٨٣م، كأن ذلك الخوف الدفين لم تخب ناره، فتراه يصبغ سلوك كثير من الناس إزاء دين الترك ... إن عددًا غير قليل من مثقفينا لا يعرف مثلاً أى شئ عن كنوز الفنون والآداب الإسلامية الزاخرة بالروائع والنفائس ... ثم مَن من المسيحيين يعرف يقينًا أن الإسلام يرفع عيسى وأمه إلى أعلى الدرجات»[1].

وتعليقًا على هذا كله نقول: إن الاستشراق المعاصر مسؤول مسؤولية أخلاقية عن هذه الصورة التى تكونت عن الإسلام. ومسئوليته الأخلاقية تنحصر فى ضرورة الاستجابة الأخلاقية للحقيقة وضرورة توصيلها وتبليغها كما هى، وذلك لما فى عدم الاستجابة من سقوط أخلاقى للحركة الاستشراقية بكاملها وبكل تاريخها. إن الآثار الأخلاقية المترتبة على عدم استجابة الاستشراق للحقيقة حول الإسلام وحضارته نتج عنها - ولا يزال ينتج عنها - الإفساد المستمر للعلاقة بين الغرب والشعوب الإسلامية، واستمرار الصراع والتحدى فى هذه العلاقة. فالاستشراق تقع عليه مسؤولية تخفيف حدة الصراع بين الغرب والشرق، وتحقيق التعايش بين المجتمعات الغربية والشرقية، ولن يتم هذا إلا من خلال الإحساس بالمسؤولية الأخلاقية، وضرورة تصحيح الصورة التى يقدمها الاستشراق عن العالم الإسلامى حتى يتوقف العداء الغربى للإسلام والمسلمين، ويرى الغرب الشرق بعين الحق والعدل والإنصاف بما يؤدى إلى تطبيع العلاقة بينهما وتخليصها من العوامل النفسية التى تم بها تبرير سوء العلاقة بين الطرفين المتعاديين، خاصة وأن هناك من الصلات الفكرية والمصالح المشتركة ما يجمع بين الغرب والشرق أكثر مما يفرق بينهما، وذلك لو حسنت نوايا الاستشراق وتخلص من نقائصه الأخلاقية التى منعته من الرؤية الواضحة والصادقة للإسلام والمسلمين.

---

(١) المرجع السابق، ص١٩ .

## سابعاً: المستشرق الأمريكى جون اسبوزيتو ونقد نظرية صدام الحضارات

يعتبر جون اسبوزيتو من أهم المستشرقين الأمريكيين المدافعين عن حوار الحضارات وعن التقاء الحضارتين الإسلامية والغربية. وفى نفس الوقت يعتبر اسبوزيتو من أشد المعارضين لنظرية صدام الحضارات. وقد نقدها نقداً شديداً فى عدد من أعماله من أهمها كتابه المهم «التهديد الإسلامى: خرافة أم حقيقة»[1]. وكما يتضح من عنوان الكتاب أنه يثير دعوى التهديد الإسلامى للغرب وحضارته ويناقش حقيقة هذه الدعوى التى تبناها أنصار صراع الحضارات فى الغرب، وأنصار حتمية الصدام بين الحضارتين الإسلامية والغربية.

ويحاول اسبوزيتو فى أعماله الإجابة على مجموعة تساؤلات مطروحة بقوة فى الغرب فى الوقت الحالى من أهمها: هل التصادم حتمى بين الإسلام والغرب؟ وهل يشكل الإسلام تهديداً للغرب ومصالحه؟ وهل الحضارة الإسلامية مهددة للحضارة الغربية؟

وفى إجاباته المتعددة ينقد جون اسبوزيتو الكتّاب الغربيين ورجال الصحافة الذين يبالغون فى تصوير الخطر الإسلامى وبخاصة هؤلاء الذين يركزون على مفهوم العدو الجديد للغرب بعد سقوط الاتحاد السوفيتى وانهيار الشيوعية، ويعتبرون الإسلام هو الممثل للخطر والعدو الجديد.

إن هؤلاء الكتّاب يشوهون طبيعة الإسلام وطبيعة الحضارة الإسلامية، ويقلبون الحقائق السياسية والحضارية للعالم الإسلامى، ويقعون فى درجة مدهشة من الجهل والتنميط الثقافى للعرب والمسلمين. ويرفض اسبوزيتو استخدام مصطلحات «الأصولية» و«الإسلام المسلح» وغير ذلك من المصطلحات المعممة لمفهوم الصدام. وهو عادة ما يفضل استخدام مصطلحات «الإحياء الإسلامى» و«النشاط الإسلامى» وغير ذلك من المصطلحات غير المحملة - عن قصد - بالدلالات الصدامية.

---

(١) John L. Esposito, The Islamic Threat, Myth or Reality.
وللكتاب ترجمة عربية جيدة: التهديد الإسلامي: خرافة أم حقيقة، ترجمة د. قاسم عبده قاسم، دار الشروق القاهرة، ٢٠٠١م.

وفى تحليله لأسباب الحملة الغربية على الإسلام وحضارته يشير اسبوزيتو إلى قاعدة الكراهية التقليدية والموروثة والتى ثبتها ميراث الحروب الصليبية والاستعمار الأوروبى، كما يشير أيضًا إلى المخاوف الغربية الحديثة والمعاصرة من بعض النماذج المثيرة للتخوف الغربى من المسلمين ومنها نموذج الثورة الإسلامية الإيرانية على يد آية الله الخمينى، والنموذج الأفغانستانى ممثلاً فى حركة طالبان، والصورة التى يثيرها صدام حسين لدى الغرب. وقد زادت أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١م حدة هذه المخاوف لدى الغرب والأمريكيين، وأضافت تنظيم القاعدة إلى مجموعة الاتجاهات الإسلامية العنيفة والمسلحة[1]. وهذه وغيرها أدت فى النهاية إلى الربط العضوى فى الذهنية الغربية بين الإسلام والإرهاب.

ويدافع اسبوزيتو عن العلاقات الإسلامية الغربية فى الماضى مشيرًا إلى فضل الحضارة الإسلامية على الحضارة الغربية، ويؤكد على تسامح المسلمين مع غير المسلمين منذ بداية الإسلام، وأن حياة غير المسلمين تحت حكم الإسلام كانت أفضل من حياتهم تحت الحكم السابق على الإسلام. وأن الجماعات اليهودية والمسيحية ساعدت الجيوش الإسلامية على فتح بلادهم رغبة فى التخلص من الاضطهاد الذى عانته هذه الجماعات تحت الحكم الأجنبى. وهناك أمران أفسدا العلاقات الغربية الإسلامية وهما: حركة الاستعمار الأوروبى للبلاد الإسلامية، وحركة التنصير المسيحى فى بلدان العالم الإسلامى[2].

وينقد اسبوزيتو أيضًا المفهوم الغربى الخاطئ عن التاريخ الإسلامى، والذى أدى إلى تشكيل مواقف عنيفة تجاه المسلمين، مشيرًا إلى أن مصطلحات «الأصولية الإسلامية» و«الإرهاب الإسلامى» مضللة للعقل الغربى، ويتم استخدامها بكثرة فى وسائل الإعلام الغربية لإشاعة الخوف من المسلمين.

ويناقش اسبوزيتو فى كتاباته دعوى التهديد الإسلامى للحضارة الغربية ودعوى صدام الحضارات، وينفى بشدة أن يكون الإسلام مهددًا للغرب وحضاراته، ويحجم

(١) ياسر خليل، حتمية الصدام بين الإسلام والغرب، وصراع الحضارات.. حقيقة أم خرافة، اسبوزيتو ينتقد هنتنجتون، جريدة الشرق الأوسط، ٢٦/ ٣/ ٢٠٠٢م.
(١) المرجع السابق.

هذا الادعاء ويضعه فى حجمه الحقيقى بالقول بأن الحضارة الإسلامية تمثل تحديًا للحضارة الغربية وليس تهديدًا باعتبارها أسلوبًا مختلفًا عن حياة الغرب، ونظامًا ثقافيًا قويًا ومغايرًا للحضارة الغربية. ويذكّر بتفاعل الحضارتين تفاعلاً إيجابيًا فى الماضى بشكل أفاد الحضارتين وأثراهما.

ويوجه اسبوزيتو نقدًا شديدًا لنظرية صدام الحضارات لهنتنجتون واصفًا إياها بأنها نظرية استفزازية[1]. ويرفض ترشيح الإسلام باعتباره عدوًا تاريخيًا للغرب ليحل محل الاتحاد السوڤيتى والكتلة الشرقية. ويشير اسبوزيتو إلى «أهمية تجاوز القوالب النمطية والإجابات الجاهزة وضرورة التمييز بين البديل الدينى والأيديولوچى وبين التهديد السياسى المباشر، والفصل بدقة بين الأسطورة والحقيقة وبين وحدة الإسلام والأشكال المتعددة والمتنوعة، وبين أعمال العنف التى ترتكبها القلة وبين الآمال والسياسات المشروعة للأغلبية»[2]. ويرفض اسبوزيتو الأسباب التى أوردتها نظرية صدام الحضارات للصراع بين الإسلام والغرب، كما رفض نظرية تهديد النمو السكانى فى العالم الإسلامى للغرب والتى قال بها باتريك بوكانانت، والرئيس الأمريكى الأسبق ريتشارد نيكسون.

ويرى اسبوزيتو أن الأسباب الحقيقية للصراع تتمثل فى تصارع المصالح السياسية والاقتصادية والاجتماعية[3]. ويطالب اسبوزيتو الغرب بالنظر إلى الأمور فى واقعها الحقيقى وعدم المغالاة فى النظر إلى العالم الإسلامى من منظور التطرف والإرهاب، لأن هذا التوجه سيؤدى فى النهاية إلى نسف العلاقات بين الغرب والإسلام، ويطالب بإسقاط نظرية العدو الإسلامى وتحقيق التفاعل مع الإسلام وحضارته من خلال العلاقات الإيجابية. فالتهديد الإسلامى للغرب مجرد أسطورة[4].

***

---

(١) المرجع السابق.

(٢) جمال معوض شقرة، «التهديد الإسلامي للغرب المعاصر بين صامويل هنتنجتون وجون اسبوزيتو»، في أعمال ندوة التقاء الحضارات في عالم متغير، حوار أم صراع، تحرير عبادة كحيلة، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ٢٠٠٣م، ص٣٠٤ .

(٣) المرجع السابق، ص٣٠٨، ٣٠٠ .

(٤) المرجع السابق، ص٣٠٤-٣٠٥ .

# الباب الرابع

# الموقف الإسلامى من نظريات الصراع بين الحضارات



## الفصل الأول

# رؤية نقدية إسلامية لنظرية صدام الحضارات

أولاً: نقد إسلامي لرؤية هنتنجتون للصراع بين المسيحية والإسلام.

ثانياً: نقد عوامل زيادة الصراع بين الإسلام والغرب في رأي هنتنجتون.

ثالثاً: نقد تسييس القيم الحضارية في نظرية صدام الحضارات.

### أولاً: نقد إسلامى لرؤية هنتنجتون للصراع بين المسيحية والإسلام

يعتقد صموئيل هنتنجتون خطأ بأن هناك صراعًا مستمرًا بين الإسلام والمسيحية وبين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية. ويعتبر الصراع بين الديمقراطية الليبرالية والماركسية اللينينية صراعًا سطحيًا إذا ما قورن بصراع الإسلام والمسيحية. وقد استعرض هنتنجتون التاريخ لكى يثبت أصالة هذا الصراع من ناحية واستمراريته من ناحية أخرى. وأهم المحطات التاريخية التى يقف عندها ظهور الإسلام فى القرن السابع وصراعه مع المسيحية من خلال الفتوحات الإسلامية ومرورًا بالحملات الصليبية على العالم الإسلامى فى القرون: الحادى عشر والثانى عشر والثالث عشر، ثم الفتوحات العثمانية فى البلقان وأجزاء من أوروبا والاستيلاء على القسطنطينية وتهديد فيينا، وأخيرًا الاستعمار الأوربى الحديث لأجزاء كبيرة من العالم الإسلامى. ويستشهد هنتنجتون بالمستشرق برنارد لويس فى التأكيد على هذا الصراع وعلى التهديد الإسلامى حيث يقول لويس: «لمدة ما يقرب من ألف سنة... كانت أوربا تحت تهديد مستمر من الإسلام»، ويعلق هنتنجتون بقوله: «الإسلام هو الحضارة الوحيدة التى جعلت بقاء الغرب موضع شك وقد فعل ذلك مرتين على الأقل» ويقصد بهما الفتوحات الإسلامية الأولى والفتوحات العثمانية ويقول أيضًا: «الطبيعة العنيفة لهذه العلاقات المتغيرة تعكسها حقيقة أن ٥٠٪ من الحروب التى تضمنت ثنائيات من دول ذات أديان مختلفة بين عامى ١٨٢٠ و ١٩٢٩م كانت حروبًا بين مسلمين ومسيحيين»[1]. ثم يعلل أسباب هذا الصراع بقوله إن أسباب هذا النمط من الصراع... تتدفق من طبيعة الديانتين والحضارتين المؤسستين عليهما. الصراع من

---

(١) صموئيل هنتنجتون، صدام الحضارات، مرجع سابق، ص٣٤٠.

ناحية كان نتيجة الاختلاف خاصة مفهوم المسلمين للإسلام كأسلوب حياة متجاوز، ويربط بين الدين والسياسة ضد المفهوم المسيحى الغربى الذى يفصل بين مملكة الرب ومملكة قيصر. كما كان الصراع نابعًا من أوجه التشابه بينهما. كلاهما دين توحيد... وكلاهما ينظر إلى العالم نظرة ثنائية «نحن» و«هم» «... كلاهما يدعى أنه العقيدة الصحيحة الوحيدة... كلاهما دين تبشيرى..»[1].

### ١- خطأ هنتنجتون فى ربط الصراع بالإسلام والمسيحية

وتنطوى هذه الرؤية التى قدمها هنتنجتون عن تاريخ الصراع بين المسيحيين والمسلمين أو بين الإسلام والغرب على عدة أخطاء مقصودة؛ فقد استخدمت الحقائق التاريخية فى غير موضعها لكى تبرهن على الصراع وحتميته فى تاريخ العلاقات المسيحية الإسلامية. والخطأ الأول يبدو فى وصف العلاقة بين الإسلام والمسيحية بأنها علاقة صراع دائم وحتمى. ويبدو الخطأ هنا فى استخدام اسمى المسيحية والإسلام للإشارة إلى دينية الصراع أو أن الصراع دينى فى أساسه، والحقيقة أن المسيحية والإسلام لايقومان على أساس من الصراع؛ فالمسيحية دين المحبة والتسامح، والإسلام دين السلام والتسامح. ولايمكن أن توصف علاقتهما معًا بأنها علاقة صراع لأن هذا ضد طبيعة الدينين. فالمسيحية تبنت فكرة المحبة والتسامح إلى حد الاستسلام كما يتضح من القول المسيحى المأثور «إذا ضربك أحد على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر»، وهو نموذج للتسامح والحب ليس له مثيل. وضرب المسيح عليه السلام فى سيرته المثل الرائع لهذا المفهوم الخاص بالحب والتسامح فى مواجهة الرومان واليهود الذين مارسوا العنف والقوة فى أقصى صورهما.

والإسلام أيضًا نادى بنفس مفاهيم التسامح والحب والأخوة بين البشرية وضرب الرسول صلى الله عليه وسلم المثال الأول على هذا من خلال حياته وسيرته. وقد رفعت الديانتان مفهوم المحبة والسلام إلى الذروة حين وصف الله فى المسيحية بأنه المحبة فى العبارة المسيحية التقليدية «الله محبة» وحين وصف الله فى الإسلام بأنه «السلام» فالسلام صفة حسنى واسم من أسماء الله فى الإسلام.

(١) المرجع السابق، ص٣٤٠-٣٤١.

الديانتان إذن بعيدتان كل البعد عن صفة الصراع التى قال بها هنتنجتون. أما الصراع الذى نشأ فى التاريخ والذى يضرب به هنتنجتون المثل فهو فى الحقيقة ليس صراعًا دينيًا، ولايقوم على أسس دينية، إنما هو صراع نشأ لأسباب سياسية حيث ظهر الإسلام فى شبه الجزيرة العربية، ثم انتشر فى بلاد كانت تابعة للمسيحيين مما أدى إلى تطور الصراع بين المسلمين والمسيحيين، وهو أمر طبيعى واجهته المسيحية ذاتها عندما بدأت تنتشر داخل فلسطين وخارجها، حيث حوربت من القوى الوثنية واليهودية ومن الدولة الرومانية التى لم يكن يهمها أمر انتشار المسيحية كدين لولا الخوف من انعكاس سلبى لانتشار المسيحية على مستقبل الإمبراطورية الرومانية. ولم يزل هذا الخطر إلا بتبنى الدولة الرومانية للمسيحية، واتخاذها ديانة للإمبراطورية.

من الخطأ إذن رد الصراع بين المسلمين والمسيحيين، أو بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية، إلى الدين أى إلى الإسلام والمسيحية. فالديانات عمومًا، والإسلام والمسيحية على وجه الخصوص، ترفض فكرة الصراع بل إنها تحارب الفكرة لأن الدين عمومًا يقوم على أساس من المحبة والتسامح والسلام. والمبادىء التى يقرها الدين مبادىء تنظم علاقة الإنسان بالإنسان وعلاقة البشر ببعضهم البعض على أساس من المبادىء الدينية والأخلاقية التى تحض على الأخوة والمساواة والعدالة والمحبة والتسامح والسلام. وهنا يظهر خطأ صموئيل هنتنجتون فى رد الصراع إلى الديانتين المسيحية والإسلامية حين يقول: «إن أسباب هذا النمط من الصراع تتدفق من طبيعة الديانتين والحضارتين المؤسستين عليهما»[1].

### ٢- خطأ رد الصراع إلى اختلاف أسلوب الحياة

ويقع صموئيل هنتنجتون فى خطأ ثان حين يرد الصراع إلى اختلاف أسلوب الحياة بين أسلوب إسلامى يربط الدين والسياسة، وأسلوب مسيحى غربى يفصل بين مملكة الرب ومملكة قيصر[2]. والخطأ فى هذا هو أن المسيحية مثل الإسلام لهما أسلوب واحد لايفرق بين الدين والدنيا وبالتالى يربط السياسة بالدين. وإذا كان الغرب قد دخل منذ

(١) المرجع السابق، ص٣٤٠.
(١) المرجع السابق، ص٣٤٠.

عصر النهضة الأوربية فى مرحلته العلمانية التى تم فيها الفصل بين الدين والدولة، فإن المسيحية ذاتها لم تتغير فى نظرتها إلى الدين والدنيا، ولكن الذى تغير هو أن الدين (أى المسيحية) قد انحسر فى الغرب، وتم تحديد وظيفته فى كونه أمرًا شخصيًا يخص الإنسان ولايخص المجتمع. ومع سيطرة الاتجاه العلمانى تم عزل المسيحية واليهودية داخل دائرة التدين الشخصى، ولم يعد لهما دور فى الحياة العامة، ولم يعد لهما دور فى السياسة وذلك منذ عزل أو فصل السلطة الدينية عن السلطة الدنيوية. ونؤكد أن هذا لم يكن تغييرًا فى طبيعة المسيحية ولكنه كان تغيرًا فى أسلوب الحياة الغربية بإبعاد الدين عن الحياة السياسية واعتباره أمرًا شخصيًا. ويشهد تاريخ المسيحية قبل عصر النهضة الأوربية باجتماع مملكة الرب مع مملكة قيصر، فالسلطة البابوية جمعت بين الاثنين قبل تطور صراعها مع الإمبراطورية والذى انتهى إلى عزل السلطتين. وعلى كل حال لايوجد خلاف كبير فى الوقت الحالى بين حياة المسلم وحياة المسيحى، ولكن الخلاف الموجود هو بين حياة المسلم وحياة الإنسان الغربى، ولايمكن أن نصف الإنسان الغربى الآن بأنه مسيحى من حيث أسلوب الحياة، ولكنه فى معظم الأحوال إنسان علمانى غلب عليه الإلحاد وعدم الاعتراف بالدين ودوره فى الحياة الإنسانية، وأنكر الاعتقاد فى الألوهية. ومن الصعب جدًا أن نقارنه بالمسلم فالمسلم لا يقارن إلا بالمسيحى المؤمن وهنا لا نجد فارقًا فى النظرة إلى الدين والدنيا.

### ٣- خطأ رد الصراع إلى وجه التشابه بين الإسلام والمسيحية

ويخطىء هنتنجتون مرة ثالثة حين يرد الصراع بين المسلمين والمسيحيين فى التاريخ إلى أوجه التشابه بين الديانتين الإسلامية والمسيحية. وهذا الرأى يخلو تمامًا من المنطق والعقل. فمن المفترض منطقيًا أن وجوه التشابه بين الإسلام والمسيحية تقرب بين الديانتين وأهلهما ولاتبعدهما، ولا تؤدى إلى تطور الصراع بينهما. بل إننا على العكس تمامًا نجد أن المهتمين بالحوار بين الأديان يعتمدون اعتمادًا أساسيًا على وجوه التشابه بين الأديان لكى يتخذوها وسيلة للتقريب بين الأديان. ويكفى فى هذه الحالة أن نشير إلى أن إعلان الفاتيكان الخاص بالحوار الإسلامى المسيحى أكد تأكيدًا شديدًا على وجوه التشابه بين المسيحية والإسلام وكيف أنها تفيد فى تحقيق التقارب وهجر الصراع بين الديانتين.

ويتمادى صموئيل هنتنجتون فى تحليله الخاطىء لأسباب الصراع بين المسلمين والمسيحيين حين يرد الصراع إلى التشابه فى عقيدة التوحيد ، والتشابه فى النظرة الثنائية إلى العالم بتقسيم العالم إلى «نحن» و « هم» ، وفى الادعاء بتملك العقيدة الصحيحة وأيضًا برد الصراع إلى أن الدينين دينان تبشيريان .

وتبدو عدم المنطقية فى فكر هنتنجتون حين يعتبر التشابه فى التوحيد سببًا للصراع بين المسلمين والمسيحيين . إن الاشتراك فى التوحيد كان أحد الأسباب الرئيسية فى التقارب بين الإسلام والمسيحية وبين المسلمين والمسيحيين، وهى عقيدة قرَّبت بينهم ومعهم اليهود فى حين ابتعدت هذه الديانات الثلاث عن ديانات الشرق الأقصى، وعن الديانات البدائية الوثنية بسبب غياب عقيدة التوحيد فى هذه الديانات الأخيرة، وغياب عقيدة الألوهية فى بعضها، والاعتقاد فى التعدد فى بعضها الآخر .

ونؤكد هنا أن الإسلام حدَّد علاقته بالأديان الأخرى على أساس من عقيدة التوحيد . وقُسمت الأديان إلى أديان توحيد، وأديان تعدد وشرك ووثنية . وربط الإسلام نفسه بأديان التوحيد واعتبر نفسه آخرها ومكملها . وفرق بين أهل التوحيد وغيرهم وميز اليهودية والمسيحية بأنها ديانات كتب مثلها مثل الإسلام ، وميز أهل اليهودية والمسيحية بأنهم أهل كتاب وأهل ذمة مع المسلمين ، وأيضًا تعامل مع اليهودية والمسيحية على أنها ديانات توحيد ووحى ، وبالتالى لا يجب فرض الإسلام على أهلهما فرضًا ، بل يجب منح اليهود والمسيحيين حرية الاعتقاد وحقق لهم الحماية الكافية لممارسة دينهم بدون تدخل من المسلمين ، وجعل هذه الحماية حماية تشريعية لا تخضع لأهواء المسلمين من حكام وغيرهم .

وعلى الرغم من امتلاك الإسلام لمفهوم التوحيد مختلف فى بعض جزيئاته عن المفهوم المسيحى واليهودى للتوحيد فإن الإسلام اعتبر التوحيد القاعدة الأساسية التى توحد المسلم مع المسيحى وأيضًا مع اليهودى وتقرب كل منهما للآخر . وفى هذا يقول القرآن الكريم : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ ﴾ [سورة آل عمران، آية ٦٤] .

كما أكد القرآن الكريم على أن رسالة التوحيد كانت رسالة كل الأنبياء السابقين على الإسلام فى التاريخ وعدد كبير منهم كان من أنبياء بنى إسرائيل ، وآخرهم عيسى عليه السلام . وأكد القرآن الكريم على عدم التفرقة بين الأنبياء عليهم السلام لأن دعوتهم

واحدة، وهم سلسلة متصلة قاعدتها التوحيد. وطالب الإسلام المسلم الإيمان بالأنبياء السابقين وبكتبهم، واعتبار إيمان المسلم ناقصًا فى حالة عدم الوفاء بهذا الشرط. يقول القرآن الكريم: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [سورة البقرة، آية ٢٨٥]. وهكذا تؤكد الآيات أن التشابه ليس سببًا إلى الصراع كما اعتقد هنتنجتون، ولكن الاتفاق فى المعتقد هو أهم قواعد الالتقاء والوفاق وبالتالى الحوار.

### ٤- خطأ رد الصراع إلى تقسيم العالم إلى «نحن» و«هم»

ويؤكد هنتنجتون على التمسك بالخطأ فى تحليل أسباب الصراع حين يقول: إن المسيحية والإسلام يملكان نظرة ثنائية إلى العالم فيقسمان العالم إلى «نحن» و«هم». وهذا الرأى باطل من أساسه فلا المسيحية ولا الإسلام يملكان هذه النظرة إلى العالم. لقد أعلنت الديانتان أنهما ديانتان عالميتان لا يخصان شعبًا من الشعوب، أو أمة من الأمم، أو جماعة من الجماعات. بل على العكس لقد أعلن كل منهما أنه دين العالم كله. وداخل هذا الإطار من العالمية لايمكن أن تنشأ نظرة ثنائية أو مزدوجة إلى العالم ينتج عنها تقسيم البشر أو العالم إلى «نحن» و«هم»، ولو كان الأمر كذلك لما أصبحت الديانتان المسيحية والإسلامية ديانتين عالميتين تبشيريتين بمعنى أن كلاهما يبشر بنفسه إلى العالم بهدف إدخال العالم كله فى المسيحية أو فى الإسلام وبهذا لا يصبح هناك «نحن» و«هم» إنما الهدف هو بشرية واحدة غير منقسمة على نفسها.

ويعطى القرآن الكريم تأكيدًا على وحدة الإنسانية بعودتها إلى أصل واحد وبتلقيها دعوة إلهية واحدة، وبالتأكيد على الأخوة البشرية، وبالتأكيد أيضًا على أن الإله واحد لكل العالم، وأن الدين واحد وهو التوحيد. بل يؤكد على أن الاختلاف الإنسانى بين ذكر وأنثى والتوزع إلى جماعات وقبائل إنما هدفه التقارب وليس التباعد ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة الحجرات، آية ١٣]. فالتعارف والتقارب هو الأساس. والفوارق التى أتى بها التاريخ لا قيمة لها، ولاتفرقة بين الناس إلا على أساس من الإيمان

والتقوى.

### ٥ـ خطأ رد الصراع إلى الدعوة أو التنصير

ويرد هنتنجتون الصراع بين المسلمين والمسيحيين إلى أن الدينين تبشيريان. وهو سبب ضعيف فهداية الوثنيين إلى المسيحية والإسلام لايمكن أن يكون سببًا لصراع بين الدينين التوحيديين. نعم قد يكون هناك تنافس على كسب الوثنيين إلى المسيحية أو الإسلام، ولكنه تنافس فى مصلحة التوحيد فى النهاية. ولاشك أن النجاح فى تحويل الوثنى إلى المسيحية أو إلى الإسلام هو نجاح لعقيدة التوحيد ونجاح للإنسانية من خلال العمل المسيحى الإسلامى المشترك على تحرير الوثنى من العبودية للطبيعة وتوجيهه إلى عبادة الإله الواحد. ولاشك أنه من المفضل عند المسيحى والمسلم أن يترك الوثنى الوثنية ويصبح مسيحيًا أو مسلمًا على أن يبقى على وثنيته.

وعلى الرغم من النشاط التبشيرى المسيحى والعمل الدعوى الإسلامى فى العالم فإنه لم يصبح سببًا من أسباب الصراع بين المسيحية والإسلام. ففى إفريقيا مثلاً يعمل الداعية المسلم بالقرب من المبشر المسيحى وكلاهما يقدم خدماته الإنسانية والدينية للأفارقة بدون صراع. فالتحول إلى إحدى الديانتين نعمة دينية بالنسبة للإفريقى الوثنى.

ويمكن القول بأن مجال الدعوة أو التبشير يعد من المجالات التى يمكن أن يتعاون فيها الدينان الكبيران من أجل تغيير الأوضاع الدينية للعالم الوثنى وبخاصة إذا علمنا أن عدد التابعين للوثنية يصل إلى أضعاف أعداد المسلمين والمسيحيين، فهناك ثلاث قارات تسيطر عليها الوثنية وهى إفريقيا وأمريكا اللاتينية وأستراليا وهناك الوثنية المنتشرة فى قارة آسيا وعلى الرغم من الجهود الدعوية والتبشيرية فإن العالم الوثنى فى حاجة إلى تضافر الجهود الإسلامية والمسيحية لتحسين الأوضاع الدينية للوثنيين وتغييرها، والارتقاء بالحياة الدينية للبشرية بتقديم التوحيد كعقيدة دينية راقية فيها خلاص العالم الوثنى من العبودية للطبيعة.

وهكذا نرى أن تحليل هنتنجتون للصراع بين المسيحيين والمسلمين لايقوم على أسس علمية منطقية بل إنه لايقوم على حقائق موضوعية، أو على تحليل علمى تؤيده الأدلة

والبراهين حين يربط هنتنجتون الصراع بطبيعة كل من الإسلام والمسيحية . ويتجاهل هنتنجتون فى هذا الصدد اعتراف الإسلام بالمسيحية كديانة توحيدية وإعطاء أهلها مكانة مميزة والتعامل معهم على أساس من مفهوم أهل الكتاب وأهل الذمة . ويتجاهل هنتنجتون أيضًا إيمان المسلمين بدعوة عيسى عليه السلام وإيمانهم بنبوته ورسالته ، وأن ما يرفضونه لأنفسهم هو القول بألوهيته ، وهو أمر قد رفضته من قبل بعض الفرق المسيحية . ومع ذلك لم يجبر الإسلام المسيحيين على هجر دينهم واعتقادهم ، واعتبرهم أهل توحيد ، وطالب المسلمين بالإيمان بعيسى عليه السلام وبدعوته وبالكتاب الذى أنزل إليه . واستنادًا إلى هذا كله فالصراع ليس مردودًا إلى الدينين بسبب علاقات القربى الموجودة بينهما والتى بدلاً من اعتبارها سببًا للتقارب اعتبرها هنتنجتون سببًا للتباعد والصراع .

وتبقى كلمة فى تفسير الأسباب الحقيقية للصراع الذى نشأ لبعض الوقت بين العالم المسيحى والعالم الإسلامى . وهذه الأسباب لاتخرج على حدود الأسباب السياسية والعسكرية والاقتصادية التى سيطرت على كل أشكال النزاع والصراع فى العالم القديم والوسيط والحديث .

لقد فسر الغرب الفتوحات الإسلامية الأولى بأنها فتوحات توسعية استعمارية وساوى بينها وبين أشكال الغزو الاستعمارى الأخرى . والحقيقة أن انتشار الإسلام فى العالم المسيحى هو الذى أدى إلى إثارة الغرب سياسيًا وعسكريًا ضد المسلمين وحاول منع الإسلام من الانتشار فكان صراع المسلمين من أجل تذليل العقبات التى تقف فى طريق نشر الإسلام ولم يتنازل الإسلام عن المبادىء التى وضع أسسها فى التعامل مع أهل الكتاب . فلم تكن الفتوحات لإرغامهم على الدخول فى الإسلام حيث اعترف الإسلام بديانات أهل الكتاب ، ولم يرغم أهلها على الدخول قسرًا أو بالقوة فى الإسلام ، ولكن عندما استخدم الغرب القوة لمنع انتشار الإسلام اضطر المسلمون إلى الدفاع عن النفس والدين فنشأ الصراع ، وهو ليس صراعًا دينيًا كما يحلو للمستشرقين أن يدعوه ، ولكنه كان من أجل إزالة العقبات التى وضعتها القوى الكبرى أمام حركة الدين الإسلامى مثلما فعلت دولة فارس ودولة الروم وغيرها . والفتوحات الإسلامية لم تغير الموقف الإسلامى الأولى والمبدئى تجاه المسيحية واليهودية ، وهو موقف

الاعتراف بالديانتين ، وعدم قهر أهلهما على الدخول فى الإسلام، وعدم الدخول معهما فى صراع دينى؛ لأنهم أهل توحيد .

### ثانيًا: نقد عوامل زيادة الصراع بين الإسلام والغرب فى رأى هنتنجتون

ويعطى صموئيل هنتنجتون مجموعة من العوامل المشابهة التى زادت من الصراع بين الإسلام والغرب فى أواخر القرن العشرين وهذه العوامل هى :

١ - أن النمو السكانى الإسلامى خلَّف أعدادًا كبيرة من الشبان العاطلين والساخطين الذين أصبحوا مجندين للقضايا الإسلامية ويشكلون ضغطًا على المجتمعات المجاورة ويهاجرون إلى الغرب .

٢ - أن الصحوة الإسلامية أعطت ثقة متجددة للمسلمين فى طبيعة وقدرة حضارتهم وقيمهم المتميزة مقارنة بتلك التى لدى الغرب[١] .

٣ - أن جهود الغرب المستمرة لتعميم قيمه ومؤسساته من أجل الحفاظ على تفوقه العسكرى والاقتصادى ، والتدخل فى الصراعات فى العالم الإسلامى تولد استياء شديدًا بين المسلمين .

٤ - سقوط الشيوعية أزال عدوًا مشتركًا للغرب والإسلام وترك كلا منهما لكى يصبح الخطر المتصور على الآخر[٢] .

٥ - الاحتكاك والامتزاج المتزايد بين المسلمين والغربيين يثير فى كل من الجانبين إحساسًا بهويته الخاصة وكيف أنها مختلفة عن هوية الآخر[٣] .

٦ - انهيار أسباب التسامح بالنسبة للآخر فى كل من المجتمعات الإسلامية والمسيحية .

ونقدم فيما يلى نقدًا لهذه العوامل التى اعتمد عليها هنتنجتون فى تحليل ما يسميه صراع الإسلام مع الغرب .

---

(١) رسول محمد رسول، «من صدام الحضارات إلى حوار الحضارات»، مجلة الكلمة، العدد ٢٤، السنة السادسة، صيف ١٩٩٩م، بيروت، ص٩٢ .
(٢) المرجع السابق، ص٩٣ .
(٣) المرجع السابق، ص٩٣ .

### ١- خطأ ربط النمو السكانى بالبطالة كسبب للصراع

ومن أول أخطاء هذا التحليل ربط النمو السكانى فى العالم الإسلامى بالبطالة وإيجاد شبان عاطلين ساخطين على مجتمعهم. فمن ناحية النمو السكانى ليس ظاهرة خاصة بالعالم الإسلامى، ولكنها ظاهرة عامة يعانى منها العالم الثالث على وجه العموم. ومن ناحية أخرى قد يكون النمو السكانى نعمة لانقمة وذلك فى حالة استغلال الطاقات السكانية وتوجيهها لخدمة المجتمع ، كما أن تصدير الطاقة البشرية أصبح واحدًا من أهم مصادر الدخل القومى بالنسبة للعديد من البلدان وبخاصة فى بلدان العالم الثالث. كما أن وجود استراتيجيات جيدة لاستخدام الطاقة السكانية وبخاصة من الشباب تحول هذا النمو السكانى إلى مصدر قوة.

وهناك أيضًا الربط الساذج بين النمو السكانى والبطالة المجندة ، حسب رأى هنتنجتون ، للقضايا الإسلامية ، ويقصد هنتنجتون أن البطالة تؤدى إلى ظهور جماعات أو حركات إسلامية مناهضة لحكوماتها أولاً، وتشكل عامل ضغط على المجتمعات المجاورة، وتضطر إلى الهجرة إلى الغرب فى النهاية، فتدخل فى صراع مباشر مع الغرب. هذا الفرض والتحليل المبسط والذى لايخلو من سذاجة يحتوى على عدة مغالطات من أهمها :

١- أن النمو السكانى لايؤدى بالضرورة إلى البطالة الحاقدة.

٢- أن الشبان العاطلين يجندون للقضايا الإسلامية تشير إلى سوء استخدام لعبارة القضايا الإسلامية. فالقضايا الإسلامية تهم كل المسلمين وليست الشغل الشاغل للشباب العاطل. ويريد هنتنجتون أن يقول ، ولكن بطريقة ملتوية ، أن البطالة تولد مايسميهم الغرب بالأصوليين أى المتشددين دينيًا والمهتمين من وجهة نظره بالقضايا الإسلامية. وهذا ربط واضح بين مايسمى بالأصولية والقضايا الإسلامية. وهو تخصيص لايخلو من خبث فالمجتمع الإسلامى بأسره تهمه قضاياه الإسلامية، وهى ليست محل اهتمام المتشددين دينيًا فقط، كما أن هناك فارقًا بين الاهتمام الأصولى بالقضايا الإسلامية وبين الاهتمام الإسلامى العام. فالأصولية - بالمعنى الغربى - تخلق مشاكل دينية من نوعية خاصة يتم من خلالها استغلال الدين وتوجيهه لخدمة السياسة ولتحقيق مصالح سياسية. ويريد هنتنجتون هنا أن يعزل

الإسلام وقضاياه عن المسلمين عمومًا ويخصص هذه القضايا للأصوليين المتشددين من دون المسلمين .

ثم يشير هنتنجتون إلى أن هذا الشباب « الأصولى » المجند يشكل ضغطًا على المجتمعات المجاورة، كما أنه يهاجر إلى الغرب فيشكل مشكلة بالنسبة للغرب . وهنا يخطىء هنتنجتون مرة أخرى حين يجعل سبب الهجرة الوحيد هو الضغط الذى يمارسه الشباب الأصولى المتشدد مع أن أسباب الهجرة معروفة وهى : علاج مشاكل اقتصادية ، والرغبة فى تحسين الأوضاع الاقتصادية ، والاستفادة من فرص عمل ليست موجودة فى الوطن الأم . وهو أمر مشروع وتجيزه القوانين الدولية . وليس كل من هاجر إلى الغرب أصولى متشدد . فباب الهجرة مفتوح للجميع . وتظهر مغالطة أخرى وهى أن الغرب عادة لايتيح الفرصة للهجرة بهذا الشكل السهل الذى أبداه هنتنجتون . إن باب الهجرة أصبح مقفولاً أمام شباب العالم الثالث بسبب الإجراءات التعسفية التى يتخذها الغرب لمنع الهجرة إليه من بلاد العالم الإسلامى ، وعندما يسمح الغرب بهجرة بعض من يسميهم بالأصوليين فهو إنما يفعل ذلك لاستخدام هذه العناصر ضد أوطانها مثلما يحدث فى حالة تبنى المعارضة وقبول المعارضين كلاجئين سياسيين وغير ذلك من أفعال يقوم بها الغرب من أجل مصلحته الخاصة .

**٢- خطأ ربط الصراع بالصحوة الإسلامية**

يعتبر صموئيل هنتنجتون الصحوة الإسلامية سببًا فى تجدد ثقة المسلمين فى طبيعة حضارتهم وقدرتها ، وفى قيمهم المتميزة مقارنة بقيم الحضارة الغربية . ويعتبر هذا أحد أسباب الصراع بين الإسلام والغرب، أو على حد تعبيره أحد العوامل التى زادت من الصراع بين الإسلام والغرب .

ومضمون رؤية هنتنجتون هنا تتركز فى أن « الصحوة الإسلامية » زادت من صراع الإسلام مع الغرب . وهذه عبارة غامضة ولاتخلو من خبث . فعبارة الصحوة الإسلامية « ليست العبارة الصحيحة التى يجب استخدامها فى هذا المقام المرتبط بالصراع بين الحضارات عند هنتنجتون إذ إن ترجمتها المباشرة هى أن التدين يزيد من حدة الصراع بين الإسلام والغرب . وأن العالم الإسلامى كلما عاد إلى الدين وازداد

تدينًا، تفسخت علاقاته بالغرب، زاد عداوة وكراهية للغرب وحضارته وقيمه. وهذا أمر مغلوط؛ لأن التدين الحقيقى لايقف عقبة فى طريق العلاقات مع الغرب وحضارته، كما أن التدين المسيحى فى الغرب ليس عقبة فى طريق علاقة الغرب بالعالم الإسلامى. والعكس هو الصحيح فالتدين يحفظ هذه العلاقات ويرعاها، كما كان الحال فى ماضى العلاقات الإسلامية المسيحية قبل عصر النهضة الأوربية حيث كان التفاعل الحضارى بين الثقافتين الإسلامية والغربية على أشده، ورغم تدين العالم الإسلامى فإن الغرب استفاد من معطيات الحضارة الإسلامية ومنجزاتها، وقام بترجمة هذه المنجزات إلى اللغات الأوربية وبنيت الحضارة الغربية منذ عصر النهضة على أساس من العلوم الإسلامية والإنجازات العلمية الإسلامية. ولم يشعر الغرب بحرج فى الأخذ عن الحضارة الإسلامية، وهى حضارة دينية فى أساسها.

لذلك لا بد من البحث عن معنى آخر لعبارة الصحوة الإسلامية عند هنتنجتون. ولايحتاج الأمر إلى مجهود كبير فى الوصول إلى هذا المعنى الذى يستغله هنتنجتون فى نظريته للتدليل على حتمية الصراع بين الإسلام والغرب، فعبارة الصحوة الإسلامية ذات المعنى الإيجابى عند المسلمين يغير هنتنجتون معناها لتصبح عنده مشيرة إلى «الحركات الإسلامية» المعاصرة التى استخدمت الدين استخدامًا سياسيًا لتحقيق أهداف سياسية والتى اصطلح على تسميتها أحيانًا باسم «الإسلام السياسى» وأحيانًا أخرى باسم «الإسلام المسلح Militant Islam وأحيانًا أخرى بل والأشهر إطلاق اسم الأصولية Fundamen te lism عليها.

وخطأ هنتنجتون الكبير هو التلاعب بالمصطلحات والمسميات فهو يستخدم عبارة «الصحوة الإسلامية» فى الوقت الذى يقصد فيه الحركات الدينية السياسية التى ظهرت فى بعض بلاد العالم الإسلامى مستخدمة الدين لتحقيق أهدافها السياسية، ومستخدمة العنف المسلح كوسيلة لتحقيق هذه الأهداف. والخطأ هنا هو الخلط بين الشعور الدينى الإسلامى التقليدى الموجود عند كل المسلمين حين يلتزمون بأمور دينهم ويؤدون العبادات المطلوبة منهم، ويحققون الصلة بالله من خلال هذه العبادات وبين الفكر الدينى المتطرف الذى يستغل الدين ويوظفه سياسيًا. والحقيقة أنه ليست الصحوة الإسلامية هى التى تسببت فى توتر العلاقات مع الغرب، ولكن التطرف الدينى الذى

تبنته بعض الحركات السياسية الإسلامية هى التى تسببت فى هذا التوتر، وذلك بسبب التوجه العدائى الذى تبنته بعض هذه الحركات السياسية ضد الغرب. كما أنها سببت توترًا أشد مع أهل الأديان الأخرى داخل البلاد الإسلامية وذلك بسبب عدائها للأديان الأخرى، والأكثر من هذا أن سببت توترًا أكبر مع بقية المسلمين داخل البلاد الإسلامية؛ لأن هذه الحركات الإسلامية المتطرفة كفَّرت المجتمع المسلم، واحتكرت الإسلام والإيمان لنفسها، ودخلت فى صراع مرير مع بقية المسلمين ومع المؤسسات الدينية التقليدية مثل الأزهر.

والخطأ الذى وقع فيه هنتنجتون هو أنه لم يفرق بين الحركات السياسية الإسلامية (الأصولية) وبين الدين الإسلامى. واعتبر الإسلام مسئولاً عن زيادة حدة الصراع مع الغرب والإسلام برىء من هذا الاتهام. ويخطىء مرة ثانية حينما يطلق عبارة الصحوة الإسلامية؛ على هذه الحركات المتطرفة المستغلة للدين. وعلى كل حال هذا ليس خطأ هنتنجتون وحده؛ فالإعلام الغربى والاستشراق والمؤسسات السياسية الغربية كلها فى الحقيقة مسئولة عن هذا الخلط المقصود، وهى مسئولة عن هذا التعميم بالنظر إلى المسلمين جميعًا على أنهم متطرفون، وأن الإسلام مرادف للإرهاب، وعدم التفرقة بين الإسلام كدين وحضارة وبين جماعات إسلامية متطرفة تظهر فى كل الأديان وتتبنى موقفًا دينيًا متعصبًا ومتشددًا ضد كل من يقف فى طريقها من أهل دينها أولاً، ومن أهل الأديان الأخرى ثانيًا.

**٢ - ربط الصراع برغبة الغرب فى فرض قيمه على العالم الإسلامى**

يعطى هنتنجتون سببًا آخر من أسباب زيادة الصراع بين الإسلام والغرب وهو أن جهود الغرب لتعميم قيمه ومؤسساته من أجل الحفاظ على تفوقه العسكرى والاقتصادى والتدخل فى الصراعات فى العالم الإسلامى تولد استياءً شديدًا بين المسلمين.

وهنا يضع هنتنجتون يده على واحد من أهم أسباب التوتر فى العلاقات بالغرب، ولكنه يقدم هذا السبب من خلال لغة تتضمن الشعور بأن المسلمين ليسوا على حق فى الشعور بالاستياء، وكأن هنتنجتون يريد أن يقول. إنه يجب على المسلمين أن يرحبوا

بجهود الغرب لنشر قيمه ، وأن يقبلوا تدخل الغرب فى الصراعات الموجودة فى العالم الإسلامى لأن هذا فى مصلحتهم . وفى هذه اللغة يستخدم هنتنجتون كلمات مثل «جهود» و «استياء» ليشير إلى عدم تقدير المسلمين للدور الذى يقوم به الغرب ولذلك فهذه « الجهود » لايجب أن تؤدى إلى زيادة الصراع ؛ لأنها جهود فى صالح العالم الإسلامى .

ولا يريد هنتنجتون أن يوجه الاتهام بشكل مباشر إلى الغرب ويعتبره بهذه «الجهود» مثيرًا للصراع والتوتر فى علاقته بالعالم الإسلامى . بل هو هنا يتهم المسلمين لسوء فهمهم وعدم تقديرهم لما يسميه بجهود الغرب . وهذا يذكرنا مرة أخرى بعبء الرجل الأبيض ومسئوليته الحضارية تجاه العالم ككل ، ومن بينه العالم الإسلامى .

### ٤ ـ ربط الصراع بسقوط الشيوعية

وينتقل هنتنجتون إلى ذكر سبب آخر مهم لزيادة الصراع بين الإسلام والغرب وهو سقوط الشيوعية ، ويبدأ بداية موفقة فى عرض هذا السبب ثم ينتهى نهاية مخزية فى استنتاجاته الأخيرة عن كون سقوط الشيوعية سببًا من أسباب زيادة الصراع بين الإسلام والغرب .

أما البداية الموفقة فهى فى قوله : إن سقوط الشيوعية أزال عدوًا مشتركًا للغرب والإسلام أما النتيجة الخاطئة فهى قوله : إن سقوط الشيوعية ترك الغرب والإسلام لكى « يصبح كل منهما الخطر المتصور على الآخر » .

فمن ناحية مثلت الشيوعية عدوًا مشتركًا للغرب والإسلام ولكن ليس من منطلق موقف واحد مشترك ؛ فالشيوعية لم تكن عدوة للغرب على المستوى الدينى كما أنها كانت عدوة للغرب الرأسمالى وليس لكل الغرب بل إن هناك أحزابًا وجماعات شيوعية تواجدت داخل الغرب نفسه . أما عداوة الإسلام للشيوعية فهى قائمة على أساس من الموقف من الدين . فالشيوعية رفضت الدين واعتبرته أفيون الشعوب واضطهدت الأديان ، ولذلك تبلور موقف إسلامى مضاد للشيوعية بسبب رفضها للدين عمومًا وبسبب اضطهادها لشعوب إسلامية خضعت للاتحاد السوفيتى الذى فرض عليها الشيوعية فرضًا ومنعها من ممارسة دينها الإسلامى .

أما الموقف الغربى من الشيوعية فلم يكن موقفًا دينيًا فى المقام الأول، ولكنه موقف أيديولوجى. فالغرب الرأسمالى رفض النظام الاقتصادى الشيوعى، ودافع عن الرأسمالية ضد انتشار الشيوعية خارج حدود الاتحاد السوفيتى وداخله. والموقف الغربى من الشيوعية لم يكن موقفًا دينيًا؛ لأن الغرب العلمانى، رافض للدين مثله مثل الشيوعية التى هى بلاشك ضرب من ضروب العلمانية ولكن فى ظل حكم ديكتاتورى يمنع ممارسة الدين بالقوة، بينما العلمانية فى الغرب تطورت داخل إطار ديمقراطى يسمح لمن يريد بمزاولة الدين كما يسمح بوجود علمانية دينية إلى جوار العلمانية الرافضة للدين. والمبدأ الأساسى فى علمانية الغرب هو فصل الدين عن الدولة والاعتراف بالدين كسلوك شخصى أو نشاط شخصى غير مؤثر على السياسة العامة للدولة.

أما الخطأ الأكبر فى تحليل هنتنجتون فهو تصوره أن سقوط الشيوعية العدو المشترك أدى إلى تصور الغرب بأن الإسلام عدوه، وتصور الإسلام بأن الغرب عدوه. وللأسف الشديد أن فكرة هنتنجتون هذه كان لها وجود سابق فى الغرب وقوى هذا الشعور بعد السقوط الفعلى للشيوعية. فمن الأمور الفكرية الشائعة فى الغرب حاليًا أنه لم يبق سوى الإسلام كعدو للغرب، أى أن الغرب تخلص من كل أعدائه فيما عدا الإسلام الذى يجب أن يتفرغ الغرب للتخلص منه وتصفيته كعدو أخير للغرب وللحضارة الغربية.

والحقيقة أن هذه النتيجة التى توصل إليها هنتنجتون خاطئة على مستويين. فالمسلمون من ناحيتهم لايعتقدون أن الغرب عدو لهم. كما أن الغرب كمجتمع وحياة ليس لديه هذا التصور بأن الإسلام عدو الغرب بعد سقوط الشيوعية. إن هذه أفكار مغرضة لايؤمن بها عامة الشعب، ولكن يُرَوِّج لها مجموعة من رجال السياسة ورجال الإعلام الذين لهم مصالح سياسية معينة، ويديرون دفة السياسة العالمية لتحقيق هذه المصالح. ومن مصلحة هذه الجماعات السياسية والإعلامية أن يكون هناك صراع وأن يستمر هذا الصراع إلى أن يحقق الغرب هيمنته على العالم الإسلامى، أو أن ينهى الوجود الإسلامى برمته، وكما تم التخلص من الشيوعية يجب التخلص من الإسلام. إن فكرة الإسلام كخطر مهدد للغرب وحضارته وَهْمٌ مصطنع من أجل استمرارية مفهوم الصراع والتحدى الذى تقوم عليه الحضارة الغربية عند منظّريها وفلاسفتها.

## ٥- خطأ ربط الصراع بالاتصال بين المسلمين وأهل الغرب

يضيف هنتنجتون عاملاً آخر من عوامل زيادة الصراع بين الإسلام والغرب وهو أن الاتصال والامتزاج المتزايد بين المسلمين والغربيين يثير في كل من الجانبين إحساسًا بهويته الخاصة واختلافها عن هوية الآخر. ويقول بأنه خلال الثمانينيات والتسعينيات انهار التسامح بالنسبة للآخر فى كل من المجتمعات الإسلامية والمسيحية[١].

وبداية نقول: إن الاتصال بين الشعوب ليس بالضرورة أن يولد صراعًا كما يدعى هنتنجتون. فالاتصال السليم القائم على أسس من الاعتراف بالآخر وعدم الرغبة فى الهيمنة واحترام الهوية والذات لايمكن أن يكون سببًا فى توليد الصراع. وهناك مجتمعات كثيرة تقوم على أساس من التعددية العرقية والدينية والثقافية وتمكنت من خلال الدستور والقانون والديموقراطية أن تزيل أسباب التوتر الناجمة عن اختلاف الثقافات والأديان والأعراق. لقد تمكنت الدولة الإسلامية قديمًا من تحقيق هذا التوازن، وعاش اليهود والمسيحيون والهندوس وغيرهم فى ظل الحكومة الإسلامية، ينعمون بالتسامح على كل مستوياته، ويحققون هويتهم الدينية والثقافية. ويمكن القول بشكل نسبى إن بعض المجتمعات الحديثة تمكنت من تحقيق هذا التعايش بفضل الدساتير والقوانين المنظمة لعلاقات الأفراد وبتأثير الديموقراطية كنظام للحكم يقوم على المساواة. ويمكن أن نضرب مثالاً على ذلك بالولايات المتحدة الأمريكية التى تتكون من العديد من الأعراق والأديان والثقافات ومع ذلك تمكنت من خلق مجتمع تحكمه القوانين التى تحاول أن تساوى بين الجميع وإن كان بشكل نسبى. المهم هنا أن حكم هنتنجتون بأن الاختلاط يؤدى إلى الصراع حكم ليس عامًا وحكم نسبى. والحقيقة أن معظم شعوب العالم تحتوى على أقليات إثنية ودينية وثقافية ولايوجد شعب ليست له صلات بغيره عبر التاريخ تؤدى إلى احتكاكه واندماجه فى الآخرين. والحضارات القوية المتسامحة تستطيع أن تصهر شعوبها المختلفة فى بوتقة واحدة وتضمن حدًا أدنى من التعايش والاندماج. ولا يوجد أدنى خوف من الحفاظ على الهويات المتعددة داخل الحضارة الواحدة، فرغم الاختلاف الإثنى والدينى والثقافى فإن هناك مبادىء وقوانين ومصالح مشتركة تضمن صحة الاندماج بل وتُرغِّب فيه.

(١) هنتنجتون، مرجع سابق، ص٣٤٢.

فالهجرة مثلاً إلى البلاد الأوربية والولايات المتحدة وكندا تمثل مطلبًا مرغوبًا فيه لدى العديد من أبناء البلدان الأخرى دون تخوف من ذوبان أو اندماج مع قبول للقوانين والأعراف والسياسات التى يتبعها البلد المهاجر إليه . وهجرة أعداد من المسلمين إلى البلاد الأوربية لايخرج عن هذا الإطار . فالمجتمع الأوربى يتيح الحرية فى ممارسة العقيدة ويضمن الحريات المختلفة والحقوق ولايعرض الهوية للخطر ، ولايخلق صراعًا أو توترًا؛ فهناك آلاف من المسلمين هاجرت إلى الغرب وعاشت فيه دون أن تكون مصدر خطر عليه أو أن يكون الغرب خطرًا عليها .

ويلمح هنتنجتون إلى أن التسامح انهار فى كل من المجتمعات الإسلامية والمسيحية خلال العقود الأخيرة . وهو حكم ليس مبنيًا على أدلة واضحة؛ فالمجتمع الإسلامى لم يتغير فى تعامله مع الآخر . ولا يجب خلط الأمور ببعضها البعض . فالصراع الدينى الذى ظهر فى بعض المجتمعات الإسلامية ليس صراعًا حقيقيًا إنما هو صراع مفتعل لايعبر عن توجه دينى أو سياسة حكومية عامة تجاه غير المسلمين . هذا الصراع من فعل جماعات دينية متطرفة ومنشقة عن بقية المجتمع المسلم وعداؤها موجه إلى الجميع مسلمين وغير مسلمين بدليل أنها تكفر المسلمين قبل أن تكفّر غير المسلمين . ومن الخطأ الشديد التعميم وإصدار أحكام عامة فيها إساءة إلى أمة بأسرها ، وفيها جهل أو تجاهل بالشرائع والمبادىء التى سنّها الإسلام لتعامل المسلم مع غير المسلم ، وفيها إنكار للعلاقات التاريخية التى ربطت المسلمين بغير المسلمين فى المجتمعات الإسلامية على مدى أربعة عشر قرنًا من الزمان . ومثل هذه الأحكام العامة ضارة لأنها تشوّه الصورة العامة وتثير الشعوب ضد أقلياتها ، وتثير الأقليات ضد الشعوب التى تعيش بينها ، وتؤدى إلى توتر فى العلاقات ينشب عنه صراع لاضرورة له . وفى الوقت الذى حافظت فيه المجتمعات الإسلامية على علاقاتها الجيدة بمواطنيها من أهل الأديان الأخرى تسببت هذه الأحكام العامة والنظريات القائلة بالصدام والصراع فى توتر علاقة الغرب بأقلياته المسلمة المنتشرة فى البلاد الأوربية وكندا والولايات المتحدة . وقد بدأت نظرة الشعوب الغربية إلى المسلمين تتغير . والآن توجه إليهم التهم الخاصة بالإرهاب لا لشىء إلا لأنهم مسلمون ومصدر للخطر بطبيعة حضارتهم ودينهم كما أشاعت نظريات صدام الحضارات .

إن ما يعيب نظرة صموئيل هنتنجتون إلى علاقة الحضارة الغربية بالحضارات الأخرى أنها نظرة صدامية تستند إلى قاعدة من العداء الصريح للحضارات الأخرى. وهو عداء له خلفية عنصرية استعمارية لاتستطيع أن ترى الحضارة الغربية سوى فى مكان الحضارة المهيمنة الغالبة والمسيطرة، ولاتستطيع أن ترى فى الحضارات الأخرى سوى التخلف والقابلية للخضوع والتبعية.

### ٦ـ رد الصراع إلى الخوف على الحضارة الغربية من الانهيار

لقد سيطرت على هنتنجتون حالة هستيرية من الخوف على الحضارة الغربية، والتنبؤ بانحلالها وتخلفها وتفوق الحضارات الأخرى عليها[1]. ويبدو من تحليله للوضع الحضارى العالمى أنه لايؤمن بالتفاعل بين الحضارات ولايرى سوى صراع الحضارات وصدامها عبر التاريخ. لقد وضع عينه على سلبيات العلاقات بين الحضارات فى التاريخ، وأغفل إيجابيات هذه العلاقات. وهى بلاشك اتسمت بالقوة من ناحية وبالاستمرارية من ناحية أخرى. أما صفة القوة فتتجلى فى أن الحضارات اعتمدت على بعضها البعض، وكل حضارة بنت نفسها تقريبًا على منجزات الحضارات السابقة عليها. أما صفة الاستمرارية فتظهر فى أن الصدام بين الحضارات عادة مايزول بزوال أسبابه، وهى بالتأكيد ليست أسبابًا حضارية بل هى أسباب سياسية وأيديولوجية، فعادة مايتلو عصور الصراع السياسى والعسكرى عداء حضارى ودينى. ولكن مع زوال الأسباب السياسية للصراع تتفاعل الحضارات مع بعضها، وتدخل فى مرحلة التبادل الحضارى القائم على الأخذ والعطاء والتأثير والتأثر. يتم فيها تناسى الصراعات السياسية والأيديولوجية وازدهار العلاقات الإنسانية على المستوى الحضارى من خلال هذا التفاعل المؤدى إلى التعاون الإنسانى.

### ٧- تاريخ العلاقة الحضارية بين المسلمين والغرب شاهد على عدم صحة نظرية صدام الحضارات

إن صموئيل هنتنجتون لم يقرأ تاريخ العلاقات بين الحضارات الغربية والحضارات

(١) رسول محمد رسول، مرجع سابق، ص٩٣.

الأخرى وبخاصة الحضارة الإسلامية قراءة جيدة. ولو فعل لخرج بنتائج مختلفة تمامًا عن النتيجة النهائية التى توصل إليها وهى أن الحضارات متصارعة ومتصادمة ، وأن العصر القادم هو عصر صدام الحضارات.

ونضرب له مثالاً واحداً من خلال تاريخ العلاقات الحضارية بين المسلمين والغرب لنرى أن الصدام السياسى عادة ما كان ينزوى جانبًا ويبرز دائمًا التفاعل الحضارى الذى اكتسب صفة الاستمرارية حتى فى أحلك الظروف السياسية . فمع ظهور الإسلام نشأ صراع سياسى بين المسلمين والغرب لأسباب سياسية انتهت فى التاريخ لكى يبدأ تفاعل حضارى قوى حيث أحس المسلمون بحاجة ماسة إلى العلم الغربى ، فأنشأوا إحدى أكبر حركات الترجمة فى تاريخ الفكر الإنسانى ، وقاموا بترجمة التراث العلمى اليونانى إلى اللغة العربية بمشاركة يهودية مسيحية إسلامية ، ومن خلال عملية الترجمة تم الحفاظ على التراث اليونانى الذى بدأ يتعرض للضياع مع تدهور الغرب حضاريًا . وقام العلماء المسلمون بشرح هذا التراث العلمى وتفسيره ، وتحقيقه وتصحيحه ، والإضافة إليه ، وبناء الحضارة المادية الإسلامية على أساسه بالإضافة إلى ما أخذه المسلمون من علوم الهند وفارس وغيرهما.

وتبدأ مرحلة صراع سياسى عسكرى جديدة بين المسلمين والغرب خلال فترة الحروب الصليبية ، ويكتشف الغرب عظمة الحضارة الإسلامية وبخاصة فى المجال العلمى والتكنولوجى فيبدأون ـ مع انحسار الحروب الصليبية ـ فى نقل معارف المسلمين وعلومهم إلى اللغة اللاتينية ومنها إلى اللغات الأوربية وعن طريق اللغة العربية مباشرة ، أو عن طريق لغة وسيطة هى اللغة العبرية . وكما بنى المسلمون حضارتهم المادية على العلم اليونانى بدأ الغرب يبنى نهضته الجديدة على أساس من علوم المسلمين ، وأسس الغرب ثانى أكبر حركة ترجمة فى تاريخ الفكر الإنسانى وذلك من اللغة العربية . ودخل الغرب فى عصر النهضة الأوربية ، ومن بعده فى عصر التنوير ، بفضل الثقافة العلمية الإسلامية التى تمت ترجمتها واستيعابها وشرحها والإضافة إليها.

ثم تبدأ مرحلة جديدة من الصراع السياسى العسكرى وهى المرحلة الاستعمارية الحديثة التى انتهت بخضوع معظم بلاد العالم الإسلامى للسيطرة الغربية . وينتهى هذا

الصراع بحصول البلاد الإسلامية على استقلالها لتبدأ فى بناء نهضتها الحديثة وذلك بتأسيس ثالث أكبر حركة ترجمة من اللغات الأوربية الحديثة إلى اللغة العربية. وهى المرحلة التى لانزال نعيشها الآن. فقد أحس المسلمون بحاجتهم الماسة إلى العلم الغربى والتكنولوجيا الغربية المتقدمة لبناء المدنية الحديثة فى بلادهم، فأرسلوا البعثات التعليمية إلى بلاد الغرب - كما فعلت أوربا من قبل حين أرسلت البعثات التعليمية إلى مراكز الحضارة الإسلامية وبخاصة فى الأندلس - وتمت ترجمة العديد من الأعمال العلمية اللازمة. ولايزال المسلمون ينهلون من العلم الغربى، ويحاولون الاستفادة منه فى بناء نهضتهم الحديثة والمعاصرة.

ويتضح من هذا العرض التاريخى الموجز لتاريخ العلاقات الحضارية بين المسلمين والغرب أن التفاعل الحضارى كان السمة الأساسية فى علاقة الحضارة الإسلامية مع الحضارة الغربية، وأن الحضارتين اعتمدتا على بعضهما البعض فى بناء النهضة العلمية فى الوقت الذى انحسر فيه الصراع السياسى والعسكرى، فالبقاء فى النهاية للاتصال والتفاعل والالتقاء الحضارى.

### ثالثا: نقد تسييس القيم الحضارية فى نظرية صدام الحضارات

لعل من أخطر أبعاد نظرية صدام الحضارات عملية تسييس القيم الحضارية والتلاعب بالبعد الثقافى فى حياة الشعوب وإخضاعه للسياسة ومصالحها. واللافت للانتباه أن كتاب « صدام الحضارات» الذى ألفه هنتنجتون ليس كتابًا فى الحضارة والحضارات ولكنه كتاب فى السياسة الدولية. ومعنى هذا أن الحضارة - أصبحت أو ستصبح - من وجهة نظر هنتنجتون موضوعًا للسياسة، فالحضارات ستكون المصدر الأساسى للنزاعات الدولية فى العالم الجديد. والنزاعات الأساسية فى السياسة العالمية ستحدث بين أمم وشعوب لها حضارات مختلفة، وسيسيطر الصدام بين الحضارات على السياسات الدولية، فالخطوط الفاصلة بين الحضارات هى خطوط المعارك فى المستقبل. ويمثل النزاع بين الحضارات المرحلة الأخيرة فى تطور النزاع فى العالم الحديث.

### ١ ـ خطأ تسييس الحضارات والعلاقات الحضارية

ومن المعروف عبر التاريخ أن الحضارة كانت دائمًا وأبدًا محور الالتقاء بين الشعوب المتنازعة والتى كان صراعها السياسى والعسكرى عادة ما ينتهى إلى التقاء حضارى تذوب فيه الخصومات، ويبدأ معه التفاعل الذى ينتهى إلى الاتصال والتعاون، والأخذ والعطاء، والتأثير والتأثر، والأهم من هذا وذاك التقاء الشعوب المتخاصمة وبداية التعايش وتبادل الفكر. وقد ينتهى الأمر إلى الاندماج الحضارى فى الحضارة الغالبة التى تملك إمكانات الاستيعاب والاندماج. ويسعى المنتصر عسكريًا إلى تحقيق الاستفادة الحضارية من الشعوب المهزومة إذا كانت صاحبة حضارة قوية تفوق حضارة الشعب الغازى. ولقد أدى الاندماج الحضارى إلى التخفيف من حدة النزاع السياسى العسكرى بل وربما القضاء عليه تمامًا.

واليوم يلجأ بعض الساسة والمفكرين فى الغرب إلى تغيير هذا الوضع الذى سارت عليه الأمم منذ فجر التاريخ. وبدلاً من أن تستمر الحضارات فى فتح باب الاتصال والاندماج بين الشعوب تتحول الحضارات إلى أن تصبح سببًا أساسيًا للنزاع. فالصراعات المستقبلية لن تكون سياسية أو أيديولوجية ولكنها ستكون بين حضارات. والمطلوب هنا هو أن تغير الحضارات ثوبها، وترتدى رداء الحرب وتتحول من عامل للتوفيق بين الشعوب إلى عامل للتفريق والصراع بين الشعوب.

ويأتى هذا التغيير على يد صناع القرار ورجال السياسة فى الولايات المتحدة الأمريكية فى المقام الأول. ويعتقد بعض الدارسين لنظرية صدام الحضارات أن السياسة الأمريكية لم تكن تهتم بالبعد الثقافى فى العلاقات الدولية؛ وذلك لافتقار الولايات المتحدة الأمريكية للرؤية التاريخية للتاريخ الإنسانى، وغياب فلسفة التاريخ لدى القرار الأمريكى. ويأتى كتاب «صراع الحضارات» ليدعو صراحة إلى إعادة النظر فى الأولويات الاستراتيجية للولايات المتحدة. فالصورة التى يقدمها الكتاب للسياسة الدولية فى المستقبل تقوم على أساس أن الحضارة الغربية ليست حضارة كونية لوجود حضارات أخرى تزاحمها فى الكون وتنافسها حتى على مستوى الادعاء الكونى. والمستقبل سيتم بلورته حسب رؤى حضارية متعددة فى ظل عالم متعدد الحضارات ويضع الكتاب فى نهايته استراتيجية غربية تدافع عن الحضارة الغربية ضد الحضارات الأخرى، وهى بذلك تدافع عن الهيمنة الغربية فى ظل عالم متصادم الحضارات.

والاستراتيجية التي يضعها هنتنجتون مأساوية في نتائجها لأنها قامت على فرضية تشاؤمية منذ البداية. وتقوم هذه الاستراتيجية على الأسس التالية لتحقق هدفها وهو انتصار الحضارة الغربية وهيمنتها على السياسة الدولية. وهذه الأسس هي:

أ - تحقيق تكامل سياسي واقتصادي وعسكري غربي بين أوربا والولايات المتحدة الأمريكية وذلك لمنع الدول ذات الحضارات الأخرى من استغلال الخلافات القائمة داخل الغرب.

ب - دمج دول أوربا الغربية وأوربا الوسطى في الاتحاد الأوربي وحلف الناتو.

ج - تشجيع تغريب أمريكا اللاتينية وانحيازها التام للغرب.

د - كبح القوة العسكرية التقليدية للدول الإسلامية وللصين.

هـ - إبطاء عملية ابتعاد اليابان عن الغرب وتعطيل توجهها نحو التكامل مع الصين.

و - تحول روسيا إلى مركز للأرثوذكسية ولتصبح قوة إقليمية رئيسية ذات مصالح مشروعة في أمن حدودها الجنوبية.

ز - الحفاظ على التفوق التكنولوجي والعسكري على الحضارات الأخرى.

ح - بناء سياسة أطلنطية للتعاون مع الشركاء الأوربيين لحماية مصالح وقيم الحضارة الفريدة التي يشتركون فيها [1].

**٢- خطأ اعتبار الحضارات سبب الحروب بين البشر**

إن الاستراتيجية التي وضعها صموئيل هنتنجتون استراتيجية مضادة للحضارات المنافسة للحضارة الغربية. ويمكن القول - بلا مغالاة - أنها استراتيجية مضادة لحضارتين أساسيتين يرى هنتنجتون أنهما من أكثر الحضارات تهديدًا للحضارة الغربية وهما: الحضارة الإسلامية، والحضارة الصينية الكونفوشيوسية. وهو يقول عن التهديد الإسلامي: «إن حربًا كونية تشارك فيها دول المركز في حضارات العالم الرئيسية أمر بعيد الاحتمال، ولكنه ليس مستحيلاً. وحرب كهذه قد تنشأ نتيجة

(١) هنتنجتون، مرجع سابق، ص٥٠٤-٥٠٥.

تصعيد حرب من حروب خطوط التقسيم بين جماعات من حضارات مختلفة ،- وتضم على الأرجح - دولاً إسلامية فى جانب » ودولاً غير إسلامية فى جانب آخر ، كما أن التصعيد يصبح أكثر احتمالاً إذا كانت دول المركز الإسلامية الطامحة تتنافس لتقديم المساعدة لشركائها فى الدين ، وتصبح أقل احتمالاً بسبب المصالح التى قد تكون لدول القرابة من الدرجة الثانية أو الثالثة فى عدم التورط فى الحرب»(١) . وعن التهديد الصينى يقول : «ميزان القوى المتغير بين الحضارات وبين دول المركز هو أيضًا أحد المصادر الخطرة لحرب كونية بين الحضارات . إن صعود الصين والتوكيد المتزايد لأكبر لاعب فى تاريخ الإنسانية ، إذا استمر ، سوف يخلق توترًا شديدًا فى الاستقرار العالمى فى أوائل القرن الحادى والعشرين . وبزوغ الصين كقوة مسيطرة فى شرق وجنوب شرق آسيا سيكون ضد المصالح الأمريكية كما تُفسر تاريخيًا»(٢) .

ويتصور هنتنجتون أن سبب الحرب سيكون تدخل دولة مركز فى إحدى الحضارات ( مثل الولايات المتحدة الأمريكية ) فى نزاع بين دولة مركز فى حضارة أخرى ( مثل الحضارة الإسلامية أو الحضارة الصينية ) ودولة عضو فى تلك الحضارة ( مثل إندونيسيا أو فيتنام ) ومثل هذا التدخل يعتبره هنتنجتون ضروريًا بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية الدولة القوية فى الحضارة الغربية .

وقد وضع هنتنجتون تصورًا لتجنب حروب رئيسية بين الحضارات ويتطلب هذا أن تحجم دول المركز عن التدخل فى صراعات الحضارات الأخرى ، وإن كان هذا يبدو صعبًا من وجهة نظره . ووضع تصورًا لقانونين يمنعان وقوع الحرب بين الحضارات . القانون الأول سماه قانون الامتناع بمعنى أن تمتنع دول المركز عن التدخل فى صراعات داخل الحضارات الأخرى ، وهذا أول متطلبات السلام فى عالم متعدد الحضارات ومتعدد الأقطاب . أما القانون الثانى فهو ما يسميه بقانون الوساطة المشتركة بمعنى أن تتفاوض دول المركز مع بعضها البعض لاحتواء أو إيقاف حروب خطوط التقسيم الحضارى بين دول أو جماعات داخل حضارتها .

---

(١) المرجع السابق ، ص٥٠٥ ؛ وانظر ريتا عوض ، «صورة العرب والإسلام فى الغرب : كيف يعاد تشكيلها؟» ، مجلة شئون عربية ، العدد ١٠٩ ، ربيع ٢٠٠٢م ، ص١٢٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص٥٠٦ .

ويعترف هنتنجتون أن قبول هذه القوانين لن يكون سهلاً فى عالم تسود فيه مساواة أكبر بين الحضارات. فقد ترى دول المركز أن لها امتيازات تنكرها على أعضاء آخرين داخل نفس الحضارة. أو أن تسعى إحدى الحضارات الرئيسية لتحتل مكانة الحضارة الغربية أو تنافسها أو أن تحل محلها.

ويتحدث هنتنجتون عن قانون ثالث سماه « قانون العوامل المشتركة » ويراه ضروريًا لتحقيق السلام فى عالم متعدد الحضارات، ويطالب فى هذا القانون بضرورة أن تبحث شعوب جميع الحضارات عن تلك القيم والمؤسسات والممارسات المشتركة بينهم وبين شعوب الحضارات الأخرى، وأن يقوموا بتوسيع هذه القيم، ومن خلال هذه القوانين يتم وضع حد لصدام الحضارات بل تساهم هذه القوانين فى تقوية الحضارة كمفهوم معقد ومزيج مركب من الأخلاق والدين والتعليم والفن والفلسفة والتكنولوجيا والرخاء المادى. وفى النهاية يقر هنتنجتون بأن مستقبل السلام والحضارة يعتمد على الفهم والتعاون بين القادة السياسيين والروحيين والمفكرين فى حضارات العالم الرئيسية. وفى الوقت الذى يعترف فيه بأن صدام الحضارات هو الخطر الأكثر تهديدًا للسلام العالمى ينادى هنتنجتون بنظام عالمى يقوم على الحضارات كضمان أكيد ضد وقوع حرب عالمية[1]. ولا يعطى هنتنجتون أية تفاصيل عن هذا النظام العالمى القائم على الحضارات لكى يمنع صدام الحضارات.

### ٢- صدام الحضارات نظرية فى السياسة الدولية وليس نظرية فى الحضارة

تميل نظرية صموئيل هنتنجتون إلى تسييس الحضارات، وهذا يعد أخطر مافى نظرية صدام الحضارات. وبداية نقول: إن العنوان الذى اختاره هنتنجتون لكتابه يحتوى على مفارقة ولا يخلو من تناقض. فالحضارات عادة لاتتصادم، وكلمة صدام كلمة لها دلالة سياسية واضحة فى عنوان كتاب هنتنجتون وهو اختيار مقصود للدلالة

(١) المرجع السابق، ص٥٢٠.

على مضمون النظرية عنده[1]. فالحضارات ستكون سبب الحروب فى المستقبل؛ ولذلك فالصدام لن يكون بين أمم أو شعوب أو دول أو إمبراطوريات ولكنه سيكون بين حضارات. وكلمة صدام أيضًا لها رنين عسكرى حربى بما يعنى أن حروبًا حقيقية ستنشأ بين الحضارات. وقد يستدعى هذا تغيير المصطلحات السياسية مستقبلاً، فبدلاً من القول بأن صدامًا وقع بين المصريين واليونان مثلاً، سنقول أن صدامًا وقع بين حضارة المصريين وحضارة اليونان أو نعرف أى صدام بين دولتين من إفريقيا بأنه صدام حضارى أو ثقافى داخلى، وإذا كان الصدام بين دولتين من حضارتين مختلفتين فسنعتبر هذا الصدام صدامًا خارجيًا وذلك وفقًا لتوزيع الصراعات والنزاعات إلى صراعات داخلية وخارجية.

وقد وضع هنتنجتون العديد من المصطلحات الجديدة فى السياسة الدولية والتى تثبت رغبته فى إحلال صدام الحضارات مكان صدام الدول والشعوب. فهو يستخدم مثلاً مصطلح «ميزان القوى المتغير بين الحضارات»[2]. بعد أن كان الاستخدام السياسى الشائع هو «ميزان القوى المتغير بين الدول أو بين الأقاليم أو بين التحالفات السياسية». ويستخدم مصطلح «الحرب الحضارية الكونية» بدلاً من «الحرب العالمية»[3]. ويستخدم «الخطوط الفاصلة بين الحضارات» بدلاً من الحدود الفاصلة بين الدول كخطوط للمعارك فى المستقبل. ويقول: «السياسة الكونية للحضارات بدلاً من السياسة العالمية للدول[4]. ويقول: «السيطرة السياسية للحضارات» بدلاً من السيطرة السياسية للدول، ويقول «الحدود الشرقية للحضارة الغربية» بدلاً من الحدود الشرقية للدول الغربية. وكذلك قوله إن الحضارة الواحدة قد تحتوى على وحدة سياسية واحدة أو أكثر. وهذه الوحدات قد تكون ولايات أو إمبراطوريات، أو اتحادات فيدرالية أو

(١) عبدالعزيز شادى، الخطاب الدينى والصراعات الدولية، خبرة ما بعد الحادى عشر من سبتمبر، ٢٠٠١م، مجلة شئون عربية، العدد ١٠٩، ص١٤٨-١٤٩.
(٢) المرجع السابق، ص٥٠٥.
(٣) المرجع السابق، ص٥١١.
(٤) المرجع السابق، ص٣٩٧.

كونفيدرالية، أو دول قومية أو دول متعددة الجنسيات، وهو هنا يعتبر الحضارة هى المؤسسة للأشكال السياسية ولذلك يتحدث عن «التركيب السياسى للحضارات»(١). ومن هذه الزاوية يتعامل هنتنجتون مع الحضارة بمنطق رجل السياسة وليس بمنطق فيلسوف الحضارة(٢).

وهكذا يضع هنتنجتون خريطة جديدة للمصطلحات السياسية ليبرهن على صدام الحضارات ويبعد الأذهان عن صراع الدول.

ويرى هنتنجتون أن المؤسسات والمنظمات الدولية التى نشأت بعد الحرب العالمية الثانية قد تم تشكيلها وفقًا للمصالح والقيم والممارسات الغربية، ونظرًا لتغير الوضع الحضارى من وجهة نظره، فإن الضغوط ستتوالى لإعادة تشكيل هذه المؤسسات وفقًا للخارطة الحضارية الجديدة التى تشهد من وجهة نظره إنهيار الحضارة الغربية وازدهار الحضارات الأخرى أو على الأقل عدم تعرضها للانحلال والتدهور مثل الحضارة الغربية. وسيتغير ميزان القوى فى هذه المنظمات الدولية لمصلحة الحضارات الأخرى.

ويضرب مثالاً على هذا بمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة والذى تتمتع بعضويته الدول التى خرجت منتصرة فى الحرب العالمية الثانية. وفى عالم متعدد الحضارات يرى هنتنجتون أن الوضع المثالى هو أن يكون لكل حضارة بين الحضارات الرئيسية مقعد واحد دائم على الأقل فى مجلس الأمن، ويوزع هنتنجتون مقاعد مجلس الأمن وفق نظرية تصادم الحضارات فيرى أن الهند واليابان يجب أن تكونا عضوين دائمين وإفريقيا وأمريكا اللاتينية والعالم الإسلامى لابد وأن يكون لهم مقاعد دائمة يمكن شغلها بشكل دورى بواسطة الدول الرئيسية فى تلك الحضارات، ويتم الاختيار عن طريق المنظمات الإقليمية مثل منظمة الوحدة الإفريقية، أو منظمة المؤتمر الإسلامى، ومنظمة الدول الأمريكية بدون الولايات المتحدة الأمريكية. ويرى دمج المقعدين البريطانى والفرنسى فى مقعد واحد للاتحاد الأوربى. وفى النهاية يخضع مقاعد مجلس الأمن للتوزيع الحضارى، فلكل حضارة مقعد وللحضارة الغربية مقعدان فقط.

(١) المرجع السابق، ص٧٣.
(٢) محمد مجدى الجزيرى، الحوار بين الحضارات بين الواقع المعاش والاستثمار السياسى فى كتاب التقاء الحضارات فى عالم متغير، مرجع سابق، ص٢٧٨.

## ٤ ـ تسييس الحضارات لا يتفق مع طبيعتها

هذا التسييس التام للحضارات لا يتفق مع طبيعتها ولا مع دور الحضارات فى التاريخ . وكان الأولى بصموئيل هنتنجتون أن يركز على البعد الحضارى ودوره فى السياسة الدولية بدلاً من إخضاع الحضارات للسياسة واعتبارها أسبابًا للصراع والصدام بعد أن كانت الحضارات دائمًا وأبدًا نقطة التقاء الشعوب وعاملاً حاسمًا فى التخفيف من حدة الصراعات السياسية على المستوى الدولى[1] . لقد التقت الحضارات على المستويين المادى والمعنوى واستفادت من بعضها البعض، بل وأسهم كل منها فى بناء الحضارة الإنسانية . فعلى المستوى المادى انتقلت منجزات الحضارة المادية من مكان إلى مكان، وأسهمت كل الشعوب فى بناء هذه الحضارة المادية . فقد استقبلت كل حضارة المنجزات المادية للحضارة السابقة عليها أو المعاصرة لها واستوعبتها . وأضافت إليها لكى تسلمها إلى غيرها الأمر الذى أدى إلى بناء الحضارة الإنسانية المادية . فاليونان أخذوا عن حضارات الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق وسوريا وإيران) وبُنى العلم اليونانى والرومانى على أسس شرقية، ثم انتشرت الثقافة اليونانية والعلم اليونانى بعد ذلك فى أرجاء الشرق الأدنى القديم . ومع ظهور الإسلام اعتمد المسلمون على علوم اليونان والهند وبنوا نهضتهم العلمية على أساسها والتى سلموها بدورهم إلى أوربا مرة أخرى ليعودوا فيطلبوها من أوربا مرة ثانية . وهكذا تبادلت الشعوب بناء الحضارة الإنسانية الواحدة على المستوى المادى والتكنولوجى .

وعلى المستوى المعنوى أفادت الحضارات من بعضها البعض على مستوى القيم الروحية والمعنوية، وتم التبادل الثقافى الناقل لهذه القيم . وعادة ما تتعرض هذه القيم المتبادلة لعملية هضم واستيعاب وتقييم للإيجابيات والسلبيات فى محاولة للوصول إلى نسق من القيم يحقق أفضل ما فى الحضارات والأصلح فى التاريخ الإنسانى . وفى ظل هذا التبادل الثقافى والقيمى حافظت الحضارات على هويتها ولم تندمج فى بعضها البعض إلاّ بفعل القوة أى حين استخدمت السياسة لفرض ثقافة معينة على بقية الحضارات . ولكن سرعان ما تعود الحضارات إلى سابق استقلالها بعد زوال الأسباب السياسية الدافعة إلى الاندماج والذوبان .

(١) ميلاد حنا، قبول الآخر فكر واقتناع وممارسة، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٥٧ .

وقد تمكنت الحضارة دائمًا من التغلب على السياسة. ففى مجال الصراعات السياسية بين الشعوب قربت الحضارات بين الشعوب، وخففت من حدة الصراعات السياسية بينها، وعملت على تحقيق التقارب والذى كان استجابة طبيعية. فكل شعب يسعى بالتأكيد إلى الارتقاء بوضعه الحضارى المادى والمعنوى، ولم يشعر شعب ما بحرج فى تحقيق الاستفادة الحضارية ولو كان ذلك من خلال الاتصال بأعدائه السياسيين.

### ٥ ـ الحضارة هى الموجهة للسلوك السياسى

إن الحضارة هى الخالقة للسياسة والمشكلة لها. والنظم السياسية ما هى فى النهاية سوى هيكلة للأساليب الحياتية وللعادات والتقاليد المنظمة لعلاقة الإنسان بالإنسان، وعلاقة الجماعة بالجماعة، وعلاقة الشعب بالشعب، وعلاقة الأمم بالأمم الأخرى. والتفكير السياسى بلا شك هو جزء من الفكر الحضارى يخضع للقيم والعادات والتقاليد والأعراف التى تتعارف عليها الشعوب. ومن المهم أن يبقى للحضارة تأثيرها وتوجيهها للسياسة، فالقيم الحضارية هى التى تدفع الأمم إلى العمل بسياسات معينة ورفض سياسات أخرى. وهى التى تدفع إلى الاتصال والتعاون، وهى أيضًا التى تحض على العزلة وعدم التعاون. والتقاء الحضارات يؤدى إلى تغيير الشعوب من حيث سياساتها وعلاقتها ببعضها البعض. ومن المهم تدعيم هذا البعد الحضارى لكى يكون دائمًا وأبدًا عامل تقريب بين الشعوب، وليس عامل تفريق أو هدم. وفى حالة قوة البعد الحضارى تستطيع الشعوب أن تتغلب على مشاكلها على المستوى الدولى، بل ويمكنها أن تسد الثغرات التى تنتج عن عدم وجود سياسات أو قوانين تنظم علاقة الأفراد وعلاقة الدول ببعضها البعض. وقد حدث أن تغلب البعد الحضارى على عدم وجود شرائع، أو نصوص، أو قوانين تحل بعض المشاكل الناجمة عن الصراعات السياسية الدولية كما حدث فى محاكمة مجرمى الحرب العالمية الثانية عن الجرائم التى ارتكبوها ضد الإنسانية حيث حوكم مجرمو الحرب بدون نص قانونى، وذلك لعدم وجود نصوص قانونية. فالحضارات كلها تتفق حول حقوق الإنسان، وتشتمل على مبادئ خاصة بهذه الحقوق، وذلك قبل أن يتم التوصل إلى إعلان حقوق الإنسان وغير ذلك من الصور القانونية التى وضعتها المنظمات الدولية لحماية حقوق الإنسان ومنع

ارتكاب الجرائم ضد الإنسانية. فالقيمة الحضارية أقدم بلا شك من القانون الذى يوضع لها فيما بعد ويصبح مستخدمًا كنص أو تشريع ضد جريمة إنسانية معينة. والخطأ فى نظرية صدام الحضارات أنها لم تراع هذا البُعد الذى تمثله الحضارات فى السياسة وفى العلاقات الدولية وتريد أن تعكس تأثير هذا البُعد فيصبح سببًا للاختلاف بدلاً من كونه عاملاً للتقارب والائتلاف بين الشعوب.

إن تسييس القيم الحضارية نتيجة خطيرة من نتائج نظرية صدام الحضارات. وقد بدأت السياسة الدولية تستخدم العوامل الحضارية لتبرير اللجوء إلى العنف والتهديد، وكذلك تبرير الأعمال السياسية والعسكرية، وتبرير التدخل فى شئون الدول. ففى الصومال تدخلت الولايات المتحدة الأمريكية لأسباب دعتها أسبابًا إنسانية. وفى كوسوفا تدخل حلف الناتو تقوده الولايات المتحدة الأمريكية للقضاء على سياسة التطهير العرقى ضد الألبان فى كوسوفا. وفى هذا خلط الأمر الإنسانى بالمصلحة القومية للدولة المتداخلة.

ومن ناحية أخرى بدأت الأمم المتحدة تستخدم القيم الاجتماعية لبعض الدول وتحاول نشرها باعتبارها قيمًا عالمية حاكمة تصدرها إلى كل دول العالم لتشكيل معايير عالمية موحدة تصلح لقياس التطور العالمى، وهى فى الحقيقة ليست سوى أداة غربية لسيطرة الثقافية على المجتمعات المنافسة. ونظرية صدام الحضارات تمثل موقفًا دفاعيًا غربيًا لفرض قيم تسمى قيمًا أممية أو عالمية على العالم كله[1].

وتمثل هذه السياسات استغلالاً للحضارات وللقيم النابعة عنها كوسيلة لتحقيق أهداف سياسية للدول الكبرى، أو من خلال نظام القيم الوظيفية التى أطلقتها الأمم المتحدة. إن القيم الحضارية بمثابة ضوابط للسلوك الإنسانى. ولا يجب أن تستخدم أو تستغل لغير هذا المقصد الأساسى بأن توظف سياسيًا لتحقيق أهداف ومصالح سياسية لدول بعينها أو لمنظمات دولية[1].

ولعل أصدق مثال على ذلك السياسة التى اتبعتها الخارجية الأمريكية منذ فترة حيث اعتبرت العمل من أجل تحقيق السلام فى العالم أمرًا مرتبطًا بصورة حقوق الإنسان،

---

(١) هنتنجتون، ص١٦٨.

ودعوى دعم المؤسسات الديموقراطية. وسارت بعض الدول الأوربية الغربية على نفس هذه السياسة. وربطت الولايات المتحدة المعونات التى تمنحها لبعض الدول بتحديد موقفها من قضايا الديموقراطية وحقوق الإنسان. والحقيقة أن الولايات المتحدة الأمريكية تستغل هذه القيم الحضارية لتحقيق مصلحتها القومية، وتخلط خلطًا واضحًا بين الإنسانى والقومى، وتستغل الإنسانى ليحقق القومى. وأفضل دليل على صدق ذلك هو القياس بمقياسين فيما يتعلق بقضية حقوق الإنسان. ففى الوقت الذى تطالب فيه بعض الدول بالحفاظ على حقوق الإنسان نجدها تتجاهل تجاوزات بعض الدول الأخرى، وبخاصة إسرائيل، فى مجال حقوق الإنسان. وفى الوقت الذى تطالب فيه بالدفاع عن حقوق الإنسان من دولة معينة، نجدها تستخدم حق الفيتو لعدم إصدار قرارات تدين إسرائيل بانتهاك حقوق الإنسان، وفى انتهاكات واضحة لا تحتاج إلى أدلة حيث تنقلها وسائل الإعلام بصفة شبه يومية. وهذا يدل على أن قضية حقوق الإنسان تستخدم كذريعة للتدخل فى شئون البلاد الأخرى من أجل تحقيق مصالح قومية أمريكية خالصة.

إن الحضارات الإنسانية مصدر للقيم الموجهة للسلوك الإنسانى داخل الحضارة الواحدة، والمنظمة لعلاقة الحضارات ببعضها البعض، والمحققة للاتصال والتعاون بين الشعوب الحضارية. ومن الخطر توظيف هذه القيم سياسيًا واستغلالها استغلالاً سياسيًا فى تبرير الأعمال السياسية والتدخل فى الشئون الداخلية للدول.

### ٦- الحوار بين الحضارات وتحقيق التفاهم بين الشعوب

والحوار الذى يجب أن يتم بين الحضارات هدفه تحقيق التفاهم بين الشعوب، وتقريب الشعوب من بعضها البعض، والحد من النزاعات ذات الطابع السياسى والاقتصادى، والعمل على تبادل الأفكار والمفاهيم والمنجزات الحضارية بين الدول ذات الحضارات المختلفة، إن نظرية صدام الحضارات تقف فى وجه التعاون الدولى على المستوى الثقافى، وتقتل آمال الشعوب فى الالتقاء وتبادل المنافع والمعارف، وتفتح جبهة جديدة للصراع لم تكن موجودة من قبل وهى الجبهة الحضارية، وتظل الجبهة القديمة للصراع كما هى موجودة رغم تصور هنتنجتون بزوالها ونقصد بها جبهة

(١) ميلاد حنا، مرجع سابق، ص٥٢-٥٣.

الصراع الأيديولوجى والسياسى. فهو يتصور أن الصدام بين الحضارات سيحل محل الصدام بين الأيديولوجيات، والحقيقة أن الأخير سيستمر لأنه الأصل الأول للصراع الدولى.

وفى الوقت الذى يهدف فيه الحوار بين الحضارات إلى توحيد القيم بين الشعوب تأتى نظرية صدام الحضارات لتضع نهاية حتمية للتقارب الحضارى بين الشعوب، وتغذى اختلاف القيم وصراعها على الحضارات. إن صدام الحضارات سيؤدى بلا شك إلى انتشار القيم المتضادة المؤدية إلى التصادم الفعلى، كما أنها ستؤدى بالتأكيد إلى انتكاسة حضارية كبرى وتخلف حضارى نتيجة للعزلة التى تفرضها هذه النظرية على الحضارات الإنسانية. إنها نظرية تقضى على كل الجهود المبذولة فى سبيل التقاء الحضارات وتفاعلها وتحقيقها لسعادة الإنسان على وجه العموم وليس على وجه الخصوص، إن نظرية هنتنجتون مدمرة للحوار الحضارى ومتشائمة فيما يتعلق بالمستقبل الحضارى للشعوب. ولا يبقى سوى الإسلام كدين يحترم الحضارات الأخرى، ويعترف بقيمتها ويعترف بالتعددية الثقافية والحضارية على أساس من الأخوة الإنسانية والمساواة، وليس على أساس من الصراع والتحدى والهيمنة كما هو الحال فى الحضارة الغربية.

***



# الفصل الثانى

# الموقف الإسلامى من العولمة

**تمهيد**

**أولاً : العولمة مرحلة غربية جديدة من الصراع مع الحضارات.**

**ثانيًا: الموقف الإسلامي من العولمة.**

**ثالثا: العالمية الإسلامية في مواجهة العولمة الغربية :**

- **خصائص العولمة الغربية.**
- **خصائص العالمية في الإسلام.**



## الموقف الإسلامى من العولمة

**تمهيد:**

تمثل العولمة إشكالية مهمة فى الفكر العربى والإسلامى ، فالعولمة مفهوم غربى ابتكره الغرب وحدَّد له مضامينه وهويته ومكوناته الفكرية والاقتصادية ، وهو الذى يقود حركة العولمة ويروِّج لها فى العالم كله .

معنى هذا أن الحضارات الأخرى لم تشترك مع الغرب أو مع الحضارة الغربية فى تطوير مفهوم العولمة ، إنما هو صناعة غربية خالصة ويُراد نشره وتعميمه لكى يكون متحكمًا فى الكون كله ، وذلك بالنظر إلى العالم على أنه مجرد قرية كونية يحيط بها إطار واحد يهدف إلى صياغة عالم واحد من هذه العوالم المتنوعة والمتناقضة فى الهويات والثقافات والديانات واللغات .

وأمام هذا الاتجاه إلى العولمة تحت زعامة الغرب وتوجهاته الأيديولوجية تجد الحضارات والثقافات الأخرى نفسها فى موقف لا تُحسد عليه ؛ إذ عليها أن تتفاعل مع هذا المفهوم الغربى ، وتحقق التداخل مع العالم وتنفتح عليه ، وتتفاعل مع قضاياه ، وفى نفس الوقت تحافظ على هويتها وثقافتها وخصائصها التى يُراد لها أن تختفى من خلال الاندماج القهرى فى العولمة .

وأهم مخاطر العولمة على الحضارات والثقافات غير الغربية أن هذا المفهوم الجديد تم ابتداعه وفق المنظومة الفكرية الاقتصادية الغربية ، وقبول العولمة والاندماج فيها معناه الحقيقى قبول التبعية للغرب الذى يسيطر على المؤسسات الإعلامية السمعية والبصرية ، وعلى وسائل الاتصال والمعلومات وعلى المنظمات الاقتصادية والشركات المتعددة الجنسيات والعابرة للقارات والتى لعبت كلها دوراً فى إنتاج مفهوم العولمة والعمل على انتشاره .

والخطورة الواضحة فى فكرة العولمة أنها تتمركز حول الغرب وحضارته، وقد أفادت تجارب الماضى فى العلاقات الغربية الشرقية أن نزعة التمركز حول الذات هى التى تشكل العقلية الغربية، كما أن الماضى يشير أيضًا إلى تاريخ مُروِّع ومُحبط للحضارة الغربية وللتاريخ الغربى مع تاريخ الشرق وحضارته ، فالغرب كان دائمًا متمركزًا حول نفسه ، وقد أظهر دائمًا وأبدًا سلوكًا استعماريًا تجاه الآخر نتج عنه استغلال الشرق واستعماره، والأخطر من هذا هو أن الغرب حاول الانفراد بالحضارة، وحاول حرمان الآخرين منها ، كما قاوم انبعاث الحضارات الأخرى ومنع تقدمها وعمل على تدميرها بل إن الغرب مسئول مسئولية مباشرة عن أكبر عملية تدمير للحضارات فى العالم ، فالاستعمار الغربى أينما اتجه سعى إلى القضاء على الحضارات والثقافات الوطنية واستبدالها بالحضارة الغربية .

ويشير مفهوم العولمة إلى أن الغرب لا يزال يسير على نفس هذا المنهج التدميرى للثقافات الأخرى ، وأنه لم يغير من أنماط سلوكه تجاه الشعوب الشرقية والجنوبية. وقد ظهرت فى الغرب دعوات واضحة تجاه الشعوب الشرقية والجنوبية. وقد ظهرت فى الغرب دعوات واضحة إلى تدمير الثقافة العالمية وتنصيب الحضارة الغربية كحضارة واحدة ووحيدة للعالم . ومن هذه الدعوات دعوة فوكوياما التى صاغها حول مفهوم نهاية التاريخ الذى تم فيه إبعاد كل الأمم والحضارات الأخرى باعتبار الغرب هو نهاية التاريخ، وكذلك دعوة هنتينجتون التى تدور حول ما يسميه « صدام الحضارات»، وهو دعوة للغرب لكى يدخل فى صراع مع الحضارات الأخرى وبخاصة الحضارة الإسلامية والحضارة الصينية ، وتخلق فى العالم توترًا وانقسامًا حادًا على مستوى الثقافات والحضارات ، وكذلك دعوة البحث عن عدو جديد بعد سقوط الشيوعية فى الاتحاد السوفيتى السابق[1].

هذه الدعوات على اختلاف أشكالها واتجاهاتها تثير مخاوف الفكر العربى الإسلامى من العولمة وما ارتبط بها من دعوات هدامة للعلاقة الجيدة بين الغرب والشرق ، وذلك بالانتصار للحضارة الغربية على الحضارات الأخرى وبالقضاء على الثقافات الوطنية والإقليمية والتبعية العامة للنموذج الثقافى الغربى .

( ) فيصل محمود الغرايبة، دخول العرب إلى القرن الحادي والعشرين، مرجع سابق، ص٥٦ .

**أولاً : العولمة مرحلة غربية جديدة من الصراع مع الحضارات :**

إن العولمة تضع أساسًا لمرحلة جديدة من الصراع بين الحضارة الغربية والحضارات الأخرى ، ومن أهمها الحضارة الإسلامية التى أصبحت هدفًا مباشرًا للعولمة ، فقد اعتبر الإسلام وحضارته العدو الجديد للحضارة الغربية بعد سقوط الشيوعية ، وصدام الحضارات هو فى حقيقة الأمر صدام مع الإسلام وحضارته ؛ فهو يمثل الحضارة الوحيدة القادرة على الصمود فى وجه الحضارة الغربية ، وهى الوحيدة التى تملك الفعالية والقدرة على المقاومة ، ولكن أهل هذه الحضارة لا يؤمنون بمفهوم الصراع والعداء والتحدى ، وغير ذلك من مفاهيم الحضارة الغربية . فالحضارة الإسلامية تؤمن بالتفاعل مع الحضارات الأخرى ، وتأخذ بما هو فى صالح البشرية عمومًا ، ولا تسعى إلى احتكار المنافع الاقتصادية ، ولا تؤمن بالصراع كأساس للعلاقة مع الشعوب والحضارات الأخرى ، ولذلك فالعولمة تمثل تحديًا حقيقيًا للحضارة الإسلامية بانطلاقاتها المختلفة عن إنطلاقات ومبادىء الحضارة الغربية .

ويتأرجح رد الفعل العربى تجاه العولمة بين القبول والرفض[1] . وذلك على الرغم من أن الرفض المطلق لا يعنى شيئًا تجاه ظاهرة عالمية أو كونية مفروضة فرضًا على جميع بلاد العالم ، وبخاصة بلدان العالم الثالث والتى لا تملك قوة الرفض من أساسه . ولكن ككل ظاهرة جديدة عادة ما يظهر لها مؤيدون ومعارضون ، وقد يكون التأييد مبنيًا على أساس علمى نابع من فهم جيد بطبيعة ظاهرة العولمة أو أن يكون مبنيًا على أساس من قاعدة الانبهار العام بكل ما يأتى من الغرب إيمانًا بتقدمه وتخلف عالمنا الثالث .

وأيضًا قد تكون المعارضة علمية مبنية على أساس من فهم علمى لظاهرة العولمة ، أو أن يكون الرفض مبنيًا على أساس من جهل بنظام العولمة وتخلف عام وعدم قدرة على استيعاب المفهوم وآثاره العالمية .

ولا شك فى أن ظاهرة العولمة تحتاج بداية إلى فهم علمى لها ، وتحليل دقيق لآثارها

(١) موسى الضرير ، العولمة ومفهومها : بعض الملامح ، مجلة معلومات دولية ، العدد ٥٨ ، خريف ١٩٩٨م ، ص١٦ .

الإيجابية والسلبية، وضرورة اتخاذ قرار بشأنها لا يتجاهل الظاهرة فيفقد إيجابياتها ولا ينبهر بها هذا الانبهار المؤدى إلى التأثر بالسلبيات والوقوع فيها.

تقف الحضارات الشرقية فى حيرة بشأن العولمة فهى شأن عالمى يؤدى إلى ربط البلاد الشرقية بنظام عالمى مُوحد، وهذا الربط إن لم تتوفر له المؤهلات اللازمة يمكن أن يصبح مجرد تبعية مطلقة للنظام الغربى المسيطر على العولمة والمحرك للنظام العالمى الجديد. والحقيقة أن معظم بلاد العالم الثالث لا تملك مؤهلات الدخول إلى عالم العولمة، ولأنها مضطرة اضطرارًا إلى دخوله فهى ستفقد بالتأكيد حريتها الاقتصادية، وستصبح دولاً تابعة اقتصاديًا للدول العظمى وغير قادرة على الارتفاع بالنظام العالمى الجديد على قدم المساواة مع الدول الغربية.

ولعل أخطر ما فى هذا الأمر أن التبعية الاقتصادية محفوفة بمخاطر ثقافية، فنظام العولمة ليس مجرد نظام اقتصادى عالمى إنما هو حامل لقيم الغرب ومبادئه الأساسية، ويعكس فكر أو ثقافة مغايرة لثقافة شعوب العالم الثالث، وستؤدى معطيات العولمة إلى حدوث اختراق ثقافى عظيم قد ينتهى إلى وقوع تبعية ثقافية مطلقة وبخاصة لأن العولمة تعنى فى النهاية إلغاء الحدود بين الدول والانفتاح على العالم وذوبان المجتمعات فى بعضها البعض. وهذه المعطيات خطيرة بالنسبة لدول العالم الثالث التى لا تملك القدرة على الحياة فى العالم، ومعظمها بلاد لاتزال تبحث عن طرق للتخلص من آثار الاستعمار القديم الذى أنهك قواها، واستنزف مواردها، ونهب ثرواتها، وقتل معنوياتها، وشوه تقاليدها. وفى الوقت الذى تجمع فيه هذه البلاد شملها القومى تفاجأ بنظام يدفعها دفعًا إلى التخلص من صفاتها القومية والتحرر من العزلة والانفتاح على العالم والذوبان فيه.

والذى لا شك فيه هو أن النظام العالمى الجديد ينتصر للشعوب القوية على حساب الشعوب الضعيفة، وواقع دول العالم الثالث يشهد بهذا الانتصار لدول الغرب القوية. وإذا كان نظام العولمة مرتبطًا بالهيمنة الأمريكية، فالملاحظ أن أسلوب الحياة الأمريكية بدأ ينتشر فى العالم من خلال العولمة، فالذوق الأمريكى أخذ يسيطر على كثير من المجتمعات، وعلى المستويات الرسمية والشعبية، وهناك سيطرة وانتشار لأسلوب الحياة الأمريكى فى المأكل والملبس وفى السلع الاستهلاكية ووسائل الإعلان، وغير

ذلك من الأشياء التى تؤكد انتشار نمط الثقافة الأمريكية فى البلدان المختلفة حتى فى البلاد الأوربية ذات الثقافة القوية[1]. وهناك خشية تامة من انتشار السلوكيات وأنماط المعيشة الأمريكية فى المدن الأوربية العتيقة، على الرغم من القرب الثقافى، وكون الثقافة الأمريكية نابعة أساسًا من الثقافة الأوربية، ولا تختلف عنها كثيراً سوى فيما هو ابتكار العقلية الأمريكية الخاصة من أفكار وسلوكيات أصبحت توصف بأنها أمريكية. وإذا كانت أوروبا تقاوم الغزو الثقافى الأمريكى رغم القرابة الثقافية، فإن دول العالم الثالث مدعوة وبكل قوة لكى تحافظ على خصوصيتها الثقافية مع قبول ما هو عالمى وإنسانى حتى لا تعيش فى عزلة تامة عن العالم.

وهناك عدة ردود أفعال غربية تجاه العولمة، ونقول ردود أفعال؛ لأن العولمة صناعة غربية وافدة إلينا، وتحمل فى طياتها أبعادًا اقتصادية سياسية ثقافية اجتماعية، وهى بديل جديد لما تعودنا أن نسميه فى الماضى بالغزو الفكرى أو الثقافى، وهو غزو جديد يتميز عن القديم تميزًا واضحًا من خلال الاقتصاد كوسيلة لتحقيق الهيمنة الغربية فى المجالات السياسية والاجتماعية والثقافية.

وقديمًا كانت السياسة هى وسيلة تحقيق المكاسب الاقتصادية والهيمنة الثقافية والاجتماعية. أما الآن فالاقتصاد هو الذى يؤدى إلى إحداث التغيير السياسى والثقافى والاجتماعى، والعولمة غزو اقتصادى للعالم يقوده الغرب بزعامة أمريكية خالصة، والعولمة انتصار النمط الأمريكى للسيطرة على وسائل الإنتاج، والعولمة إرادة للهيمنة تختفى فى ظلها الخصوصية الثقافية، والعولمة نفى للآخر وعدم الاعتراف بوجوده المستقل والعمل على اندماج هذا الآخر فى النمط الاقتصادى الثقافى الغربى الأمريكى، والعولمة هى احتواء للعالم على المستوى الاقتصادى يؤدى بالضرورة إلى احتواء ثقافى[2].

ورد الفعل الثانى تجاه العولمة يرى فيها نتيجة حتمية للتطور الإنسانى فى ميادين العلم والمعرفة، وهى نظام تبادل شامل وإجمالى بين مختلف أطراف الكون يتحول العالم

(١) محمد الخضير، العولمة والهوية : التهميش يهدد الموروث الثقافي للأمم، مجلة معلومات دولية، العدد ٥٨، ص٩٢-٩٣.

(٢) تشانغ هونغ، رؤية صينية لتطور الثقافة العربية الإسلامية في ظل العولمة، مجلة شئون عربية، العدد ١١٠، صيف ٢٠٠٢م، ص٩٧، ٩٨.

على أساسه إلى محطة تفاعلية للإنسانية بأكملها، ومن أهم تأثيرات العولمة على الإنسانية تأثيرها على الهُوية الوطنية والقومية للأمم، وتهديدها للهُوية الثقافية للشعوب من خلال هذا الغزو للأفكار والقيم والعادات والأخلاق والموروثات[1].

ويرى أصحاب هذا الرأى الثانى أن على الشعوب أن تعالج خطر العولمة الثقافى من خلال قرارات سياسية لحماية الهُوية الثقافية والموروث الثقافى[2].

ولقد لاحظ أصحاب الاتجاه الثانى أنه لايمكن الفصل بين الجانب الاقتصادى للعولمة والجانب الثقافى، فهناك ترابط عضوى بين الجانبين أو بين الجوانب المختلفة لتأثيرات العولمة، وهناك انهيار للحواجز أمام تدفق السلع والمنتجات حسب اتفاقية الجات التى وضعتها منظمة التجارة العالمية، وقد ساعد التقدم التكنولوجى على سرعة نقل الأفكار والمفاهيم المرتبطة بالعولمة من خلال تقنيات علمية مذهلة مثل الإنترنت والأقمار الصناعية ووسائل الإعلام المتقدمة.

نحن إذن أمام اتجاهين متناقضين تجاه العولمة: اتجاه يرى ضرورة التعامل مع الظاهرة والاندماج فيها لأنها ظاهرة غالبة وعالمية وإيجابية، والاتجاه الثانى يعترف بالعولمة كنتيجة حتمية ولكن لها آثار سلبية أهمها الأثر الثقافى ويطالب بتوفير الحماية الثقافية فى مواجهة تيار الثقافة الوافد مع العولمة.

وقد اهتم الاتجاه الثانى بوضع سياسيات للمواجهة تعترف بالحقائق التالية:

أن العولمة نتيجة حتمية للتطور الإنسانى فى الميادين العلمية والمعرفية، وهذا يعنى ضرورة الاعتراف بها وعدم إهمالها والانعزال عنها والانغلاق على الذات والسلبية فى مواجهتها، فهذه السياسة الانغلاقية لا تُجدى أمام ظاهرة عالمية مستمرة بفضل التطور التكنولوجى، ولايمكن الوقوف أمام التحديات التكنولوجية بل يجب التفاعل معها والانفتاح عليها كظاهرة ناتجة عن التطور الإنسانى.

ومع ذلك يصبح من الضرورى تحصين المجتمع ثقافيًا ضد الآثار السلبية للعولمة على المستوى الثقافى والاجتماعى، ولأن العولمة تطور تكنولوجى علمى حتمى فمواجهتها

(١) محمد الخضير، مرجع سابق، ص٩٥-٩٦.
( ) حمدي عبدالرحمن حسن، العولمة وآثارها السياسية في النظام الإقليمي العربي: رؤية عربية، مجلة المستقبل العربي، العدد ٢٥٨، أغسطس ٢٠٠٠م، ص ٢٠-٢١.

لا تتم من خلال تحدى هذا التطور التكنولوجى الحتمى ، ولكن تتم من خلال تقوية البنية الثقافية الوطنية ودعم منظومة القيم والعادات والأخلاقيات الوطنية النابعة من الثقافة العربية، إن مواجهة الآثار السلبية للعولمة تتم من خلال أمرين :

الأول : الانخراط فى العلم الحديث والأخذ بالتكنولوجيا ووسائلها، والانفتاح العلمى على العالم، وتحقيق التحديث والتقدم بكل الوسائل العلمية والتكنولوجية، وفى هذا اتجاه إلى العولمة نتيجة حتمية للتطور الإنسانى فى العلم والمعرفة .

الثانى : المحافظة على الهوية الثقافية وحمايتها من وسائل الاختراق الثقافية الغربية وتنمية هذه الهوية الثقافية لتصبح قادرة على المواجهة بل وقادرة على الهجوم والغزو مستخدمة نفس الوسائل التكنولوجية لحماية نفسها أولاً وللهجوم والمواجهة الثقافية ثانيًا .

ولا يوجد تضاد بين الانفتاح على العولمة كنتيجة علمية حتمية وبين مواجهتها ثقافيًا من خلال حماية القيم العربية والإسلامية .

**ثانيًا : الموقف الإسلامى من العولمة :**

فى ردود فعل صريحة ضد العولمة على الطريقة الأمريكية وحسب الفهم الأمريكى تطور موقفان صريحان أحدهما يأتى من داخل العالم الغربى الرافض للهيمنة الأمريكية، وهو موقف أوربى يتفق فى جانب مع الاتجاه إلى العولمة ، ويختلف فى جانب آخر مع الرغبة الأمريكية فى اكتساح العالم، ويحاول بقوة الدفاع عن الهُوية الأوربية ضد الغزو الثقافى الأمريكى الناتج عن العولمة الأمريكية .

أما الموقف الثانى من العولمة أمريكية كانت أو أوربية، فهو موقف العالم الإسلامى . وهو فى الحقيقة موقف دفاعى لأنه لا يملك الآن القدرة على المقاومة أو المواجهة لسلبيات العولمة بخلاف الموقف الأوربى . فأوربا تملك القدرات والإمكانات الاقتصادية التى تجعلها مستفيدة فى النهاية من العولمة ، كما تملك القدرات التكنولوجية والعلمية التى تجعل منها منافسًا قويًا للعولمة الأمريكية وتجعلها أيضًا بمثابة الشريك لأمريكا فى جنى ثمار العولمة، وتبقى مشكلة أوربا فى جانبها الثقافى، حيث تسعى

أمريكا بل وتعمل على نشر نظام الحياة الأمريكية فى أوربا، وتعمل على طمس الهُوية الأوربية، وهذا دفع الأوربيين إلى ضرورة اتخاذ موقف حاسم وجاد ضد الهيمنة الأمريكية فى هذا الجانب الثقافى. ونعتقد أن أوربا لديها القدرات الثقافية التى تمكنها من مواجهة مخاطر العولمة الأمريكية على المستوى المرتبط بالهُوية والثقافة.

أما بالنسبة للعالم الإسلامى فإن الموقف الإسلامى يعبر فى الحقيقة عن اتجاهين: الأول يشترك فيه العالم الإسلامى مع بلدان العالم الثالث فى موقفها من العولمة، وهذا أمر طبيعى باعتبار أن البلاد الإسلامية جزء من بلاد العالم الثالث حسب المفهوم الغربى لهذا العالم. وهنا يجب أن نستثنى بعض البلاد الشرقية مثل اليابان التى تتوفر لديها قدرات علمية وتكنولوجية تمكنها من مواجهة العولمة بل والاستفادة منها. وتشترك اليابان هنا مع أوربا فى الجزئية المرتبطة بالهُوية والثقافة، وربما بشكل أقوى نظراً لتقارب الثقافة الأمريكية والأوربية وتباعد الثقافتين الأمريكية واليابانية، وهذه الجزئية تشترك فيها اليابان مع بلدان العالم الثالث، فالعولمة الثقافية هى أوربية أمريكية الطابع وتأثيرها فى ثقافات العالم الثالث أقوى من تأثير الثقافة الأمريكية فى الأوربية.

وعلى كل حال يبقى للعالم الإسلامى أن لديه مشروعًا مشابهًا للعولمة فى جانبها الثقافى وإن كان ينقص العالم الإسلامى القوة العلمية والتكنولوجية التى تمكنه من الوقوف فى وجه العولمة على المستوى الاقتصادى والإعلامى. فمن الناحية النظرية يمكننا أن نقارن مفهوم العالمية فى الإسلام بمفهوم العولمة على النظام الأمريكى الأوربى، وبداية نقول: إن فكرة العولمة فكرة جديدة طرحها الأمريكيون وسعوا إلى تحقيقها خلال العقدين الأخيرين، ولكنها فكرة قديمة لها أصولها فى التاريخ الإنسانى، وهى من حيث تحقيق السيادة السياسية والعسكرية والاقتصادية لشعب معين على حساب شعوب أخرى فهى لا تخرج بهذا الشكل عن إطار الفكر الاستعمارى قديمًا وحديثًا، حيث أضاف الغزو الثقافى إلى الغزو السياسى العسكرى الاقتصادى. وقد حدث مثل هذا الوضع مع الغزو اليونانى القديم للشرق القديم حين اعتبر الغزو الثقافى اليونانى جزءًا لا يتجزأ من غزو الشرق، وبالفعل تم فرض الثقافة الهللينستية على شعوب الشرق، وكان تأثيرها قويًا حتى بعد زوال ملك الإسكندر الأكبر السياسى والعسكرى والاقتصادى. ولاشك فى أن حركة الاستعمار الأوربى الحديث للشرق

وبلاده قد اهتمت بالغزو الثقافى الغربى بشعوب الشرق وفرضت نظم الحضارة الغربية وأسلوب الحياة الغربى على الشرق وشعوبه .

فالعولمة إذن لا تختلف فى شىء عن الاستعمار القديم والحديث حين اهتم بالثقافة واعتبرها إحدى مجالات الهيمنة . ولعل الفارق هنا بين العولمة الحديثة بمفهومها الأمريكى الأوربى وبين الاستعمار القديم والحديث المهتم بالسيادة الثقافية يظهر فى الخط الاستراتيجى المختلف بينهما ، كما يظهر فى الأسلوب وفى الأدوات والوسائل .

فالاستعمار اعتمد على القوة العسكرية فى اقتحام بلدان الشرق وأفريقيا ، وذلك لتحقيق السيادة والمكاسب الاقتصادية والغزو الثقافى وما ينتج عنه من هيمنة ثقافية وحضارية .

أما نظام العولمة الأمريكى الأوربى فهو لا يعتمد على القوة العسكرية فى المقام الأول ، والقوة العسكرية عنده لها استخدامات تفيد فى تكريس النظام العالمى الجديد . ولكن العولمة ليست مشروعًا عسكريًا فى المقام الأول . فالعولمة مشروع لاكتساح العالم بدون جيش وبدون قوة عسكرية وبدون أسلحة . العولمة مشروع اقتصادى يفرض نظام السوق وهو النظام الاقتصادى الغربى ، بقوة النظام وليس بقوة الجيش والعسكرية ، وبقوة العلم والتقدم التكنولوجى وليس بالقوة السياسية العسكرية . لقد توارت القوة العسكرية لتخلى الطريق للقوة الاقتصادية لكى تكتسح العالم بدون إسالة قطرة دم واحدة .

### ثالثا : العالمية الإسلامية فى مواجهة العولمة الغربية :

يملك العالم الإسلامى مشروعًا ثقافيًا يقابل المشروع الثقافى للعولمة . ولذلك نتناول فى الصفحات التالية مقارنة هذين المشروعين لتوضيح طبيعة كل منهما والأهداف الخاصة بكل مشروع ، وتوضيح وجوه الاختلاف بين المشروعين ، ووجوه النقص فى المشروع الإسلامى فى الوقت الحالى وأسباب نجاح العولمة ، وتخلف العالمية الإسلامية فى العصر الحديث .

لاشك أن بين نظرية العالمية ( فى الإسلام ) والعولمة الغربية بعض نقاط التشابه وكثيرًا من وجوه الاختلاف . ولعل وجه التشابه الأول هو وجود هذا التوجه إلى العالم

فى كل من العالمية الإسلامية والعولمة الغربية فكلاهما دعوتان تستهدفان العالم ككل ولديهما مشروع موجَّه إلى العالم كله .

وفيما عدا هذا الهدف المشترك فى إطار الشكلى الخارجى لا يوجد تقارب بين عالمية الإسلام والعولمة الغربية ، بل يمكن وصفها بأنهما يقفان على طرفى النقيض ولا يتقابلان .

ووجوه الاختلاف كثيرة بين عالمية الإسلام وعولمة الغرب ، فعلى مستوى الطبيعة نجد أنه فى الوقت الذى يرى فيه الإسلام إمكانية تحقيق وحدة عالمية على مستوى الدين والثقافة والفكر لا يفرق فيها بين إنسان وإنسان ، أو بين جماعة وجماعة ، أو بين شعب وشعب ؛ تطالب العولمة الغربية بوحدة كونية أو عالمية تحت سيادة الغرب ، ويطالب الأمريكيون بها تحت سيادة الولايات المتحدة الأمريكية . فالعولمة نظرية أو نظام تسعى إلى احتواء العالم بالتخلص من عناصره القومية أو الأممية ، وتوحيد هذا العالم تحت السيادة الثقافية للغرب عمومًا ، أو لأمريكا على وجه الخصوص ، والغريب فى هذا الأمر أنه ليس توحيدًا للعالم على مستوى الإنسانية بما تقتضيه من أخوة ومساواة وعدالة وحب ، ولكنه توحيد القوة باستخدام الاقتصاد ونظام السوق كوسيلة إجبارية للتوحيد ، ولذلك فهو توحيد يتصف بالإجبارية من ناحية وبالمادية من ناحية أخرى .

**أ - خصائص العولمة :**

**١ - صفة الإجبارية :**

أما صفة الإجبارية فتتضح فى أن شعوب العالم الثالث ليس أمامها أى اختيار فى مسألة العولمة فهى عملية مفروضة فرضًا عليها ، وذلك لاتخاذ العولمة الشكل الاقتصادى وارتباطها بقوانين اقتصادية لها طابع العالمية ومرتبطة بالتقدم الصناعى والتكنولوجى وبالتقدم فى وسائل الاتصال والإعلام ، وارتباطها من الناحية الاقتصادية بقانون الجات المنظم للتجارة العالمية . ولا تملك دول العالم الثالث حق الاختيار أو الرفض داخل دائرة هذه المنظومة الاقتصادية العالمية ، وتتضح صفة الإجبارية أيضًا فى أن على دول العالم الثالث أن تأخذ بهذا النظام وحده دون غيره ولا تستطيع أن تطور لنفسها قوانينها الاقتصادية أو نظامها الاقتصادى المستقل ، بل هى مربوطة بالنظام الذى

هو من صنع الغرب وتطور طبيعى لتقدم الغرب اقتصاديًا، والغرب هو المسيطر على آليات السوق وأدواته وتكنولوجياته والشرق ما هو إلا سوق كبير للاقتصاد الغربى، ولا يملك من الآليات والأدوات والتكنولوجيا ما يمكنه من التعامل مع الغرب معاملة الند للند.

وفى مثل هذا التوحيد الإجبارى المفروض لا يمكن أن تتحقق أدنى الحقوق للطرف الثانى التابع، فالفائدة الاقتصادية تذهب إلى الغرب ويتحول الشرق نفسه إلى سوق يتلقى المنتج الغربى ويستهلكه فقط دون أن يكون قادرًا على تصنيعه بسبب الفقر التكنولوجى والتخلف العلمى[1].

وهذا التوحيد للعالم فى ظل نظام السوق تختفى فيه كل عوامل التقريب بين بلاد العالم ويصبح التوحيد هو توحيد الهيمنة وليس التوحيد المحقق لمصالح الشعوب. وتنتج عن هذا التوحيد الإجبارى لشعوب العالم نفس النتائج التى حدثت مع حركة الاستعمار العالمى حيث أحكم الغرب هيمنته على الشرق، وتحققت المصالح الغربية على حساب مصالح الشعوب الشرقية، ونتج عن هذا التوحيد الإجبارى التبعية المطلقة للغرب. هذا النوع من التوحيد الذى أتت به العولمة مولد للصراع بين الشعوب، ولا يمكن أن يؤدى إلى الوفاق بينها. ولهذا السبب كثر الحديث فى الغرب عن صدام الحضارات وصراع الأديان والثقافات بدلاً من الحديث عن إمكانية اتفاقها والحوار بينها، ومثل هذا التوحيد الإجبارى الناتج عن العولمة يولد العداء بين الشعوب لأنه توحيد قهرى يجعل من يملك القوة الاقتصادية والتكنولوجية يهيمن على من لا يملكها، وهذا وضع لن تقبله الشعوب الشرقية التى ستنظر إلى الغرب على أنه العدو التقليدى الذى لم يتغير إلا فى أدواته ووسائله وأنه هو نفسه الاستعمار القديم مرتديًا رداء العولمة. هذا التوحيد الإجبارى مولد للظلم ومضيع للعدالة على المستوى الدولى حيث تتحول دول العالم إلى دول مسيطرة ومهيمنة ودول ضعيفة وتابعة. وهو نفس الحال الذى كان عليه الوضع فى الفترة الاستعمارية، فالعولمة أداة غربية جديدة لفرض السيادة الغربية على العالم.

---

(١) تشانج هونج، مرجع سابق، ص٩٧.

٢- صفة المادية :

الصفة الثانية التى يتصف بها توحيد العالم على يد نظام العولمة هى صفة المادية ، وقد وصفنا الصفة الأولى بأنها صفة الإجبارية ، أو توحيد العالم بفعل القوة الاقتصادية للغرب والتى لا يملك العالم الثالث أمامها أى خيار .

إن مدخل العولمة لتوحيد العالم مدخل مادى لا يقوم على أسس إنسانية أو روحية أو حضارية . لقد اعتمدت العولمة على المدخل المادى الاقتصادى كوسيلة للهيمنة على العالم وفرض مقولة الوحدة عليه . وهذا بخلاف فكرة توحيد العالم التى نادت بها العالمية الإسلامية حيث كانت ولا تزال نقطة انطلاقها توحيد الإنسان على مستوى الإنسانية، وعلى مستوى الدين والحضارة، وفى القرآن الكريم نقرأ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات : ١٣] . . وهناك عدة أخطاء أو مخاطر فى هذا المدخل المادى الذى اعتمدت عليه العولمة فى توحيد العالم . ويكمن الخطر الأول فى اعتبار المادة الأساس الأول والمهم فى إقامة العلاقات بين الشعوب وبالتالى فى توحيد هذه الشعوب والتقريب بينها ، والمدخل المادى مدخل لا يحقق العدالة للجميع لأنه مدخل مرتبط بمن يملك القدرة المادية والتكنولوجية وهو الغرب ، وبالتالى فهو مدخل يحقق السيادة للغرب على الشرق ويحول الشرق إلى سوق للغرب وبذلك فهو من الناحية الاقتصادية لا يحقق أدنى درجات العدالة الاقتصادية . فهو تقسيم شعوب العالم إلى شعوب غنية وشعوب فقيرة ، ولا يضمن توازنًا اقتصاديًا بين دول العالم ، بل ويحول العالم إلى دول تأخذ وتحتكر ، ودول يقع عليها الاستغلال والاحتكار الاقتصادى . وتتم ترجمة البعد الإنسانى فى هذا المدخل المادى إلى قيام الدول الغنية بإعطاء المنح والعطايا والتبرعات للدول الفقيرة وفى بعض الحالات منح القروض ذات الفوائد الميسرة ، وبمعنى آخر تحول العالم إلى دول غنية دائنة ودول فقيرة مدينة[1] .

أما الخطر الثانى فيتمثل فى أن غياب البعد الإنسانى فى العولمة والانطلاق فى العلاقات بين الشعوب من نقطة انطلاق مادية اقتصادية تحول العالم إلى بؤرة للصراع

( ) تشانج هونج ، مرجع سابق ، ص٩٧ .

الاقتصادى والحرب السياسية العسكرية. ومع اختفاء الاتحاد السوفيتى كقوة اقتصادية، وانفراد الغرب بالمقدرات الاقتصادية للعالم، وعدم وجود توازن اقتصادى حقيقى بين الغرب والشرق، سيتحول العالم إلى حلبة صراع اقتصادى يسيطر فيها النظام الرأسمالى الغربى فى أبشع صوره على الاقتصاد العالمى. وكل هذا يحدث فى ظل غياب قوة الدولة وظهور الشركات المتعددة الجنسيات، وانحسار القوة الإقليمية الأمر الذى يؤدى إلى تكديس الثروة فى يد الغرب، وزيادة الفقر فى البلاد الشرقية، وبالتأكيد عودة الصراع الاقتصادى فى كل أشكاله، وفى حدة لم يبلغها هذا الصراع من قبل. فهناك صراع سينشأ من أجل تحقيق التوازن الاقتصادى بين الغرب والشرق وصراع سينشأ لمقاومة هيمنة دول على دول اقتصاديًا، وصراع آخر سينشأ بين الشركات المتعددة الجنسيات والدول غربية كانت أو شرقية، وسينجم عن هذا صراع سياسى تحاول فيه الدول أن تحافظ على كيانها فى ظل هذا الاتساع لسيادة الشركات المتعددة الجنسيات والتى تجاوزت قوتها قوة الدول صاحبة السيادة والتى أدت وستؤدى إلى ضياع الصفة السياسية المستقلة للدول وبخاصة دول العالم الثالث. وسينشأ صراع بين دول منتجة ودول مستهلكة، وبين دول تملك التكنولوجيا، ودول محرومة من التكنولوجيا المتقدمة ولأسباب مقصودة، حتى تظل هذه القسمة إلى دول منتجة، وأخرى مستهلكة مستمرة.

أما الخطر الثالث لهذا المدخل المادى الاقتصادى فى توحيدها العالم فيظهر فى عودة نظام الاحتكار والاستغلال الاقتصادى[1]. وفى صورة أكثر بشاعة عما كان من قبل. وتبدأ المسألة باحتكار التكنولوجيا المتقدمة وحرمان الشعوب الشرقية منها وانطلاق الشركات الاستثمارية الكبرى للاستثمار فى بلدان العالم الثالث. وإذا كان الاستعمار قديمًا قد أخذ شكل الشركة الاستثمارية مثل شركة الهند الشرقية فإن الاستعمار الجديد يعتمد اعتمادًا كليًا على الشركات الاستثمارية الكبرى المتعددة الجنسيات، وإذا كانت الدول المستعمرة قديمًا عرفت عدوها ممثلاً فى بلد استعمارى معين، وقاومته بالوسائل المعروفة فإن المستعمر الجديد شركة عابرة للقارات متعددة الجنسيات تملك قوة اقتصادية

(١) محمود شومان، التحليل الثقافي الحضاري لإدارة مجلس الأمن للأزمة الليبية الغربية، مجلة مستقبل العالم الإسلامي، العدد ٩، عام ١٩٩٣م، ص٩-١٠.

ومادية تفوق ميزانية عشرات الدول، وتعمل من خلال قانون أو نظام السوق وفى ظل العولمة وقانون الجات. وكل هذه أمور ستجعل من الصعب فى المستقبل التخلص من هيمنة هذه الشركات وستصبح الدول الصغرى والفقيرة من أملاك شركات الاستثمار المتعددة الجنسيات، وتقع تحت سيادتها، وذلك بدون معارك عسكرية أو أزمات سياسية. إنه الاستعمار الجديد القادم مع العولمة.

**٣- صفة الهيمنة:**

الصفة الثالثة التى تتصف بها العولمة على النظام الغربى هى صفة الهيمنة، وقد ذكرنا جانبًا منها فى صفة الإجبارية المرتبطة بفرض نظام السوق على العالم بكامله والذى يحقق للغرب هيمنة اقتصادية على الشرق. ولهذه الهيمنة جانب آخر أشد خطورة من الجانب الاقتصادى، ألا وهو الهيمنة الثقافية الناتجة عن الهيمنة الاقتصادية، فالعولمة مرتبطة بالثقافة وتهدف إلى تغريب العالم الشرقى وربطه بالنظام الثقافى الغربى من خلال عمليات الغزو الفكرى المنظمة والمتزامنة مع الغزو الاقتصادى.

وهنا تظهر عدة معالم بارزة للعولمة الثقافية الناتجة عن العولمة الاقتصادية:

١- أن فرض نظام السوق يأتى بمتغيرات ثقافية ضرورية، ويحتم أن تغير بلدان العالم الثالث من نظمها التعليمية والتربوية، وتعدل من برامجها الثقافية، بما يسمح بتأهيل إنسانها لعصر العولمة، وخلق إنسان يستطيع أن يتعامل فى القرن الحادى والعشرين مع معطيات العولمة[١].

٢- أن كثيرًا من الشركات الاستثمارية المتعددة الجنسيات والعابرة للقارات تحمل معها أينما ذهبت واستثمرت قيمًا ومبادىء مرتبطة بنظم الحياة الغربية وهى تفرض نمطها الثقافى الغربى على المتعاملين معها، وتؤدى إلى تغيير عاداتهم وتقاليدهم وسلوكياتهم فى هدوء، والأخذ بالقيم والعادات والغربية بدون إجبار أو فرض. وهذا هو وجه الخطر فالمستعمر قديمًا حينما فرض قيم الحضارة الغربية بالقوة تمت مواجهته على أنه مستعمر يقوم بعمليات غزو فكرى وثقافى، أما العولمة فهى تحدث التغيير فى القيم والمبادىء بدون استخدام القوة ولكن من خلال المنتج نفسه[٢].

(١) محمد الخضر، مرجع سابق، ص٩٠.
(٢) المرجع السابق، ص٩٠.

ويمكن أن نضرب مثالاً واضحًا على هذا من خلال مجموعة شركات المطاعم الأمريكية التى انتشرت فى العالم الشرقى من خلال عمليات الاستثمار ونظام السوق. فقد تمكنت هذه الشركات الأمريكية من تغيير القيم الشرقية المرتبطة بالطعام والشراب أو ما يمكن أن نسميه بآداب الطعام. فقد علمت الإنسان الشرقى نظام الأكل السريع وذلك من خلال الوجبات السريعة التى لا تحتاج إلى الاجتماع مع غيره لتناول الطعام، وأصبح كل إنسان يأكل بمفرده، وأصبحت الأسرة لا تجتمع على مائدة لتأكل معًا الأمر الذى أدى إلى تفكك الأسرة، وتقليل فرص التقاء الآباء والأبناء على مائدة الطعام. وأصبح الأبناء يفضلون الآن وجبات هذه المطاعم على الوجبة المنزلية الصحية من ناحية والجامعة للأسرة من ناحية أخرى. وقد أدى هذا الوضع إلى إهمال كثير من الأسر لإعداد الطعام لأبناء الأسرة والاعتماد على الوجبات الجاهزة التى يطلبونها بالتليفون، وتأثير هذا على قيم الأسرة وعاداتها خطير ، فقد أدى هذا إلى عدم الاهتمام بإعداد الطعام وعدم تعلم الأبناء والبنات على وجه الخصوص لكيفية إعداد الطعام فى المنزل، ونشأة صراعات حول نوع الطعام المطلوب، وذلك لتعدد المطاعم الجاهزة واختلاف أطعمتها. وقد يقوم كل فرد فى الأسرة بطلب الطعام الذى يعجبه وبمفرده ويأكله أيضًا بمفرده، ويلاحظ أن الأبناء الآن يأكلون معظم وجباتهم فى الشارع ولا يحتاجون إلى الاجتماع معًا للأكل معًا على مائدة واحدة . ونحن لا نتحدث هنا عن المآخذ الصحية على مثل هذا السلوك المرتبط بالطعام على خطورته ولكن نركز على الآثار الاجتماعية الناتجة عن هذا الانتشار للمطاعم الاستثمارية التى تقدم الوجبات الجاهزة والتى ينتج عنها تغيير كبير فى عادات وتقاليد الطعام وآدابه ، وتغيير خطير فى نظام الأسرة أدى إلى تفكك أسرى واضح واستبدال آداب الطعام الشرقية بآداب غربية. ومن ناحية أخرى تثير هذه المطاعم الاستثمارية الحقد الاجتماعى بين أفراد المجتمع الواحد؛ فأسعارها ليست فى متناول الجميع، وأصبحت تمثل عبئًا إضافيًا على رب الأسرة يؤدى إلى استهلاك أكثر وبدون فائدة صحية حقيقية. هذا مثل بسيط على تأثير شريحة واحدة من الشركات الاستثمارية المتعددة الجنسيات والعابرة للقارات على نظم المجتمعات الشرقية وتقاليدها وعاداتها فى مجال الطعام والشراب، وهناك أمثلة أخرى عديدة وأقوى على هذا التغيير الناتج عن العولمة فى المجال الثقافى.

### ب- خصائص العالمية فى الإسلام :

هذه المواقف المرتبطة بالعولمة تجعلنا نطرح العالمية الإسلامية كبديل منافس للعولمة فى المجال الثقافى، ويجب أن نعترف بالقصور الإسلامى الحالى فى مجال الاقتصاد، والتذكير بنجاح النظام الإسلامى قديمًا فى تقديم مشروع اقتصادى للعالم قام على أسس عادلة من المساواة، وتجنب كل مساوئ النظم الاقتصادية التى ارتبطت بها أوربا مثل النظام الإقطاعى قديمًا، والنظام الرأسمالى والنظام الشيوعى الاشتراكى حديثًا، وأخيرًا النظام الاقتصادى المرتبط بالعولمة وهو يمثل الرأسمالية الغربية فى قمة توحشها من حيث ارتباطها الشديد بالمادة ونتائجها النهائية المؤدية إلى أشد أنواع الصراع الاقتصادى بين الأمم، وكذلك وجهها الاحتكارى المانع من انتشار التكنولوجيا المتقدمة ومنع وصولها إلى بلدان العالم الثالث حتى تظل الهيمنة الاقتصادية دائمًا وأبدًا للغرب، ويظل الشرق متخلفًا وتابعًا للنظام الاقتصادى الغربى.

وبداية نقول: إن العالمية فى الإسلام نظام شامل وموقف إسلامى تجاه العالم ينطلق أساسًا من الإيمان بوحدة الدين، ووحدة الإله، ووحدة العالم، ووحدة الإنسان، وفى مقابل هذا نجد العولمة لا تنطلق من وحدة دينية أو أخلاقية ولا علاقة لها بالدين كما أنها لا تنطلق من رؤية شمولية للعالم، بل هى تقسم العالم إلى غرب وشرق، وتضع الغرب فى مواجهة الشرق، والأنا فى مواجهة الآخر، وتنشد البقاء للأصلح، وتتحدث عن رسالة الرجل الأبيض، أو ما يسمى أحيانًا بعبء الرجل الأبيض، وتنزع إلى الصراع والتحدى، وتقول بصدام الحضارات وصراعها، وتحكم للغرب بالأفضلية على الشرق. وكذلك العولمة لا تتعامل مع الإنسان كإنسان يمثل وحدة إنسانية واحدة فى مقابل عوالم أخرى، ولكنها تأثرًا بمبدأ قسمة العالم إلى شرق وغرب، فقد ميزت بين إنسان الحضارة الغربية وإنسان الحضارة الشرقية، واعتبرت الأول نموذجًا للثانى، ومن ثم فهى تسعى إلى فرض هذا النموذج على العالم[1].

والعولمة فى هذا ما هى إلا امتداد للفكر الاستعمارى الغربى الذى اعتبر الغربى صاحب مشروع حضارى يستهدف العالم من أجل إخضاعه سياسيًا وعسكريًا

( ) محمود سعد أبو عامود، الاستجابة العربية الإسلامية المطلوبة للتحدي الحضاري الغربي، مجلة مستقبل العالم الإسلامي، العدد ٩، عام ١٩٩٣م، ص١٢٣.

واقتصاديًا واجتماعيًا وثقافيًا، ولا يمنع أن يكون لهذا المشروع الحضارى الغربى جانب دينى تبشيرى رغم سيادة العلمانية وسيادة الخطاب اللادينى للعولمة والوقوف عند حدود الخطاب الثقافى الناتج عن المعطيات الاقتصادية للعولمة .

إن العالمية التى ارتبطت بالدين الإسلامى وحضارته تختلف تمامًا عن العولمة فى عدة أمور :

**١- ارتباط العالمية بالدين والأخلاق وقيم العدالة والمساواة:**

ارتباط العالمية فى الإسلام بالدين وحضارته الأمر الذى جعل العالمية تسير وفق ضوابط دينية وأخلاقية فالعالمية مستمدة أصلاً من وحدة الدين أى من كون دين البشرية واحدًا من البداية، وهو التوحيد الذى منه تنبثق العالمية، فالتوحيد يعنى الاعتراف بإله واحد خالق للعالم وللإنسان، وأنه إله للعالم وللبشرية وأمامه يتساوى كل الخلق ، ويتوحد كل الكون وتصبح الإنسانية أخوة فكل الخلق مردود إلى آدم وحواء، والكل يشترك فى أبوة آدم وأمومة حواء وذلك بصرف النظر عن اختلاف الأديان والأجناس، والألوان والعادات، والتقاليد والأعراف الاجتماعية . وتعنى الأخوة الإنسانية عدم التفرقة بين الشرق والغرب، أو بين الشمال والجنوب، وأن الإنسان فى كل مكان هو أخ للإنسان، وأن تباعد الأمكنة والأزمنة ليس مبررًا للفرقة والعزلة المؤدية إلى الشعور بالتميز والأفضلية والتعصب للقوم والجنس أو غير ذلك من الأسباب المؤدية إلى عزلة البشر عن بعضهم البعض.

وتعطى إحدى الآيات القرآنية شرحًا وافيًا لهذا الموقف الإسلامى من البشرية وتقول الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات : ١٣]. وهناك أيضًا الآية التى تقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء : ١] . ويلاحظ أن الآيات هنا تخاطب الناس جميعًا ولا تخاطب المسلمين منهم فقط ، وتؤكد الآيتان على حقيقة بيولوجية لوحدة الإنسانية وهى عودة كل الشعوب إلى أب واحد، وأم واحدة وأن الجميع مخلوقون من نفس واحدة وأن، هناك صلات رحم تربط شعوب الأرض لانتسابهم جميعًا إلى آدم عليه السلام .

إن العالمية فى الإسلام مفهوم يستقى أصوله من كون العالم مخلوقًا للإله الواحد، والإنسانية فى الإسلام مستمدة من كون البشر يعودون إلى أب واحد هو آدم وأم واحدة هى حواء، وأن هناك صلة رحم تربط البشر ببعضهم البعض. وقد تفرق البشر فى الأرض فى شكل شعوب وقبائل تسعى إلى التعارف على بعضها البعض، وإعادة صلة الرحم المفقودة بفعل اختلاف الأمكنة والأزمنة. وهم فى أخوتهم هذه لا يتميز أحد على أحد، ولا يفخر قوم على قوم من خلال عناصر الاختلاف التى خلقتها الأمكنة والأزمنة، فليس هناك من هو أفضل من الآخر على مستوى الجنس أو اللون أو اللغة، فالكل يعود إلى أصل واحد، والأفضلية الوحيدة لا علاقة لها بالجنس واللون واللغة، أى لا علاقة لها بوجوه الاختلاف بين البشر. إنما الأفضلية تتقرر من خلال العلاقة بالله، فمن علاقته بالله أفضل يصبح هو المُفَضَّل والمكَرَّم: " إن أكرمكم عند الله أتقاكم " فالأفضلية للتقوى، والتقوى هنا مفهوم عام لم يتم ربطه بأى من الأديان، إنما هو يدل على العنصر المشترك بين كل الأديان، وهو خشية الله وإعلان الطاعة له، والطاعة هى جوهر الدين فى كل مكان وزمان والأكرم هو الأتقى، وليس الأبيض أو الأسود، أو الآرى أو السامى، أو غير ذلك من عناصر الاختلاف بين البشر.

**٢- العالمية وقيمة التعاون الإنسانى:**

والعالمية فى الإسلام تحتم التعارف والتعاون بين بنى البشر، فالأخوة فى الإنسانية تعد أكبر دافع إلى التعارف والتعاون، ويربط القرآن الكريم التعارف بالاشتراك فى الأصل الواحد، وللتغلب على التباعد الذى أتى به التاريخ حين توزع البشر إلى شعوب وقبائل لا تعرف بعضها البعض رغم اشتراكها فى الأصل الواحد ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣].

أما التعاون فهو ضرورة إسلامية أخرى يطالب بها الإسلام البشر على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وألوانهم. ويحدد التعاون فى أنه تعاون على البر والتقوى أى خشية الله حتى تضمن ألا يتحرف التعاون إلى مجالات يتحقق فيها الظلم والعدوان من الإنسان على الإنسان الآخر، وفى هذا ينص القرآن الكريم ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة: ٢].

ومثل هذا التعارف والتعاون العالمى يحققان للإنسان الأمان والاستقرار والتمكن من أداء الرسالة المكلف بها وهى إعمار الأرض بكونه خليفة لله فى الأرض يعمل على إعمارها وإصلاحها. ويتضح هذا الهدف فى حوار الملائكة مع الرب فى الآية القرآنية: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

وتربط هذه الآية خلافة الإنسان فى الأرض وإعمارها وإصلاحها بالعالم والمعرفة التى سيكتسبها الإنسان ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣١-٣٢].

وهكذا تنطلق العالمية فى الإسلام من وحدة الدين إلى وحدة العالم ووحدة الإنسان الدافعة كلها إلى ضرورة التعارف على أساس من التقوى والتعاون على أساس من البر والتقوى، ورفض الإثم والعدوان بين أبناء البشر والأخوة العائدين إلى أصل واحد، وجعل رسالة الإنسان تعمير الأرض وإقرار السلام والأمن فيها ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٣ـ٤].. فهذا الأساس القوى للأخوة الإنسانية يحقق للإنسان فى كل مكان الأمن على طعامه وحياته ويضمن له الأمان والاستقرار، أما وسيلته فى إعمار الأرض وتحقيق الخلافة فيها فهو العلم والمعرفة.

هذا الفهم الإسلامى للعالمية يحقق للعالم الأخوة والعدالة والأمن والاستقرار والتقدم من خلال العلم، وهو دافع إلى التعارف فى ظل التعددية ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: ١٣]، وفى حماية التقوى، كما أنه دافع إلى التعاون فيما فيه صالح البشرية ودفع كل ما يضر البشرية، وبخاصة من خلال عدم التعاون على الإثم والعدوان.

وفى مقابل هذا المنظور الإسلامى للعالمية يأتى العولمة بسلبياتها التى ذكرناها سابقًا فتؤدى أولاً إلى إحداث مزيد من الفوضى وعدم الاستقرار على صعيد البشرية، ومن أهم الآثار السلبية للعولمة على العالم تعميق الفجوة بين الشرق والغرب وبين الشمال والجنوب.

إن العولمة ستؤدى إلى زيادة الفجوة بين الشمال والجنوب اتساعًا، وعمقًا لأن الدول الصناعية المتقدمة والشركات المتعددة الجنسيات تتحكم فى مسارات عملية العولمة، وهى الأقدر على حصد إيجابيات العولمة وتجنب سلبياتها، وهذا يعنى أن الدول غير المتقدمة فى العالم الثالث هى التى ستجنى سلبيات العولمة، كما أن الدول العالم الثالث ليست لديها القدرة حاليًا على استيعاب معطيات عصر العولمة بسبب التخلف العلمى والتكنولوجى وحدة المشكلات الاقتصادية، ودعمها باعتبارها مدخلاً رئيسيًا لتدعيم القدرات على التكيف مع عصر العولمة، بينما ستعانى دول الجنوب من عدم قدرتها على التكتل بسبب ضعف بنيتها الاقتصادية وقلة خبراتها، وهشاشة مؤسساتها وهياكلها الاقتصادية بالإضافة إلى النزاعات السياسية التى تحول دون تحقيق التكامل الاقتصادى بين هذه الدول، ويؤدى هذا الوضع إلى تهديد الأمن والاستقرار داخل هذه الدول وعلى الصعيد العالمى. ولا يتوفر لدى دول الشمال الاستعداد لمساعدة دول الجنوب فى التخلص من مشاكلها وإجراء التغييرات المطلوبة للدخول فى عصر العولمة، وستزداد دول الشمال ثراءً وقوة اقتصادية فى الوقت الذى سيزداد فيه الفقر والتخلف فى دول الجنوب.

***

# الفصل الثالث

# الموقف العربى من شرق أوسطية

## الموقف العربى من الشرق أوسطية

إن الشرق أوسطية باختصار ليست مشروعًا عربيًا، ولم تطرحه دولة أو جهة أو مؤسسة عربية بل هو مشروع مفروض على المنطقة من خارجها ولمصلحة إسرائيل فقط. إن الشرق أوسطية لا تمثل مصالح المنطقة العربية، فهى مجرد قناة من قنوات النظام الدولى الجديد، وهى بديل غربى إسرائيلى للنظام الإقليمى العربى، وهى بهذا مشروع استعمارى جديد مهدد للهوية العربية القومية والاقتصادية ومهدد للوحدة العربية وبخاصة فى المجال الاقتصادى، وسيؤدى إلى وضع نهاية لكل المؤسسات العربية التى تربط العرب سياسيًا واقتصاديًا وثقافيًا.

تعتبر الشرق أوسطية قناة العولمة فى المنطقة العربية، وتلعب إسرائيل من خلال مشروع الشرق أوسطية نفس الدور الذى تلعبه الولايات المتحدة الأمريكية فى مشروع العولمة، فالمشروعان يحملان معنى الإخضاع والسيطرة والهيمنة، فهدف الولايات المتحدة الأمريكية من العولمة إخضاع العالم لنظام دولى جديد تسيطر عليه أمريكا، وهدف إسرائيل إخضاع العالم العربى لنظام اقتصادى ثقافى جديد تحقق من خلاله سيطرتها على المنطقة فى عصر السلام.

إن الشرق أوسطية كما عرضها شمعون بيريز فى «الشرق الأوسط الجديد» ونيتنياهو فى مكان «تحت الشمس» ليس إلا عملية إدخال لإقليم الشرق الأوسط فى إطار العولمة الجديدة من خلال إسرائيل كمركز أو محور للسوق الشرق أوسطية، إن الشرق أوسطية مشروع إقليمى يتمحور حول مركز وسيط هو إسرائيل، وهو مركز يرتبط استراتيجيًا بالمراكز الرأسمالية المهيمنة على النطاق العالمى، والهدف خلق تجمعات إقليمية جديدة مرتبطة بالمراكز الرأسمالية العالمية من خلال مراكز وسيطة.

وتلعب إسرائيل من خلال الشرق أوسطية دور المركز الوسيط بين الشرق أوسطية والعولمة ، وإسرائيل مهيأة لكى تلعب هذا الدور بسبب اندماجها الفعلى فى العولمة الجديدة حيث تسيطر الاحتكارات الرأسمالية الأجنبية على الصناعات الأساسية فى إسرائيل، وتشكل ٧٥٪ من الاستثمارات فيها، ويشكل رأس المال الأمريكى ٧٠٪من الاستثمارات الخارجية ، كما تسيطر الشركات الأمريكية المتعددة الجنسيات على الصناعات الأساسية فى إسرائيل مثل صناعة الإلكترونيات وصناعة السيارات ومعدات السفن والصناعات الدوائية والصناعات المعدنية(١) .

ولا شك أيضًا فى أن البنية الاقتصادية الإسرائيلية تتناسب مع هذا الدور فى الوقت الذى لا تتلاءم فيه البنية الاقتصادية العربية مع العولمة ، بل هى ليست فى مصلحة الدول العربية ، كما أن عملية إعادة بناء الاقتصاد فى الدول العربية من خلال الخصخصة وإنهاء دور القطاع العام، ورفع أنظمة الحماية هى فى النهاية لمصلحة الرأسمال الأجنبى بسبب ضعف ومحدودية الرأسمال العربى ، وضعف بل وغياب مشروعات التكامل الاقتصادى العربى ، والقطاع الوحيد المندمج فى نظام العولمة هو قطاع البترول فى الدول المنتجة للبترول ، وهو بلا شك قطاع تسيطر عليه الاحتكارات العالمية فى عمليات التسويق والتوزيع والتقنية ، وهو دليل قوى على أضرار التبعية والارتباط بالخارج من خلال التحكم فى أسعار النفط والسوق النفطية ، الأمر الذى يؤدى عادة إلى انخفاض مستمر فى أسعار النفط الخام مما يلحق أضرارًا اقتصادية كبيرة بالدول المنتجة له(٢) .

وهكذا يتضح أن مشروع الشرق أوسطية له ارتباطه الواضح بالعولمة وهو تطبيق لها على المستوى الإقليمى ومن خلال إسرائيل كوكيل أو وسيط للقوى الأوربية والأمريكية المستفيدة من العولمة .

---

(١) سالم توفيق النجفي ، الإشكالية الاقتصادية الشرق أوسطية ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ٢٠٩ ، يوليو ١٩٩٦م ، ص٤٠ .

(٢) حمدي حسن ، العولمة والنظام الإقليمي العربي ، مرجع سابق ، ص١١ .

**الشرق أوسطية بديل للنظام الإقليمى العربى :**

والأخطر من هذا وذاك أن مشروع الشرق أوسطية يعتبر بديلاً للنظام الإقليمى العربى حيث سيؤدى فى النهاية إلى تحلل النظام العربى على المستوى الاقتصادى، والقضاء على آمال العرب فى وحدة عربية اقتصادية، وسينتهى بتحقيق التبعية الاقتصادية العربية للنظم الغربية ، إنه عودة إلى النظام الاحتكارى الاستعمارى مع وجود عامل جديد مؤثر ، وهو وجود إسرائيل فى قلب المنطقة العربية لتمارس الهيمنة الاقتصادية من الداخل .

ولا يمكن التكهن الآن بمستقبل الاقتصاد العربى فى ظل العولمة من ناحية وفى ظل مشروع الشرق أوسطية من ناحية أخرى ، ولكن من المؤكد أن خللاً استراتيجيًا سينتج عن نجاح مشروع الشرق أوسطية ، وهذا الخلل ليس مصدره أى تعاون اقتصادى مع إسرائيل، إنما مصدره الحقيقى هو ارتباط العولمة والشرق أوسطية باستراتيجية الهيمنة الأمريكية والأوربية والذى يعنى بكل وضوح عودة النظام الاستعمارى من جديد بأسلوب جديد وبفكر جديد .

هناك تياران أساسيان فى العالم العربى يعبران عن موقفين متضادين من الشرق أوسطية : التيار الأول تيار رافض لمفهوم الشرق أوسطية والمشروع المرتبط بها . والتيار الثانى مؤيد بشكل عام للشرق أوسطية ، ولكل تيار أسبابه وأدلته التى يبرهن بها على صحة موقفه .

**وتقوم أدلة الرفض عند الرافضين لمشروع الشرق أوسطية على ما يلى :**

١- أن مشروع الشرق أوسطية ليس مشروعًا عربيًا نابعًا من التفكير العربى الخالص أو مرتبطًا بإدارة عربية ، ولكنه مشروع مفروض على العرب من الخارج وللتأكيد على الرفض ينسب المشروع إلى أصول أو مصادر أمريكية وصهيونية ، فهناك من يربط مشروع الشرق أوسطية بمشروعات أمريكية أو غربية سابقة فى منطقة الشرق الأوسط : حلف بغداد - وحلف شرق البحر الأبيض المتوسط - ومشروع أيزنهاور . وقد فشلت كل هذه المشروعات نتيجة لزيادة الوعى السياسى القومى العربى الهادف إلى رفض أية ترتيبات إقليمية تنتهى إلى دعم مركز إسرائيل فى المنطقة .

ويربط بعض الرافضين مشروع الشرق أوسطية بمشروعات صهيونية سابقة فى المنطقة ، ومن أهم هذه المشروعات ما يعرف بالمشروع الحضارى الصهيونى الذى يقدم نفسه للمنطقة كمشروع يسعى إلى تحقيق التقدم الاقتصادى والصناعى ، ونقل الشرق الأوسط المتخلف إلى المدنية الحديثة ، وقد سمى هذا المشروع بمشروع هرتزل الذى نظر إلى المنطقة العربية والشرق أوسطية على أنها منطقة ثروات فى إحداث التغيير وتحقيق تنمية المنطقة وتقدمها ، وهنا تقدم العقلية اليهودية كعقلية قادرة على استثمار هذه الثروات وتنمية المنطقة وتحقيق التعاون والتعايش من خلال العمل الاقتصادى . ويعتقد أصحاب هذا الرأى أن مشروع الشرق أوسطية هو إعادة عرض لمشروع هرتزل أو للمشروع الصهيونى القديم ، ولكن بمعطيات حديثة تناسب فترة ما بعد قيام دولة إسرائيل ، وقد سبق تقديم مشروع من هذا النوع فى عام ١٩٤٥م بواسطة المنظمة الصهيونية الأمريكية التى قدمت دراسة عن « الاتحاد الشرق أوسطى » ، وقد تضمنت هذه الدراسة تصورات لتطوير المواصلات والتجارة والسياحة والأسواق المالية من خلال تعاون عربى يهودى .

ويرتبط بهذا المشروع فى سياقه التاريخى ما تم طرحه من مشروعات حديثة تحمل نفس المفاهيم ونفس الأهداف ، ومن أهمها المشروع الذى تقدم به شمعون بيريز رئيس وزراء إسرائيل الأسبق تحت مسمى مشروع مارشال الشرق الأوسط ، وهو يقوم على برنامج للتنمية فى منطقة الشرق الأوسط يتم تمويله بواسطة دول غربية ودول عربية بترولية .

٢- من أهم أسباب رفض مشروع الشرق الأوسطية عند الفريق الرافض للمشروع الهدف الذى تم إعلانه وهو الرغبة فى دمج إسرائيل فى المنطقة وخلق حالة من القبول العام لإسرائيل لدى الرأى العام العربى . ووسيلة تحقيق هذا الهدف لا تتم من خلال العمل السياسى البحت ، والذى لن ينجح فى تغيير الموقف العربى العام من إسرائيل ، أما العمل الاقتصادى فسينجح فيما فشل فيه العمل السياسى ، ويضرب المثل على ذلك بأن السلام السياسى الذى تم بين مصر وإسرائيل لم يأت بنتائج جيدة على المستوى الاقتصادى والاجتماعى والثقافى لأنه لم يخلق مصالح متبادلة ، والتسوية السلمية لا تضمن حدوث التعاون المطلوب بين العرب والإسرائيليين ، كما أن التسوية السلمية

لاتقود بالضرورة إلى حدوث علاقات طبيعية وتفاعل إقليمى ، ويؤكد الرافضون أن جوهر المشكلة المانع من تحقيق العلاقات الطبيعية والتعاون الإقليمى يكون فى طبيعة إسرائيل التى لن تتغير ككيان عنصرى توسعى مهدد للمصالح العربية من خلال وظيفتها الأساسية كقاعدة غربية متقدمة فى المنطقة العربية .

***



# الفصل الرابع

# الموقف الإسلامي من حوار الحضارات

أولاً: نقد صورة الإسلام عند هنتنجتون.

ثانياً: آراء بعض المفكرين المسلمين في حوار الحضارات.

ثالثاً: بيان القاهرة الخاص بالدعوة إلى الحوار بين الحضارات، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م

رابعاً: جامعة الدول العربية ومفوضية حوار الحضارات.

خامساً: بيان ملتقى المفكرين العرب حول حوار الحضارات.

### أولاً: نقد صورة الإسلام عند هنتنجتون

اشتملت نظرية «صدام الحضارات» التى طورها هنتنجتون على صورة مشوهة وغير حقيقية للإسلام وحضارته وعلاقته بالغرب وبالحضارة الغربية . وقد علق أحد النقاد المسلمين على النظرية وموقفها من الإسلام بقوله : «لايمكن للمرء أن يفهم صدور مجموعة من الأحكام غير الموضوعية بخصوص الإسلام من قبل مفكر أكاديمى كبير بحجم صموئيل هنتنجتون، حيث تعامل مع الإسلام كموضوع للإثارة الإعلامية من خلال التحفيز على التخويف من المسلمين وكراهيتهم عبر تقديم صورة سلبية عن الإسلام باعتباره دينًا دمويًا عنيفًا يشجع على الإرهاب وعدم التعايش وعدم الاندماج مع الشعوب الأخرى. وهذه مغالطات تنم عن جهل واضح بالإسلام ومبادئه، وهو يساهم بذلك فى موجة الإسلاموفوبيا التى تجتاح العديد من الأوساط الفكرية، والسياسية، والاستراتيجية فى الغرب»[1] .

والحقيقة أن المسألة هنا لا تنم عن جهل بالإسلام ومبادئه، ولكنها سياسة مقصودة تهدف إلى إشاعة الرعب من الإسلام فى الغرب وتقديمه فى صورة الدين المهدد للمسيحية واليهودية، وفى صورة الحضارة المهددة للحضارة الغربية. وهى استمرار لنفس الصورة الاستشراقية القديمة التى قدمت الإسلام والمسلمين فى صورة همجية بربرية تزرع الخوف والفزع فى نفوس الجمهور الغربى، وتحفزه على مواجهة الإسلام كعدو لليهودية والمسيحية وللحضارة الغربية. وقد استغل مروّجو هذه الغربة سقوط الشيوعية لكى يصفوا الإسلام بأنه العدو الوحيد الذى يجب أن يتوجه إليه اهتمام

(١) M.Watt, The Study of Islam by Orientatists, p,202.

الغرب، والمسألة ليست مسألة جهل بالإسلام وبالمنجز الإسلامى فى تاريخ الحضارة الإنسانية ولا بالفضل الإسلامى على الحضارة الغربية ذاتها. فالمعرفة بالإسلام متاحة بشكل أفضل مما قبل والاتصال بالمسلمين أصبح أمرًا ميسورًا وواضع هذه النظرية عالم ومفكر أكاديمى لن يعدم الوسيلة للحصول عى المعلومات السليمة عن الإسلام وحضارته.

المسألة فى الحقيقة مسألة سياسية مرتبطة باستراتيجية العالم الغربى تجاه الإسلام وشعوبه. فالمستشرقون من نوعية صموئيل هنتنجتون يشاركون فى صنع القرار السياسى الغربى بشأن الشئون العربية والإسلامية، ويقدمون خبراتهم ورؤاهم للدوائر السياسية الغربية بشأن القضايا العربية والإسلامية. ومن المعروف صلتهم بوزارات الخارجية الغربية وعملهم كخبراء لشئون العالم العربى والإسلامى فى هذه الدوائر السياسية[1].

وتأتى نظرية «صدام الحضارات» لكى تقدم طرحًا سياسيًا واستراتيجيًا غربيًا يتفق مع المعطيات التاريخية والسياسية والاستراتيجية للعالم الغربى بعد سقوط الشيوعية، وبعد التخلص من الازدواجية الأيديولوجية فى الغرب بين الشيوعية والرأسمالية ومحاولة صنع عدو من خارج النسق الحضارى الغربى، ولذلك يأخذ العالم الإسلامى مكان السبق فى نظرية صدام الحضارات حيث تبدو حضارات الشرق الأخرى أقل خطورة على المستوى الثقافى، وإن كانت أكثر تهديدًا على المستوى السياسى. وتعتبر هذه النظرية الإسلام العدو الثقافى القريب جغرافيًا فهو يتميز بثقافته المنافسة للثقافة الغربية والأكثر نقدًا لها. كما يعطى الجوار الجغرافى بعدًا أقوى لاعتبار الإسلام عدوًا. فأرض الإسلام تجاور أرض المسيحية وتقع على حدود الغرب أو تبدأ من حيث ينتهى الغرب.

ولذلك يشكك بعض المفكرين المسلمين فى حقيقة الدعوة إلى الحوار بين الحضارات على الرغم من عدم معارضة الإسلام لهذه الدعوة وترحيبه الشديد بها واتفاقها مع الموقف الإسلامى العام. ومصدر الشك يبدو فى مصداقية الدعوة الغربية إلى حوار الحضارات، لأنها لا تبدو فى صورة حوار فكرى حضارى بل فى شكل تفاوض سياسى تدعمه القوة وتتحكم فيه وليس الحقيقة. وفى هذا الإطار تبدو نظرية صراع

(١) ميلاد حنا، قبول الآخر، مرجع سابق، ص ٤٦.

الحضارات وكأنها الممثل الحقيقى للتوجه الغربى، وهو توجه سياسى يهدف إلى استغلال الحضارة لتحقيق أهداف سياسية، وتطوير بعد ثقافى للصراع بين الغرب والإسلام وتتويجه من خلال اعتبار الثقافة العامل الأساسى المتحكم فى مسيرة العلاقات الدولية[1]. وتبرز هنا نظرية صدام الحضارات فى كونها أظهرت أهمية الأبعاد الثقافية فى العلاقات الدولية وأن الصراع المستقبلى سيأخذ الشكل الحضارى بعد أن سيطرت عليه فى الماضى الأشكال السياسية والأيديولوجية.

وللرد على نظرية صدام الحضارات لابد من توضيح أمرين: الأول خطأ النظرية فيما يتعلق بتحليلها لطبيعة الإسلام وحضارته، والنظر إلى الإسلام باعتباره دينًا صداميًا يحض على العنف والإرهاب، وبالتالى فهو يحتل مكانة مهمة فى نظرية هنتنجتون إلى الحد الذى يحس معه المرء بأن هذه النظرية وُضعت خصيصًا لمواجهة الإسلام والمسلمين، ولكنها صنعت فى شكل نظرية عامة بحيث لا تبدو وكأنها موضوعة ضد الإسلام وحضارته. أما الجزء الثانى من الرد على هذه النظرية فهو يختص بتوضيح موقف الإسلام من حوار الحضارات، والمبادىء التى يستند إليها هذا الموقف، وهو يمثل فى نفس الوقت مستوى آخر من الرد على نظرية صدام الحضارات، وذلك لأن الموقف الإسلامى الإيجابى من حوار الحضارات ينفى كون الإسلام دينًا صداميًا، وهنا نجد أن خطأ هنتنجتون فى نظريته خطأ مركب، فهو يتجاهل أو يجهل طبيعة الإسلام وحضارته، ويحكم على الإسلام بالعدوانية والعنف، ثم يجعله فى مكان القلب أو المركز فى نظرية صدام الحضارات وهو دين يقول بالتقاء الحضارات، ويعمل على تقارب الشعوب وتوافقها.

وفيما يتعلق بالرؤية الخاطئة للإسلام وحضارته فقد عبر عنها هنتنجتون تعبيرات مباشرة خلط فيها خلطًا مباشرًا ومقصودًا بين الدين والواقع السياسى للمسلمين فى العصر الحالى، وفسر ماتوصل إليه من نتائج سلبية برد كل شىء سلبى إلى الإسلام مستعينًا بأحداث من التاريخ الماضى يؤكد بها أحداث الحاضر لكى يخرج بحكم تاريخى واحد على الإسلام، وهو أنه دين العنف والإرهاب. وقد توسع فى إعطاء

---

(١) محمد سعدى، مرجع سابق، ص ١٧٣.

الإحصائيات والرسوم البيانية التى أعطت صبغة علمية لنظريته للحصول على مزيد من الإقناع والاقتناع بكون الإسلام دين تصادم وعنف وليس دين حوار وتسامح .

ولكى نؤكد على هذا التوجه المبدئى لهنتنجتون ضد الإسلام وحضارته نقتبس من عمله بعض الاقتباسات القصيرة السريعة يقول : «الميل الإسلامى إلى القتال والعنف من حقائق أواخر القرن العشرين التى لايستطيع أن ينكرها المسلمون أو غير المسلمين»[1] . وفى نفس الصفحة يسأل : «من المسئول عن زيادة عدد حروب خطوط التقسيم الحضارى، وعن الدور المركزى للمسلمين فى تلك الصراعات فى أواخر القرن العشرين ؟» ويربط الحاضر بالماضى فيقول : «هذه الحروب لها جذورها العميقة فى التاريخ»[2] . ، ويكرر مؤكدًا : " لماذا والقرن العشرون يوشك على الانتهاء نجد أن المسلمين هم الأكثر تورطًا فى مزيد من العنف بين الجماعات من شعوب الحضارات الأخرى»[3] .

ويفسر هنتنجتون هذا الميل الإسلامى إلى العنف بنفس الردود الاستشراقية التقليدية وهى أن "الإسلام كان دينًا للسيف منذ البداية وأنه يمجد الفضائل القتالية . هذه النشأة العنيفة مطبوعة فى أساس الإسلام[4] . وأن محمدًا صلى الله عليه وسلم كان مقاتلاً عنيفًا وقائدًا عسكريًا ماهرًا وقد علق عى هذا بقوله بين قوسين : لا أحد يستطيع أن يقول ذلك عن المسيح أو عن بوذا[5] . ويضيف إلى الأسباب السابقة أن القرآن لايحرم العنف[6] . وأن مفهوم اللاعنف غائب عن الفكر والممارسة الإسلاميين[7] . ويقول أيضًا : إن انتشار الإسلام وضع المسلمين فى احتكاك (صدام) مباشر مع شعوب مختلفة . ولاينسى أن يضيف أن «رعاية الغرب، فى قمة قوته فى مواجهة الإسلام، لوطن يهودى فى الشرق الأوسط وضعت الأساس لعداء عربى إسرائيلى مستمر»[8] . مع ملاحظة عبارة «رعاية الغرب» ودلالتها .

(١) هنتنجتون، ص ٤٢٠ .
(٢) المرجع السابق، ص ٤٢٠ .
(٣) المرجع السابق، ص ٤٢٦ .
(٤) المرجع السابق، ص ٤٢٦ - ٤٢٧ .
(٥) المرجع السابق، ص ٤٢٧ .
(٦) المرجع السابق، ص ٤٢٧ .
(٧) المرجع السابق، ص ٤٢٧ .
(٨) المرجع السابق، ص٤٢٨ .

ويتمادى هنتنجتون فى توضيح موقفه العدائى من الإسلام فيقول : «الإسلام عقيدة أكثر استبدادية حتى من المسيحية . الإسلام يمزج بين الدين والسياسة، ويضع حدًا فاصلاً بين أولئك فى دار السلام، وأولئك فى دار الحرب[1] . ويقول أيضًا «النزعة القتالية وعدم القابلية لفكرة القرب من جماعات غير إسلامية . . . كل ذلك ملامح مستمرة للإسلام يمكن أن تفسر الميل الإسلامى للصراع عبر التاريخ» .

وبعد هذا الفيضان من الشبهات والأخطاء التى يفسر بها هنتنجتون نظريته ورؤيته

للإسلام والمسلمين يضيف أسبابًا أخرى يصفها بأنها محدودة وزائلة مع أنها فى نظر المسلمين هى الأسباب الحقيقية للصراع الذى نشأ مع الغرب فى القرون الأخيرة ، وهو يقدم هذه الأسباب على أنها الأسباب التى يقدمها المسلمون وهى : أن الاستعمار الغربى أخضع المجتمعات الإسلامية، وأضعف المسلمين وحولهم إلى ضحايا لغير المسلمين. والسبب الثانى غياب الدولة المركز فى الإسلام. والسبب الثالث أن هناك قوة مركزية تآمرية موجهة ضد الإسلام.

ويسخر هنتنجتون من هذه الأسباب الإسلامية ويعتبرها أسبابًا محدودة وزائلة على الرغم من أنها الأسباب الحقيقية للصراع بين المسلمين والغرب.

بعد إعطاء هذا العرض السريع لأخطاء هنتنجتون والشبهات التقليدية وغير التقليدية التى أثارها ضد الإسلام وحضارته نوضح الصورة الحقيقية للإسلام وحضارته والتى تجاهلها هنتنجتون تمامًا لكى تنجح نظريته فالنظرية مبنية على أساس من تقديم الإسلام فى غير صورته الحقيقية . ولو قُدم الإسلام فى صورته الحقيقية لسقطت نظرية صدام الحضارات سقوطًا مدويًا. فتشويه الإسلام مقصود حتى تنجح نظرية صدام الحضارات فى جانبها النظرى.

والإسلام الذى يتجاهله هنتنجتون ( ولا أقول يجهله ) دين عالمى رسالته رسالة عالمية رافضة للأيديولوجيات العنصرية والقومية والإقليمية، كما أن رسالته رسالة إنسانية هدفها توحيد البشرية، وتحقيق التقارب بين الشعوب، وحماية الإنسان وتكريمه، وضمان حقوقه، بصرف النظر عن دينه أو لونه أو عرقه. ولا يوجد دين آخر

(١) المرجع السابق، ص٤٢٨ .

ضمن حقوق أهل الأديان الأخرى ورعاها رعاية شرعية سوى الإسلام. وقد تطور عن هذه المبادىء موقف إيجابى من الآخر يسعى إلى الاتصال بالآخر، وبناء علاقة سليمة معه يتم فيها الاعتراف المتبادل وضمان حقوق الآخر فى نفس الوقت، وقد قامت علاقة الإسلام بأقلياته الدينية على أساس من الاعتراف بحقوق هذه الأقليات وحمايتها وأولها حق الاختلاف فى الاعتقاد[1].

### ثانيًا: آراء بعض المفكرين المسلمين في حوار الحضارات

هذه المواقف المبدئية الإسلامية أدت بالضرورة إلى أن يكون الإسلام دائمًا وأبدًا مع الاتصال والحوار مع الأديان والحضارات الأخرى وهو الدين الوحيد فى تاريخ البشرية الذى حقق أكبر قد من الاتصال بالأديان والحضارات الأخرى، وتفاعل معها وتحاور مع أهلها على أساس من التسامح الدينى والإيمان بالتعددية الدينية والثقافية. وكما يقول الدكتور هشام نشابة: «إن حضارة الإسلام فى جوهرها حضارة حوار لا حضارة صراع» ولذلك يرى د. طه جابر علوانى أن حوار الحضارات لكى يكتب له النجاح لا بد أن تتوفر فيه شروط أساسية هى فى الحقيقة شروط إسلامية معبرة عن جوهر الإسلام وحضارته. وهذه الشروط هى:

١- الاعتراف بأن الاختلاف ضرورة وسنة من سنن الوجود وأن الاختلاف والتنوع غايته التعارف والتعايش، وانعكس هذا المعنى فى الآية القرآنية ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣].

٢- الحق فى الاختيار الحضارى بعيدًا عن الإكراه سواء بالجبر والقهر أو بالغزو الفكرى وتزييف الوعى.

٣- إعلان التعايش والتعاون بدل الصراع والنظر إلى الآخر بشكل يضمن حريته وكرامته.

(١) د. محمد عمارة، الأقليات غير المسلمة فى العالم الإسلامى، مرجع سابق، ص ١٢٥-١٢٦.

٤- أن رسالة الإسلام عالمية متحررة من العنصرية والقومية والإقليمية وأن الإسلام لم يعرف فى تاريخه مفهوم التصادم الحضارى الشامل (١) .

ويؤكد الشيخ محمد الغزالى أن اختلاف البشر جزء من تاريخ الحياة على اختلاف الليل والنهار . ويستشهد بالآية القرآنية : ﴿ **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ** ﴾ [هود : ١١٨-١١٩] فوجود الرأى المخالف حقيقة واقعية لا مجال للتنصل منها (٢) .

ويصف الدكتور محمد فاروق النبهان الحضارة الإسلامية بأنها لم تكن فى يوم من الأيام حضارة عنصرية أو قومية . وأنها كانت حضارة شمولية ساهمت شعوب كثيرة فى صياغة معالمها وأفكارها(٣) . ويصف الدكتور النبهان التفاعل الحضارى بأنه أمر طبيعى يعتمد على الاستعداد النفسى وقدرة الحضارة الأقوى على العطاء والاعتراف بأثر التعددية الحضارية فى نمو قيم حضارية رفيعة(٤) . ويؤكد أن البحث عن الهوية الحضارية لا يعنى المواجهة أو الصراع مع الآخر . فمن حق أى حضارة أن تدافع عن هويتها التى تميزها . ويعلل مظاهر المواجهة العالمية بين الحضارتين الإسلامية والغربية بأن سببها يكمن فى «إصرار الحضارة الغربية على ممارسة الهيمنة والسيطرة فى الوقت الذى تسعى فيه الحضارة الإسلامية لإثبات هويتها والحفاظ على خصوصيتها»(٥) .

ويرى الدكتور النبهان أن التعايش بين الحضارتين الإسلامية والغربية ممكن فى ظل صيغة إنسانية تنطلق من منطلق الإيمان بالله ، والإيمان بقيم الفضيلة التى دعت إليها الأديان السماوية لتحرير عقيدة الإنسان وإنقاذه من المظالم والانحرافات « ويرى أيضًا أن الحوار مع الحضارة الغربية يتحقق من خلال إقامة علاقة تكامل وتعايش وتساكن على أساس الاعتراف بخصوصيات كل حضارة»(٦) .

(١) مؤتمر «المسلمون وحوار الحضارات في العالم المعاصر»، الأردن، عمان، ١٩٩٥م، عرض بمجلة الكلمة، بيروت، ص١٢٣ .
(٢) المرجع السابق، ص١٢١ .
(٣) المرجع السابق، ص١٢٥ .
(٤) المرجع السابق، ص١٢٦ .
(٥) المرجع السابق، ص١٢٦ .
(٦) المرجع السابق، ص١٢٦ .

وهكذا نرى أن كل المفكرين المسلمين يتفقون على أن الحوار هدف إسلامى حضارى أصيل ينبع من طبيعة الدين الإسلامى وحضارته، وأن الصراع الظاهر تفرضه ظروف خارجة على طبيعة الإسلام وحضارته . إن الصراع مفروض بالقوة على المسلمين المواجهين بغزو حضارى غربى مهدد للهوية الإسلامية . إن أطماع الغرب السيادية والرغبة فى طمس الهويات الحضارية للشعوب الأخرى هى السبب الأول والأخير لما يسميه هنتنجتون «صراع الحضارات» .

وانطلاقًا من هذا الإيمان الراسخ بأن جوهر الإسلام وحضارته يدفع المسلم دفعًا إلى الاتصال بالآخر والتعايش معه على أسس دينية تضمن حرية الاعتقاد والعبادة والتعددية الثقافية ناقش بعض المفكرين المسلمين قضية حوار الحضارات بشكل مستقل أحيانًا ، أو فى ارتباطها بنظرية صدام الحضارات التى طورها صموئيل هنتنجتون .

ويعتقد المفكر المغربى عبد الهادى بوطالب أن الذى نشاهده على الساحة الدولية فى الوقت الراهن ليس صراعًا بين الحضارات أو الأديان رغم أن كثيرًا من المظاهر قد تشير إلى ذلك . إن مايميز المرحلة التاريخية الحالية هو صراع أو مواجهة بين الفكر الروحى والفكر المادى . وأن الغرب يشترك مع الشرق فى المواجهة الروحية المادية . إن معضلات العصر تتلخص فى ظاهرة الافتقار إلى البعد الروحى وتفاحش الثورة الانتاجية وظاهرة الحرمان الاجتماعى[1] . والإسلام مطالب بمعالجة هذه الظواهر وتقديم الحلول لها كمشروع مستقبلى يعزز الهوية الثقافية الإسلامية ويعدها فى المستقبل للتفاعل مع الآخرين ، نأخذ ونعطى ، ونؤثر ونتأثر متكيفين مع العصر بدون مركب نقص»[2] . وهذا إذن موقف ينكر وجود صراع حضارات أو أديان ، ويعترف بوجود صراع روحى مادى معبر عن أزمة عالمية تتطلب فى علاجها مشاركة إسلامية .

ويشرح المفكر الماليزى سيد العطاس المشكلة بمصطلحات قريبة من لغة المفكر عبد الهادى بوطالب ، فهو يقابل بين القيم الإسلامية والقيم العلمانية، ويعتبر الأخيرة مسئولة عن إقصاء النظرة الروحية الشاملة والحقيقية، ومايتبع ذلك من انتشار القيم المادية المتغيرة ، وفى الوقت الذى يرحب فيه بالعلم ونتائجه يطالب بعدم التفرقة بين

(١) المرجع السابق، ص١٢٦ .
(٢) المرجع السابق، ص١٢٦ .

الجوانب العلمية والإنسانية والدينية فى المعرفة لأن هذه التفرقة هى مبعث الاضطراب الفكرى الذى يعيشه المسلمون . ويرى أن الحوار مع الحضارة الغربية وقيمها يتطلب التمسك بوحدة المعرفة وعدم فصل العلم عن الدين(١) .

ويرى المفكر على أوزاك أن التفاعل بين الحضارات طبيعى والتأثير والتأثر سنة من سنن الحياة، وعليه فلابد من «التفاعل والتعاون بين الأشخاص والمجتمعات والشعوب والأقوام وبخاصة فى عصرنا الذى أصبح قرية صغيرة بوسائل النقل والإعلام»(٢) .

وبنفس هذه اللغة تقريبًا يحلل المفكر الباكستانى خورشيد أحمد العلاقة مع الغرب وذلك من خلال المقارنة بين مفهومى الإسلام والغرب واعتبر الإسلام يمثل ظاهرة أخلاقية عقائدية مثالية وثقافية بينما يمثل الغرب العلمانية والفردية والتحررية السياسية والقومية . أما الجدل الحالى حول علاقة الإسلام بالغرب فله خصوصيته لأنه يأتى ضمن سياق التطورات الفكرية والسياسية التى حدثت بعد سقوط الاتحاد السوفيتى سياسيًا وتراجع الشيوعية كعقيدة ونمط اقتصادى واجتماعى «الأمر الذى جعل بعض الاستراتيجيين الغربيين ينظرون إلى الإسلام وعالمه السياسى كعدو جديد ومرتقب، وبدأ لذلك الحديث عن صدام الحضارات(٣) .

ويؤكد خورشيد أحمد أن الإسلام يؤمن بالتعددية وينتصر للتعايش بين الشعوب والحضارات وإذن لامجال للصدام الحضارى . وهو يربط التعايش وعدم وقوع الصدام بإقلاع الدول الغربية عن التهديد العسكرى لباقى المجالات الجغرافية والحضارية الأخرى . ويؤكد أيضًا «أن هناك حاجة ملحة لحوار أكثر فعالية ومعنى وشمولية بين العالم الإسلامى والعالم الغربى للتوصل إلى فهم أفضل لتطلعات وأهداف بعضهما البعض، وتمهيد السبيل نحو سعى مشترك وراء إجماع على النموذج الجديد . إن رؤية عالم تعددى أصيل وحقيقى يضمن علاقة سلمية ليس بين الإسلام والعالم الغربى وحسب، بل بين جميع الأديان والثقافات فى هذا العالم»(٤) .

(١) المرجع السابق، ص١٢٧ .
(٢) المرجع السابق، ص١٢٧ .
(٣) المرجع السابق، ص١٢٧ .
(٤) المرجع السابق، ص١٢٧-١٢٨ .

اتفقت هذه الآراء الإسلامية لمفكرين من بلاد إسلامية مختلفة على أن الموقف الإسلامى العام موقف يطالب بالحوار بين الحضارات ويؤيده مع وضع شروط لنجاحه فى العالم المعاصر من أهمها أن تتخلى الحضارات ، وبخاصة الحضارة الغربية ، عن نزعة الاستعلاء والرغبة فى السيادة والهيمنة لأن هذا هو الذى يُولّد الصراع بين الحضارات، وذلك حين يشعر أهل الحضارات المختلفة بأن هويتهم الثقافية مهددة بالضياع، وعندئذ يهبون للدفاع عن هذه الهوية فيبدو الأمر وكأنه صراع مع أنه دفاع واجب عن الهوية الثقافية .

هناك اتفاق بين معظم المفكرين المسلمين المهتمين بالحوار بين الحضارات على أن الحضارة الغربية هى المسئولة عن إثارة الصراع بين الحضارات على المستوى النظرى والتطبيقى . وفى مقدمة هؤلاء يأتى رأى الشيخ محمد الغزالى الذى أشار إلى حقيقة تاريخية تقول بأن «الغرب كان دائمًا السبّاق إلى إثارة العداء وممارسته وتعميقه تجاه المسلمين خاصة»[1] والحضارة الغربية مهتمة بالقضاء على كل القيم التى تؤمن بها وتمارسها على نطاق واسع ضمن جغرافيتها التاريخية والسياسية . فالديموقراطية مباحة فى الغرب مرفوضة فى العالم الإسلامى . ولذلك من الصعب الحديث عن حوار حضارى فى الوقت الذى يرزح فيه واقع الأمة الإسلامية تحت نير التبعية والاستعمار غير المباشر وانتشار الفساد . ومعنى كلام الشيخ الغزالى أنه لاتوجد إمكانية للحوار الحضارى مع الغرب فى ظل التبعية والخضوع للغرب .

ويشك المفكر الألمانى المسلم مراد هوفمان فى وجود حوار حضارى بين الحضارتين الغربية والإسلامية وذلك لأن سياسة الهيمنة الغربية تمنع حدوث مثل هذا الحوار وربط هذا بفلسفة التاريخ الغربى التى تشكل الخلفية الفكرية لسياسة السيطرة والهيمنة المطلقة على العالم، ولذلك فهو يسأل أى حوار تحكمه خلفية الهيمنة ؟ ويرى مراد هوفمان أن وضع العالم الإسلامى الحالى لايسمح بالدخول كطرف قوى فى الحوار المطلوب ؛ فالعالم الإسلامى ضعيف وممزق إلى عدة دول متخلفة فى أوضاعها العلمية والاقتصادية . والحوار الحقيقى يحتاج إلى فتح باب الاجتهاد على مصراعيه أمام العقل

(١) المرجع السابق، ص١٢١ .

المسلم حتى يشارك بفعالية فى حل القضايا العالمية ويصبح قادرًا عى التحاور الثقافى[1] .

ويرى الدكتور محمد فاروق النبهان أن الحوار مع الحضارة الغربية مطلوب وضرورى ولكن فى ظل صيغة إنسانية إيمانية ويقول بأن الحضارة الغربية ليست مرفوضة رفضًا مطلقًا من المسلمين الذين يرفضون الصيغة الغربية التى تفرض على الشعوب الإسلامية كاختيار حتمى . ويرى أن التفاعل الحضارى مع الغرب أمر طبيعى ولكن بعيدًا عن المواجهة الثقافية وبعيدًا عن إصرار الحضارة الغربية على ممارسة الهيمنة والسيطرة[2] .

أما المفكر المسلم البوسنوى الدكتور اسماعيل باليتش فيرى أن المسيحية الأرثوذكسية فى الغرب تقف حائلاً دون اتصال المسلمين بالمسيحيين ويضرب مثالاً على ذلك بالكنيسة الصربية الأرثوذكسية التى امتنعت عن المشاركة فى الحوار والمبادرات الثقافية والدينية المشتركة بين الكاثوليك والمسلمين . وتقف المسيحية الأرثوذكسية فى هذه المنطقة عائقًا أمام اندماج المسلمين داخل المجتمعات الأوربية . وهى حسب رأيه ، تعمق الصراع وتغذيه ، والأمل فى القوى السلمية داخل هذه الكنيسة لتحقيق حوار جاد ونافع للطرفين معًا المسلمين والمسيحيين .

ويعطى الدكتور عمر جاه مثالاً تطبيقيًا آخر على تعميق الصراع وتغذيته فى إطار العمل التبشيرى المسيحى فى إفريقيا . فهو يلاحظ أن الكنيسة الغربية مازالت تعيش ضمن إطار الفكر والوضع الاستعمارى القديم فى إفريقيا . فهى تحتكر جميع أنشطة الدعوة وتحرم المسلمين منها . وهى فى إطار الاستراتيجية الغربية تقوم بدور الشرطة لحماية الثقافة الغربية ومنع الثقافة الإسلامية . وهى تملك أجهزة السيطرة الاقتصادية والعسكرية .

ويرى الدكتور عمر جاه أن القضية قضية صراع مصلحى دائم لا مجال للتعايش أو الحوار فيه وهذا بخلاف النظرة الإسلامية التى تؤمن بالحوار وتدعو إليه[3] .

(١) المرجع السابق ، ص١٢٤-١٢٥ .
(٢) المرجع السابق ، ص١٢٥ .
(٣) المرجع السابق ، ص١٢٩ .

ويعطى المفكر المسلم الصينى نشووى ليه مثالاً تطبيقيًا آخر يثبت به عدم صحة نظرية صدام الحضارات على مستوى علاقة الحضارة الإسلامية بالحضارة الصينية الكونفوشيوسية . فهو يقول : إن هناك نقاط اتفاق مشتركة بين الحضارتين أدت إلى عدم حدوث صدام بينهما . فالحضارتان تشجعان السلام والعدل والمساواة والحب وطلب العلم والتسامح ، ويؤكد أن الواقع المتميز للإسلام فى الصين يخالف نظرية هنتنجتون الخاصة بصدام الحضارات . وينقد هذه النظرية بقوله : إنها لا تخلو من التركيز المجحف على الجانب السلبى للعلاقات الحضارية[1] .

وقد انتهى معظم المهتمين بالحوار بين الحضارات من العلماء المسلمين إلى أن الحضارة الغربية مازالت السباقة إلى التحرش بباقى الحضارات والموروثات الثقافية والاجتماعية المخالفة لها ، وعلى رأسها الحضارة الإسلامية ، ولو تخلت الحضارة الغربية عن هذه الصفة لأمكن الدخول فى حوار حقيقى يعطى للتجمعات الحضارية المختلفة الحق فى الوجود والبقاء والحفاظ على الهويات الدينية والثقافية . إن تفجير الصراع بين الحضارات ستكون نتائجه ضارة بالوجود الحضارى الإنسانى .

### ثالثا : بيان القاهرة الخاص بالدعوة إلى الحوار بين الحضارات، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م

اعترافًا بأهمية الحوار بين الحضارات دعا المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة إلى عقد مؤتمر الحوار بين الحضارات للتأكيد على «قيمة الحوار بين الحضارات وأهميته كعامل فعّال في إقرار السلام، وتخفيف حدة التوتر والاستقرار في العالم»[2] . ولذلك كان من الضروري بعث وتنشيط أسباب التعاون بين أتباع الأديان جميعًا بالدعوة إلى الحوار البناء بين أتباعها ليحددوا معًا معالم الطريق لحماية الإنسان من الأخطار التي تهدد مستقبل الإنسانية كلها[3] .

---

(١) المرجع السابق، ص١٣١ .
(٢) انظر نص « بيان القاهرة» في كتاب الإسلام ومستقبل الحوار الحضاري، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، سلسلة قضايا إسلامية، العدد ١٥ ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص١٥٧-١٦٢ .
(٣) المرجع السابق، ص١٥٨ .

**أما الحقائق الأساسية التي دفعت إلى عقد المؤتمر فهي :**

١- انهيار الحواجز الزمانية والمكانية بين الأمم والشعوب بفضل ثورة الاتصالات والمواصلات مما أدى إلى وقوع التداخل الحضاري والتشابك الثقافي بين الشعوب .

٢- حقيقة تبني الإسلام الدعوة إلى الحوار بين الحضارات والأديان والدعوة إلى التعايش السلمي بين البشر . وأن تعاليم الإسلام تنادي بالتعارف والتآلف والتعاون المشترك بين الناس .

٣- أن مصر مهد الحضارات والأديان ، وبلد الأزهر الشريف مركز الإشعاع الحضاري ، وصاحب الدعوة إلى قيم الإسلام وتعاليمه السمحة في المحبة والإخاء والتسامح والسلام والاعتدال والوسطية[1] .

وقد تم عقد مؤتمر بعنوان «الإسلام ومستقبل الحوار الحضاري» وناقش الموضوع المهم «الحوار بين الحضارات» مركزًا على توضيح الموقف الإسلامي من الحوار . وهو موقف ينطلق من القاعدة التي تحكم العلاقات بين الشعوب وهي قاعدة التعارف والتآلف والتعاون لا قاعدة الصراع والمشاحنات .

وقد تم الربط بين حوار الحضارات وحوار الأديان باعتبار أن الدين يشكل العنصر الأساسي في الحضارة ، وأيضًا باعتبار الأديان جميعًا تدعو إلى المحبة والإخاء والسلام بين جميع البشر[2] .

وقد ركز المؤتمر أيضًا على أهمية الحوار في مواجهة التطرف باعتبار الحوار أسلوبًا حضاريًا بينما التطرف أسلوب معاد للحضارة والتقدم . وأكد المؤتمر على التعايش بين البشر كضرورة حتمية ، وعلى أن الحوار يمثل اللغة الحضارية الوحيدة التي تؤدي إلى تحقيق التعايش ، وأن التطرف والعنف والإرهاب ظاهرة شاذة لا صلة لها بالأديان التي تدعو إلى إقرار مبدأ العدالة وتحقيق السلام .

---

(١) المرجع السابق ، ص١٥٩ .
(٢) المرجع السابق ، ص١٦٠ .

**وقد توصل المؤتمر إلى التوصيات المهمة التالية:**

١- التأكيد على القيم المشتركة بين الحضارات وأهمها الإيمان بالله ونشر الأخلاق الفاضلة، وتكريم الإنسان، والاعتراف بحقوقه ومن أهمها حرية إقامة الشعائر الدينية.

٢- التقريب بين الحضارات المختلفة بحيث يكمل بعضها بعضًا وتتفاعل فيما بينها لخير الإنسانية، فالتعدد هو سنة الله في خلقه.

٣- الاعتراف المتبادل بين الحضارات والديانات حتى يصبح الحوار بين أنداد متساوين، ونبذ الاستعلاء الحضاري أو العنصري أو الديني.

٤- التأكيد على حقوق الشعوب في الحفاظ على خصوصياتها الحضارية مع تعايشها مع الحضارات الأخرى، فالجانب المادي ملك للبشرية ينتقل من حضارة إلى حضارة. أما الجانب المعنوي فيمثل الهوية الخاصة لكل حضارة وهو يظهر في لغتها وثقافتها الدينية والاجتماعية[١].

٥- التأكيد على أن الديانات تنكر العنف والإرهاب وأن الإسلام لا علاقة له بالإرهاب، ويؤيد حق الدفاع المشروع ضد العدوان، ويرفض التعصب الديني والعنصري. ويدعو المؤتمر إلى ضرورة التصدي للإرهاب والتطرف.

٦- أهمية الحفاظ على التراث الثقافي الإسلامي، والهوية الإسلامية، واحترام حقوق الأقليات، وإبراز القيم السامية بين كل الديانات.

٧- التأكيد على تواصل الحضارات والثقافات المختلفة والتعايش بينها وتعليم ذلك في المناهج الدراسية[٢].

٨- الاهتمام بالتعليم والتنسيق بين البرامج التعليمية التي تؤدي إلى تنمية الحوار البناء مع الحضارات الأخرى.

٩- التنسيق بين الجهود الحكومية وغير الحكومية لإعداد دعاة مسلمين قادرين على

---

(١) المرجع السابق، ص١٧٠ .

(٢) المرجع السابق، ص١٧٢ .

عرض مبادئ الإسلام الصحيحة مع التركيز على التعايش السلمي بين الديانات والحضارات.

١٠- مناشدة الدول غير الإسلامية الكف عن نشر ثقافة الكراهية ضد الإسلام والمسلمين، وعرض مفاهيم الإسلام عرضًا أمينًا موضوعيًا وإفساح المجال لعرض الإسلام في صورته الصحيحة[1].

١١- التأكيد على دور وسائل الإعلام في التقريب بين الشعوب والأديان والحضارات، ويطالب الإعلام بالدقة والموضوعية وتأكيد قيم المحبة والتآخي والتآلف بين مختلف الديانات والحضارات. والتخلي عن سياسة الكراهية الثقافية والحضارية نحو الإسلام والمسلمين.

١٢- التنسيق بين برامج الأجهزة الإعلامية والثقافية ومناهج المؤسسات التربوية والدينية لضبط عمليات التنشئة الاجتماعية للأطفال والشباب بحيث تؤكد على قيم التسامح والتعاون والمحبة.

١٣- التنسيق بين الأزهر والفاتيكان لدعم التعايش السلمي بين الأديان.

١٤- دعم مسيرة الحوار بين الحضارات حتى تحقق هدفها في التقريب الحضاري بين الشعوب[2].

### رابعًا: جامعة الدول العربية ومفوضية حوار الحضارات

اهتمت جامعة الدول العربية اهتمامًا كبيرًا بمسألة حوار الحضارات وأنشأت لها مفوضية خاصة تعني بموضوع الحوار، وتوظفه توظيفًا سياسيًا وثقافيًا جيدًا لخدمة قضايا العلاقات العربية الحضارية مع الغرب. وقد عقدت الجامعة العربية أول مؤتمر لحوار الحضارات تحت عنوان: «حوار الحضارات: تواصل لا صراع» في ٢٦-٢٧ نوفمبر ٢٠٠١م.

---

(١) المرجع السابق، ص١٧٥.
(٢) المرجع السابق، ص١٧٦.

وقد عبر الأمين العام لجامعة الدول العربية عمرو موسى عن رؤية الجامعة العربية لحوار الحضارات، فأشار في عدة مناسبات إلى كون الثقافة العربية جزءًا لا يتجزأ من الثقافة العالمية، وأن العرب تفاعلوا مع الثقافات الأخرى فاستفادوا منها وأفادوها من خلال منجزاتهم الحضارية في التاريخ. وقد نشطت حركات الترجمة من وإلى العربية في عصور مختلفة. وفي هذا دليل على حركة الثقافة العربية المتجددة. كما أن اللغة العربية تحولت إلى لغة للثقافة العالمية وبخاصة في فترة العصور الوسطى التي كانت فيها اللغة العربية لغة العلم والثقافة على المستوى الحضاري العالمي[1].

وفي مجال الحضارات «رفع العرب صوتهم في مختلف المحافل العالمية، دعوة ودعمًا للقيام بحوار بينها جميعًا، باعتبارها في مجموعها وعلى تنوعها تمثل الحضارة الإنسانية أو حضارة الإنسان»[2].

وأكدت الجامعة العربية في عدة مناسبات على المتغيرات العالمية المؤثرة على حوار الحضارات تأثيرًا سلبيًا وأدت إلى تفاقم الأمور في شأن العلاقة بين الثقافات والحضارات، وبصفة خاصة فيما يتعلق بالنظرة إلى الحضارة الإسلامية والثقافة العربية. ومن أهم هذه المتغيرات ظهور نظرية صراع الحضارات وبخاصة في التأثير سلبيًا على مسيرة العلاقات بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية.

وقد اعتبرت الجامعة العربية نظريات صراع الحضارات نظريات «مطعون في صحتها، وأنها تمثل في مجموعها «محاولات لإذكاء العداء أو على الأقل الشكوك إزاء الإسلام والمسلمين، ومعهم العرب جميعًا»[3].

أما الحديث الثاني المؤثر تأثيرًا سلبيًا على حوار الحضارات فهو أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م. وقد عبرت الجامعة العربية عن هذا التأثير على النحو التالي: «أطلقت أحداث سبتمبر العنان لتحليلات ومواقف وممارسات، لم تمس أطر الحضارة أو الثقافة فقط، بل طالت أيضًا من يحملون هويتها وهي الهوية العربية أو الإسلامية

(١) مؤتمر «حوار الحضارات: تواصل لا صراع»، كلمة الأمين العام للجامعة العربية، سبتمبر ٢٠٠١م، عرض في مجلة شئون عربية، العدد ١٠٩، ربيع ٢٠٠٢م، ص٢٤٥.
(٢) المرجع السابق، ص٢٤٥.
(٣) المرجع السابق، ص٢٤٥-٢٤٦.

فضاق العيش على الكثير منهم في عدد من الدول، وأصبح من يحمل تلك الهوية متهمًا بل مدانًا حتى تثبت براءته لا بريئًا حتى تثبت إدانته. بل إن هؤلاء الذين لم تعد الهوية العربية لهم إلا تاريخًا وجذوراً بعيدة بعد أن اندمجوا في مجتمعات جديدة ... حتى هؤلاء أصبحوا ضحايا أو مهددين بالتفرقة وسوء المعاملة[١].

ونقدت الجامعة العربية نظرية البحث عن عدو بديل، واعتبار الإسلام مهدداً للحضارة الغربية بأنها نظرية خطيرة لها أبعاد استراتيجية كونية ومستقبلية. ويزداد الخطر عندما يتم تصور العدو وفق خطوط دينية أو ثقافية[٢]. وتطالب الجامعة أصحاب هذه النظريات الصراعية بإعادة التفكير في جدوى نظرياتهم وفي الاضطراب الذي تحدثه في الموقف الدولي، والتوتر الذي سيصيب مختلف أنحاء العالم[٣].

كما نبذت الجامعة دعوات تفوق حضارة بعينها على كافة الحضارات الأخرى لأنها لا تتفق مع معطيات التاريخ والتي تثبت مساهمة مختلف الحضارات في تشكيل الحضارة الإنسانية، وأن هناك عملية إخصاب تمت بين حضارات الشرق والغرب على مدى قرون عديدة، وأن عملية التفاعل هذه تعتبر إحدى أعظم إنجازات الإنسانية، كما أن تأثير الحضارة الإسلامية والثقافة العربية على الثقافة الغربية مؤكد وموثق تاريخيًا[٤]. وعبرت الجامعة عن مخاوفها من الدخول في مرحلة تفرقة عنصرية أو دينية ضد العرب والمسلمين.

ودعت جامعة الدول العربية إلى إصدار برنامج عمل لتفعيل حوار الحضارات في الداخل والخارج ومواجهة دعوات صراع الحضارات وصدامها وذلك في إطار الحفاظ على الحضارة والثقافة والتمسك بالهوية.

هذا وقد تم إنشاء صندوق بالجامعة العربية لتمويل برنامج حوار الحضارات وذلك من أجل التصدي لحملة التشويه الموجهة ضد الحضارة الإسلامية والمسلمين عن طريق

---

(١) المرجع السابق، ص٢٤٦.
(٢) المرجع السابق، ص٢٤٦.
(٣) المرجع السابق، ص٢٤٦.
(٤) المرجع السابق، ص٢٤٦.

إطلاق حوار حضارات موضوعي بناء وحقيقي، ومبني على أسس وقواعد محكمة، تفتح نوافذ للفهم والتفاهم بين الحضارات، ونبذ نظريات التميز والصراع[1].

### خامساً: إعلان ملتقى المفكرين العرب الخاص بحوار الحضارات

أصدر ملتقى المفكرين العرب إعلانًا يخص العلاقة بين الحضارة العربية الإسلامية والحضارات الأخرى، وبخاصة العلاقة بالحضارة الغربية، في ضوء الأوضاع الدولية الراهنة، ودراسة مظاهر سوء الفهم والتشويه التي وقعت بشأن الإسلام وحضارته، ومحاولات التشكيك في مكانة العرب وتاريخهم الحضاري ودورهم الإنساني.

وقد عبر الملتقى في البداية عن مفهومه الخاص بالحضارات، وهو مفهوم يؤكد على العلاقة العضوية بين الحضارات والأديان. وقدم تعريفًا للحضارات يفيد بأن الحضارات تتضمن العقائد السائدة، والذاكرة التاريخية، والتواصل البشري، كما تتضمن الحضارات أيضًا الثقافات المتمايزة وصور الإبداع الإنساني المختلفة والمتفاعلة[2]. ومن خلال هذا التعريف الشامل والمتسع للحضارات أكد الملتقى على احترام التنوع الثقافي واعتباره ضرورة لتمكين الإنسان من التكيف والإبداع، وأن التواصل هو الأصل في سلامة العلاقات الإنسانية، وأن معرفة الآخر وفهمه، هي سبيل التقدم الإنساني، وأن الثقافة العربية والإسلامية جزء من تاريخ تقدم الأمم أخذًا وعطاءً، تأثيرًا وتأثرًا. وعلى هذا الأساس لا توجد حضارة تدعي حقًا مطلقًا في تقديم الصيغة النهائية للعيش والتصرف في عالم اليوم المتشابك أو تدعي انفرادها بالنهوض بالمسئولية إزاء الإنسانية كلها[3].

وقد احتوى إعلان ملتقى المفكرين العرب على العناصر التالية التي تحاول أن تضع الثقافة العربية والإسلامية في موضعها الصحيح بين الثقافات الأخرى:

١- اعتبار الإرهاب ظاهرة عالمية ومرفوضة، ونبذ التطرف والغلو في كل أشكاله، وإدانة اعتداء سبتمبر ٢٠٠١م مهما كانت دوافعه ومسوغاته ومصادره[4].

(١) المرجع السابق، ص٢٤٧.
(٢) إعلان ملتقى المفكرين العرب، مجلة شئون عربية، العدد ١٠٩، ربيع ٢٠٠٢م، ص٢٤٨.
(٣) المرجع السابق، ص٢٤٩.
(٤) المرجع السابق، ص٢٤٩.

٢- التضامن مع الجاليات العربية في الخارج وحمايتهم ودعم نشاطهم.

٣- البحث في المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية المولدة للفكر المتطرف وللخطاب المتشدد ولممارسة العنف. والتأكيد على دور العدوان الإسرائيلي على الحقوق العربية في توليد العنف في المنطقة، ويطالب الملتقى بالحل الشامل والعادل للصراع العربي الإسرائيلي، وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة.

٤- عدم الخلط بين الإرهاب والمقاومة الوطنية المشروعة ضد الاحتلال.

٥- إقامة العدالة الاجتماعية والتنمية الاقتصادية وتأسيس قيم الديموقراطية ومؤسساتها، ومحاربة الفساد، والدعوة إلى العدالة والديموقراطية الدولية. ورفض التدخل في الشئون الداخلية للشعوب، والحرص على تحقيق المساواة في التعامل بين أبناء الثقافات المختلفة وعلى أساس من الندية الإنسانية(١).

٦- صياغة سياسات فعالة لمواجهة التدهور الثقافي والاجتماعي، وتطوير البرامج التربوية والتعليمية، وتشجيع البحث العلمي.

٧- دعم مكانة المرأة في المجتمع، والاعتراف بدور المرأة في إثراء الحضارات المختلفة، وتمكينها من إعداد أجيال تنبذ العنف وتؤمن بثقافة الحوار(٢).

٨- التفاعل مع النقلة النوعية لثورة الاتصالات والمعلومات وتوظيفها لخدمة الثقافة العربية والإسلامية، وتقديم صورة موضوعية عن جهود التحديث والتنوير في العالم العربي والإسلامي.

٩- تأصيل وتعميم ثقافة السلام والعدالة لمنع حدوث الصراعات، والعمل على تسوية النزاعات الدولية وبخاصة النزاع في الشرق الأوسط، والإسهام في قيام نظام دولي جديد يحترم حقوق الإنسان بدون تفرقة أو تمييز(٣).

١٠- رفض تشويه القيم الإسلامية الخاصة بالمساواة والعدالة والتسامح، ورفض

(١) المرجع السابق، ص٢٤٩.
(٣) المرجع السابق، ص٢٤٩.
(٣) المرجع السابق، ص٢٥٠.

دعاوى التكفير، والتأكيد على احترام الجوار والحوار، والرأي والرأي الآخر، والتعددية الفكرية[٤].

١١- تضمن الإعلان بنودًا خاصة بالعلاقة بين الحضارتين الإسلامية والغربية، من أهمها :

- الاعتراف المتبادل بين الحضارتين وضرورة التعايش بينهما على أساس من الاحترام والتقدير.

- تعاون الحضارتين على مواجهة ظاهرة الإرهاب وتحقيق العدالة على المستوى العالمي..

- القضاء على فجوة عدم الفهم بين الحضارتين، ومواجهة صور التشويه المتبادلة.

- حل القضية الفلسطينية باعتبارها أحد أسباب سوء الفهم العالق بين الحضارتين.

- التأكيد على التعاون مع جميع الحضارات الإنسانية لخير البشرية واستقرارها[١].

***

(١) المرجع السابق، ص٢٥٠ .

# الباب الخامس

# أسس العلاقة المثلى بين الحضارة الإسلامية والحضارات: النظرية والآليات

الفصل الأول : التحديات الحضارية التى تواجه العالم الإسلامي المعاصر.

الفصل الثاني : أسس العلاقة المثلى بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى.

الفصل الثالث : وسائل وآليات تحقيق العلاقات الإيجابية والمثلى بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى.



# الفصل الأول

# التحديات الحضارية

# التى تواجه العالم الإسلامى المعاصر

أولاً: العولمة وتأثيرها في العلاقات الحضارية.

ثانياً: الشرق أوسطية والتحديات الثقافية.

ثالثاً: نظريات صراع الحضارات ونهاية التاريخ.

رابعاً: ثورة المعلومات والاتصالات والقنوات الفضائية.

خامساً: تحديات أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م.

سادساً: ظهور الأصوليات وصعود اليمين الديني المتطرف.

سابعاً: تحديات المشروعات الثقافية المطروحة على الساحة العالمية.

ثامناً: مشكلات حقوق الإنسان وقانون الحريات الدينية.

تاسعاً: قضايا المرأة في العالم المعاصر.

عاشراً: قضية الديموقراطية وتحدياتها.

حادى عشر: تحديات ظاهرت الإرهاب

# التحديات الحضارية
# التى تواجه العالم الإسلامى المعاصر

تواجه الأمة الإسلامية فى العصر الحالى عالمًا جديداً تسيطر عليه متغيرات جذرية تتطلب إعادة صياغة علاقة الإسلام بالعالم، وعلاقة الحضارة الإسلامية بالحضارات الأخرى. كما تتطلب صياغة موقف إسلامى جديد يتناسب مع هذه المتغيرات العالمية يحافظ على الثوابت الإسلامية، ويجدد فى نفس الوقت سبل الاتصال بالعالم غير الإسلامى، ويطرح آليات ووسائل جديدة لتحقيق هذا الاتصال.

ومن أهم المتغيرات العالمية التى تتطلب صياغة جديدة للموقف الإسلامى من الغرب ومن الحضارات الغربية والشرقية ما يلى:

**أولاً: العولمة وتأثيرها فى العلاقات الحضارية:**

تمثل العولمة الوجه الأخير من وجوه الحضارة الغربية الحديثة، وهى بلا شك تمثل المرحلة الأخيرة من مراحل تطور الحضارة الغربية. ولا يهمنا الآن الحديث عن الجانب السياسى والاقتصادى للعولمة، وذلك من أجل التركيز على الجانب الثقافى الذى سيؤدى بنا إلى تحديد موقف العولمة من حوار الحضارات باعتبار أن العولمة مرتبطة بالحضارة الغربية وبالثقافة الغربية.

ولا شك فى أن المرحلة الحالية من العولمة هى مرحلة تغيير المفاهيم والأفكار ذات الطابع الثقافى الإقليمى أو المحلى واستبدال الثقافة الإقليمية بثقافة عالمية.

ويشير مفهوم العولمة إلى أن الغرب يسعى إلى التخلص من الثقافات والحضارات الإنسانية، ويعلن الحضارة الغربية كحضارة واحدة ووحيدة للعالم. فقد اعتبر

فرانسيس فوكوياما الغرب هو نهاية التاريخ، واستبعد كل الأمم والحضارات الأخرى، كما أن صموئيل هنتنجتون فى نظرية «صدام الحضارات» يؤكد على صراع الغرب مع الحضارات الأخرى. والعولمة تضع أساسا لمرحلة جديدة من الصراع بين الحضارة الغربية والحضارات الأخرى، هذا الموقف الغربى المتمثل فى تبنى نظريات العولمة وصدام الحضارات ونهاية التاريخ يشكك فى قيمة حوار الحضارات.

فالحضارات حسب هذه النظريات تتصادم ولا تلتقى وبالتالى فالحوار بينها يصبح مستحيلا. ولا يتوقف الأمر عند حدود إمكانية الحوار بين الحضارات، ولكن يتجاوز هذا إلى تهديد وجود الحضارات غير الغربية من خلال الانتصار للحضارة الغربية، وتهديد الثقافات الوطنية والمحلية، والعمل على فرض هيمنة الثقافة الواحدة وهى الثقافة الغربية. والعولمة كما أنها مهددة لمفهوم الدولة ولاستمرارية الدول فى المستقبل فهى أيضاً مهددة للحضارات غير الغربية من حيث وجودها ومستقبلها. فالعولمة مرتبطة بالنظام الثقافى الغربى وبالحضارة الغربية، وتحمل فى طياتها تغييراً جذريا فى القيم والمبادئ والمعايير وأنماط السلوك، بل وتحمل معها أيضاً النظام الغربى فى مستوياته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والحضارية[1].

## ثانيا: الشرق أوسطية والتحديات الثقافية:

ترتبط الشرق أوسطية بالعولمة من حيث إنها نظام مستقبلى لمنطقة الشرق الأوسط يسعى إلى أن تتحول إسرائيل لتصبح المركز الاقتصادى والثقافى لمنطقة الشرق الأوسط. والشرق أوسطية مشروع أمريكى إسرائيلى يعمل على تحقيق الهيمنة الاقتصادية والثقافية لإسرائيل وتحويلها إلى البلد المحور أو المركز فى المنطقة.

وبهذا الشكل تعتبر الشرق أوسطية امتدادا للعولمة الأمريكية. وقد تم التعبير عن الشرق أوسطية من خلال مشاريع اقتصادية تسعى إلى إنشاء ما يسمى بالشرق الأوسط الجديد، وخلق سوق مشتركة تسمح لإسرائيل بالتوسع الاقتصادى وتشكيل حقيقة

(١) د. عبد العزيز بن عثمان التويجرى. الهوية والعولمة من منظور حق التنوع الثقافى. مجلة رسالة التقريب، العدد ٢٣ ربيع أول ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، طهران، ص ١٢٨.

إقليمية جديدة تقضى على التعاون العربى المشترك فى كل مجالاته، وتستبدل به التعاون المشترك مع إسرائيل فى ظل نظام اقتصادى جديد يحقق لإسرائيل الهيمنة فى ظل القدرة الإسرائيلية على التعامل مع معطيات العولمة العالمية. والشرق أوسطية هى مشروع العولمة المصغر لمنطقة الشرق الأوسط وتصبح التبعية فيه مركبة من تبعية للعولمة الأمريكية العالمية والتبعية للشرق أوسطية بمركزها الإسرائيلى.

وقد تم طرح مشروعين خطيرين للشرق أوسطية الأول قدمه شمعون بيريز فى كتاب له بعنوان: «الشرق الأوسط الجديد». والمشروع الثانى قدمه بنيامين نيتانياهو فى كتاب يحمل عنوان: «مكان تحت الشمس». والمشروعان لا يتوقفان عند حدود الطرح الاقتصادى التوسعى لإسرائيل بتحويل منطقة الشرق الأوسط إلى سوق للمنتج الاقتصادى الإسرائيلى، ولكنهما يتجاوزان الأفكار التوسعية السياسية والاقتصادية إلى طرح مشروعات ثقافية تهدف إلى نشر ما يسمى بثقافة السلام كجزء من مخطط يسعى إلى تحقيق قبول إسرائيل بالمنطقة والعيش معها فى سلام، ونبذ سياسات العنف تجاهها، وذلك بدون أن تغير إسرائيل من سياساتها العدوانية أو أن تتخلى عن تفوقها العسكرى، أو تهجر برنامجها النووى، وتترك ما يسمى بالخيار النووى.

ومشروع الشرق أوسطية يطرح تحديات ثقافية وحضارية خطيرة؛ فبالإضافة إلى تحقيق الهيمنة الثقافية لإسرائيل يرتبط المشروع بأبعاد ثقافية عنصرية قريبة من تلك المرتبطة بالعولمة. فالشرق أوسطية باعتبارها امتدادا للعولمة تفرض ثقافة أجنبية على شعوب المنطقة، وتنتصر للثقافة الإسرائيلية اليهودية وللحضارة الغربية، وترفض الثقافات الوطنية فى المنطقة، وتحارب الثقافة العربية الإسلامية والمسيحية، وتسعى إلى تغيير الوضع الثقافى العربى ، والحضارى[1].

### ثالثا: نظريات صراع الحضارات ونهاية التاريخ:

تعيش العلاقات الدولية فى الوقت الحالى فى أجواء الصراع التى طرحتها نظرية

(١) أنظر فى تفاصيل البعد الثقافى للشرق أوسطية والتحديات الثقافية التى تمثلها: محمد خليفة حسن. الشخصية الإسرائيلية، دراسة فى توجهات المجتمع الإسرائيلي. مركز الدراسات الشرقية. جامعة القاهرة. القاهرة ١٩٩٨، ص ٥٤-٥٩.

صراع الحضارات لصموئيل هنتنجتون، ونظرية «نهاية التاريخ» لفرانسيس فوكوياما. وقد عكرت هذه النظريات صفو العلاقات بين الشعوب، وتركت تأثيرها المباشر على العلاقات الدولية وبخاصة بعد وقوع أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١م والتى رأى فيها رجال السياسة فى أوروبا وفى الولايات المتحدة الأمريكية تصديقا لما عرضته هذه النظريات من تركيز على الإسلام وحضارته واعتبارها الخطر الجديد المهدد للغرب وحضارته بعد زوال الخطر السوفييتى.

ومن أخطر التحديات التى نتجت عن هذه النظريات الربط بين الإسلام والإرهاب، والإدعاء بالتهديد الإسلامى للغرب وحضارته، ووصم الحضارة الإسلامية بالتخلف. وهى تحديات خطيرة أفسدت العلاقات الإيجابية بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية، وألقت بظلال من الشك على العلاقات الحضارية بين الإسلام والحضارات الأخرى فى تشويه مباشر لحقائق التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية. وبالفعل تركز السياسة الأمريكية والأوروبية الحالية على صراع الحضارات والتخطيط للسياسة الخارجية من أجل الحفاظ على السيادة الحضارية والسياسية للغرب[1].

ويسعى الغرب دائما إلى توسيع دائرة الصراع مع الشرق عموما ومع العالم العربى والإسلامى على وجه الخصوص. ولم يتوقف الغرب عند حدود الصراع السياسى والعسكرى، ولكنه يسعى إلى تعميق الصراع فى شكله الاقتصادى من ناحية وفى شكله الثقافى الحضارى من ناحية أخرى. وقد طور الغرب بعض النظريات المؤكدة على هذا التوجه الغربى الجديد للصراع فى شكله الحضارى، وعلى إعادة صياغة العلاقات الدولية فى ضوء مفاهيم جديدة اختلطت فيها السياسة بالثقافة والحضارة مثل نظرية صراع الحضارات، ونظريات العولمة ونهاية التاريخ، إلى جانب نظريات أخرى مساعدة مثل ثقافة السلام وحوار الأديان.

كما أقحم الغرب قضايا حقوق الإنسان على القضايا السياسية وربط المعونات الغربية لدول العالم الثالث بالديموقراطية من ناحية وبالحفاظ على مبادئ حقوق الإنسان من ناحية ثانية، وتم تسييس حقوق الإنسان بحيث أصبحت مسوغاً للتدخل

(١) تركى الحمد. صراع الثقافات بين السياسة والتاريخ.. مجلة شؤون عربية، العدد ١٠٩، ربيع ٢٠٠٢، ص ١٠٢.

السياسى فى شئون الدول والتدخل العسكرى أيضاً كما حدث فى بلاد عديدة من بينها الصومال والبوسنة والهرسك. وأخيراً بدأ الغرب يخلط بين المقاومة الشرعية والإرهاب، واعتبر مقاومة الاحتلال شكلا من أشكال الإرهاب، والأمثلة على ذلك كثيرة فى فلسطين وفى أفغانستان وفى كشمير وغيرها.

كل هذه التعقيدات فى العلاقات الدولية لها طابع ثقافى ويتطلب من رجال السياسة والعسكرية فهم القاعدة الثقافية والخلفية الحضارية للنظام العالمى الجديد وللعولمة والشرق أوسطية، ومعرفة هذا الخلط المقصود بين السياسة والثقافة، والربط بين الهيمنة السياسية والاقتصادية والهيمنة الثقافية. ولم تعد حروب اليوم كحروب الأمس تعالج من خلال مبادئ سياسية وعسكرية خالصة، بل أصبحت الثقافة والحضارة جزءاً لا يتجزأ من البنية السياسية للمشاكل الدولية.

فمصطلحات العولمة، والشرق أوسطية، وصراع الحضارات والأديان لم تعد مصطلحات فكرية خالصة، بل هى مشحونة بالدلالات السياسية التى قد تنعكس فى آثار ونتائج عسكرية إلى حد تصبح معه العولمة والحضارات من أسباب نشوب الحروب بين الشعوب. وتشير المظاهرات العنيفة التى تصاحب مؤتمرات العولمة إلى إمكانية نشوب حروب مستقبلية بسبب العولمة التى تلقى مقاومة شرسة تزداد يوما بعد يوم بواسطة الشعوب والعديد من الحكومات.

أما نظرية صراع الحضارات فقد أصبحت نظرية فاعلة فى السياسة الدولية، ولها تأثير كبير فى توجيه سياسة الغرب تجاه الشرق وبخاصة فى صياغة السياسة الدولية للولايات المتحدة الأمريكية. فقد حدد صموئيل هنتنجتون صاحب نظرية صراع الحضارات، حضارتين من بين الحضارات الإنسانية واعتبرهما خطرا مهددا للغرب سياسيا قد ينتج عنه صدام عسكرى، وهاتان الحضارتان هما الحضارة الإسلامية والحضارة الصينية.

وهناك من يفسر الحرب الأمريكية التى بدأت بعد أحداث ١١ سبتمبر بأنها بداية الحرب ضد الدين الإسلامى وحضارته حيث تم نسبة أحداث ١١ سبتمبر إلى المسلمين، وبدأت بالفعل حرب ضد الأفغان المسلمين وضد العراق، وستتلوها حروب أخرى ضد سوريا وليبيا والصومال واليمن وإيران، وغيرها من الدول التى تمثل ما يسمى

بمحور الشر فى المفهوم السياسى الأمريكى والغربى، وهناك من يؤكد بأن حرب الحضارات قد بدأت بالفعل بالصراع الغربى ضد الإسلام وحضارته، وستتلوها فيما بعد الحرب ضد الحضارة الصينية.

وعندما تصبح الحضارات هى سبب الحروب فى المستقبل ندرك إدراكاً تاما قيمة الاهتمام الذى يجب أن يوليه رجال السياسة والعسكرية لصراع الحضارات ولكل القضايا الثقافية الأخرى المثيرة للصراعات العسكرية مستقبلا.

وفيما يتعلق بالصراع فى الشرق الأوسط فقد تحول بعد أحداث ١١ سبتمبر إلى صراع حضارات. فقد استغلت إسرائيل الأحداث الأمريكية ووظفتها لخدمة الأهداف الإسرائيلية، ونجحت فى إقناع الإدارة الأمريكية بأن الصراع مع الفلسطينيين هو جزء لا يتجزأ من الصراع ضد الإرهاب كما تفهمه الإدارة الأمريكية. وتم ربط الإرهاب فى الشرق الأوسط بالإسلام وحضارته كما فعل الأمريكيون تماما. والحرب الدائرة إذن هى حرب حضارية سببها الاختلاف الحضارى والثقافى، وأصبح الإسلام وحضارته الخطر الأول المهدد للغرب وحضارته ولإسرائيل كقاعدة حضارية غربية فى منطقة الشرق الأوسط. وتم تحديد محور الشر فى بلاد إسلامية مثل أفغانستان وإيران والعراق والبقية تأتى حتى يضم هذا المحور كل بلدان العالم الإسلامى.

وقد ترددت عبارات ذات دلالة ثقافية دينية حضارية على لسان بعض كبار زعماء الغرب، فالرئيس الأمريكى بوش وصف ما يحدث بأنه «حرب صليبية» بينما وصف رئيس الوزراء الإيطالى الصراع وصفا حضاريا صداميًا حين قابل بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية، واعتبر الأخيرة حضارة متدنية ومتخلفة إذا ما قوبلت بالحضارة الغربية. ولذلك فالحرب الدائرة هى حرب بين قوى التقدم وقوى التخلف، بين محور الخير ومحور الشر، بين النور والظلام.

والدفاع المطلوب الآن عن الدول العربية والإسلامية ليس مجرد دفاع سياسى عسكرى، ولكنه أصبح فى المقام الأول دفاعاً ثقافياً حضارياً، والمقاومة المطلوبة لم تعد فقط مقاومة سياسية عسكرية، بل أضحت أيضاً مقاومة ثقافية حضارية.

**رابعًا : ثورة المعلومات والاتصالات والقنوات الفضائية :**

يعيش العالم الآن ثورة جديدة هى ثورة المعلومات من خلال التطور الهائل فى وسائل الاتصالات، وهذا الفيضان المعلوماتى أو التفجر الخاص بالمعلومات، والدخول فى عصر الإنترنت والقنوات الفضائية، والأقمار الصناعية. وتمثل المعلومات مجال القوة الحديث. فمن يملك المعرفة يملك القوة فى إطار العولمة والنظام العالمى الجديد، وفى إطار الشرق أوسطية. ومن المعروف أن العلم والتكنولوجيا هما أدوات الحصول على المعرفة. والتقدم العلمى والتكنولوجى هو وسيلة الدول للحصول على القوة والمحافظة عليها[1].

وفى ظل هذا الفهم الجديد للمعلومات والتوظيف السياسى لها يواجه العالم الإسلامى المعاصر تحديا ثقافيا وحضاريا جديداً له أبعاده السياسية والثقافية الخطيرة على المستقبل الحضارى للعالم الإسلامى، وله آثاره السلبية على علاقة الحضارة الإسلامية بالحضارات الأخرى وبخاصة الحضارة الغربية.

وبالإضافة إلى التحدى العلمى والتكنولوجى الذى تطرحه ثورة المعلومات، هناك آثار سلبية ثقافية ستنتج عن التبعية الإعلامية للغرب والناتجة عن التبادل اللامتكافئ فى مجال الإعلام. ومن أهم مظاهر التبعية الإعلامية التدفق الإخبارى الدولى. فهو تدفق أحادى الاتجاه يعكس الهياكل السياسية والاقتصادية فى العالم، ويكرس تبعية العالم العربى والإسلامى للغرب. كما تمثل البرامج والأفلام والمسلسلات مظهراً ثانيا للتبعية الإعلامية، ويمثل الإعلان الدولى شكلا ثالثا من أشكال التبعية[2]. وينتج عن هذه التبعية انتشار الثقافة الغربية والقيم والسلوكيات غير الإسلامية، وانتشار الصور السلبية عن الإنسان العربى والمسلم، وتعميق للتشويه المتعمد لصورة الإسلام والحضارة الإسلامية، والترويج للثقافة الاستهلاكية، وسيادة المنتج الغربى، فضلا عن اتساع خطر الذوبان فى ثقافة عالمية يسودها المعايير الثقافية والاجتماعية الأجنبية.

---

(١) د. نبيل علي، الثقافة العربية وثورة المعلومات، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ٢٠٠٠م.

( ) عبد السلام نوير: «التبعية الإعلامية العربية» «مظاهرها وآثارها» فى مجلة مستقبل العالم الإسلامى، العدد ٩، ١٩٩٣ مالطا. ص ١٩٣، ٢٠٠.

### خامسا: تحديات أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١:

وقعت أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١م فى نفس العام الذى اعتبرته الأمم المتحدة عام حوار الحضارات، ودعمت فيه العديد من الأنشطة الدولية المؤيدة لفكرة حوار الحضارات. وجاءت أحداث سبتمبر لتضع نهاية للحوار الحضارى، وتتبنى بشكل صريح فكرة صراع الحضارات التى طرحها مؤيدوها فى الغرب من أمثال برنارد لويس المستشرق الصهيونى، وصموئيل هنتنجتون، وفرانسيس فوكوياما وغيرهم. وأصبح لمفهوم صدام الحضارات حضوره القوى فى السياسة الدولية بعد أحداث سبتمبر وبخاصة من جانب الولايات المتحدة الأمريكية وبعض الدول الأوربية التى اتخذت خطوات عملية نحو توجيه السياسة الدولية نحو حرب الحضارات، والتركيز على الحضارة الإسلامية واعتبارها محور التهديد الأساسى للغرب وحضارته.

ومن أهم الآثار الناجمة عن أحداث سبتمبر الاتهامات الغربية الموجهة إلى الإسلام والعرب، وذلك بربط الإسلام بالإرهاب، وإلصاق تهمة انفجارات مبنى التجارة العالمى بأسماء عربية مسلمة، واستغلال الإعلام الصهيونى للحدث استخداما سيئاً لتشويه صورة العرب والمسلمين. وقد نتج عن ذلك مضايقات عديدة لأبناء الجاليات العربية والإسلامية فى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا والبلاد الأوربية. ونجحت إسرائيل فى استثمار مناخ الغضب والإحباط الناتج عن أحداث سبتمبر فى تغيير الخطاب السياسى والدينى والحضارى الغربى فى اتجاه معاداة العرب والمسلمين، وتشويه صورة الإسلام والحضارة الإسلامية.

### سادسا: ظهور الأصوليات وصعود اليمين الدينى المتطرف:

يواجه العالم الإسلامى فى الفترة الأخيرة تطور ظاهرة الأصوليات المعادية للإسلام وحضارته بشكل صريح ومباشر ومن بينهما الأصولية اليهودية، والأصولية المسيحية، والأصولية الهندوسية. وقد أدت هذه الأصوليات إلى تجديد المواقف الدينية التقليدية العدائية تجاه الإسلام. وقد أضاف هذا التطور للأصوليات أبعاداً جديدة لم تكن موجودة فى السابق فى علاقة الأديان الأخرى بالمسلمين. ومن أهم هذه الأبعاد الربط بين الإسلام والإرهاب، واتهام المسلمين بالعنف والعدوانية، واتهام الثقافة الإسلامية

بأنها ثقافة مُولِّدة للعنف ودافعة إلى الإرهاب . وتعد الأصوليات الدينية مسئولة عن صياغة الصورة الحالية للإسلام وللحضارة الإسلامية فى الذهنية الغربية ، ولها دور كبير فى تقوية مشاعر الكراهية للإسلام وحضارته . ومن أهم أشكال هذه الصورة التى نشرتها الأصوليات الدينية عن الإسلام أنه دين الإرهاب والعنف بهدف توجيه السياسات الغربية نحو مواجهة المسلمين كمصدر للإرهاب ، وضرب بعض دول العالم الإسلامى بدعوى دعمها للإرهاب .

والشكل الثانى من أشكال هذه الصورة الأصولية عن الإسلام ربط الإسلام بالتخلف الحضارى ومعاداة الديموقراطية ، وعدم الاعتراف بالتعددية الدينية والحضارية[1] . أما الشكل الأخير والخطير فهو اعتبار الإسلام يمثل تهديداً للغرب وللحضارة الغربية وتهديدا للمجتمع الديموقراطى . وأن الإسلام ما هو إلا بربرية مطلقة ويقف عقبة أمام الغرب المتحضر . وتمخض عن هذا التوجه عدة نظريات خطيرة ومهددة لعلاقة الغرب بالإسلام منها نظرية العدو الجديد البديل للشيوعية ، ومنها نظرية صراع الحضارات .

وقد كونت هذه الأصوليات الدينية ما يشبه التحالف ضد الإسلام والمسلمين . ومن أخطر هذه التحالفات الأصولية تحالف الأصولية المسيحية مع الأصولية اليهودية ومع الصهيونية وتبنى الأصولية المسيحية لفكرة إعادة اليهود إلى فلسطين وحكم هذه الأصولية على فلسطين بأنها بلد يهودى وليس مسلما[2] . وتعمل هذه الأصولية من خلال مؤسسات ومنظمات ذات طابع دينى من أهمها منظمة جبل المعبد التى تعمل على هدم المسجد الأقصى وإقامة الهيكل مكانه .

وتتمثل خطورة اليمين الدينى المسيحى فى انتشاره وسيطرته على المؤسسات التعليمية والإعلامية والمالية فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وكذلك انتشاره بين رجال

---

(١) محمد خليفة حسن ، البعد الدينى للصراع العربى الإسرائيلى ، مركز الدراسات الشرقية جامعة القاهرة ، ١٩٩٩م ، ص ١١-٢٣ ، وانظر يوسف الحسن . البعد الدينى فى السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربى الصهيونى . دراسة فى الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية . مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت — ١٩٩٠م .

(٢) راسم محمد الجمال . الإسلام والغرب بين الفجوة المعرفية والمواجهة الأصولية . مجلة المستقبل العالم الإسلامى . العدد ٩ شتاء ١٩٩٣م مالطا ، ص ٤٨-٤٩ .

الأعمال وأعضاء الكونجرس المؤثرين على سياسة الولايات المتحدة الأمريكية فى الشرق الأوسط، ولمصلحة إسرائيل والأصولية اليهودية[1].

والتحدى الكبير الذى تمثله الأصولية المسيحية المتحالفة مع الأصولية اليهودية يتمثل فى هذا التشويه المقصود للإسلام وللحضارة الإسلامية والذى يصل إلى قمته فى اعتبار الإسلام وتصويره فى الذهنية الغربية على أنه مصدر خطر كبير على الغرب والحضارة الغربية. وهو تصور أفسد العلاقات بين الغرب والمسلمين، وشوه صورة الإسلام والحضارة الإسلامية بشكل لم يسبق له مثيل فى تاريخ العلاقات الإسلامية الغربية.

## سابعا: تحديات المشروعات الثقافية المطروحة على الساحة العالمية:

يواجه العالم الإسلامى خلال القرن الحادى والعشرين بمجموعة من المشروعات الثقافية العالمية المطروحة على الساحة الدولية والمصدرة من المجتمع الغربى إلى بلدان العالم العربى، والتى يجب تطوير موقف إسلامى منها ليس فى شكل رد فعل إسلامى تجاه هذه المشروعات، ولكن فى شكل رؤية إسلامية إيجابية تهدف إلى فهم واستيعاب هذه المشروعات الثقافية، وتحديد موقف إسلامى منها. وليس من الضرورى أن يكون هذا الموقف سلبيا بل يجب أن يتفق مع طبيعة المشروع الثقافى المطروح عالميا. وطبيعة الإسهام الإسلامى فى هذا المشروع إذا كان له وجود فى الثقافة الإسلامية. وكيفية تطوير إسهام إسلامى فعال يؤدى إلى تحقيق مشاركة إسلامية إيجابية فى هذه المشروعات الثقافية العالمية مع محاولة الحد من سلبيات هذه المشروعات وإبراز إيجابياتها بالنسبة للثقافة الإسلامية.

ومن أهم التحديات الثقافية العالمية المطروحة حاليا والتى تتطلب موقفاً إسلاميا موحداً ووضع رؤية ثقافية إسلامية تحقق إسهاما إسلامياً فى الثقافة العالمية ما يلى:

١- تحديات العولمة وبخاصة فى بعدها الثقافى بما تطرحه من ثقافة غربية ساعية إلى السيادة على الثقافات الأخرى والقضاء على التعددية الثقافية وخطورة ذلك على الثقافة الإسلامية.

(١) المرجع السابق، ص ٤٩، وانظر فى نشأة الأصولية المسيحية فى أمريكا مايكل كوربت وجوليا كوربت الدين والسياسة فى الولايات المتحدة الأمريكية ترجمة عصام فايز وناهد وصفى مكتبة الشروق ٢٠٠١، ص ١٤١-١٥٢.

٢- مشروع الفرانكفونية .

٣- مشروع الشرق أوسطية .

٤- مشروع منتدى حوض البحر الأبيض المتوسط ببعده الثقافى .

٥- مشروع ثقافة السلام .

٦- الحوار بين الأديان .

٧- الحوار بين الحضارات .

ونقترح فى البداية وضع آلية يتم من خلالها دراسة هذه المشروعات دراسة إسلامية قائمة على أساس من خطوات علمية واضحة تعتمد على :

١- الوصف الموضوعى لهذه المشروعات .

٢- التحليل العلمى الدقيق لأبعاد هذه المشروعات مع التركيز على البعد الثقافى وهو الذى يهم واضعى الاستراتيجية الثقافية الإسلامية مع تحديد إيجابيات وسلبيات هذه المشروعات ، وتحديد خطورة هذه المشروعات على الثقافة الإسلامية .

٣- البعد العالمى والإسلامى الموضوعى والبناء للمحتوى الثقافى لهذه المشروعات وتحديد :

أ- الموقف الإسلامى الموحد من هذه المشروعات فى بعدها الثقافى .

ب- تكوين رؤية إسلامية ثقافية تسهم فى :

* الحد من التأثيرات السلبية الثقافية لهذه المشروعات ومواجهة هذه السلبيات .

* الإفادة من الجوانب الإيجابية فى هذه المشروعات الثقافية ، وتوظيف هذه الجوانب الإيجابية إسلاميا .

* تحديد الإسهام الإسلامى الفعال فى هذه المشروعات الثقافية والتحول من مرحلة الدفاع وردود الفعل إلى مرحلة المساهمة الإسلامية فى هذه المشروعات وتطويعها لتخفيف حدة آثارها السلبية ، وخلق دور ثقافى إسلامى عالمى من خلال المشاركة الإسلامية الإيجابية فى هذه المشروعات .

### ثامنا : مشكلات حقوق الإنسان وقانون الحريات الدينية :

يواجه المسلمون اتهاما غربيا جديداً وهو عدم احترام حقوق الإنسان، وممارسة الاضطهاد الدينى ضد الأقليات غير المسلمة فى العالم الإسلامى. وقد صعدت الولايات المتحدة الأمريكية من هجومها على العالم الإسلامى من خلال وسيلتين : الأولى تسييس حقوق الإنسان، وتوظيفها سياسيا، وممارسة التدخل فى الشئون الداخلية للدول الإسلامية بدعوى الحفاظ على حقوق الإنسان[1].

والوسيلة الثانية مرتبطة بالأولى وهى إصدار قانون الاضطهاد الدينى الأمريكى الذى تم توقيعه فى ٢٨ أكتوبر ١٩٩٨م. ويهدف إلى جعل الولايات المتحدة الأمريكية وصية على الأقليات الدينية فى العالم، ويمنحها حق الرصد وفرض العقوبات، وقطع المساعدات أو ربطها بحقوق الإنسان والتدخل العسكرى إذا لزم الأمر لحماية المضطهدين دينيا. وتم تأسيس لجنة الاضطهاد الدينى التابعة لوزارة الخارجية الأمريكية والتى أصدرت تقريرها الأول فى سبتمبر ١٩٩٩ عن الاضطهاد الدينى، وتم توجيه الاتهام إلى ثلاثين دولة إسلامية بأنها مضطهدة للأقليات الدينية. ويقوم « قانون الاضطهاد الدينى » على ثلاثة أسس خاطئة وهى أن هناك اضطهادا دينيا موجها ضد المسيحيين، وأن الإسلام مصدر هذا الاضطهاد، وأن الولايات المتحدة الأمريكية هى حامية المسيحية فى العالم الشرقى[2]. والقانون بلا شك يمثل إحدى وسائل فرض الهيمنة الأمريكية، ويمثل هذا القانون تحديا جديداً فى شكل اتهام موجه إلى العالم الإسلامى يتطلب الدفاع عن الإسلام وحضارته ضد هذا الاتهام.

وقد أشار الدكتور جعفر عبد السلام إلى أن الإسلام أكد على مبدأين أساسيين وهما : مبدأ العدالة ومبدأ المساواة. وكلاهما له صلته القوية بمفاهيم حقوق الإنسان. وقد عالج الإسلام حقوق الإنسان من عدة زوايا منها حق الفرد داخل الأسرة وداخل المجتمع وتجاه الدولة. ويؤكد الدكتور جعفر عبد السلام أن قضية حقوق الإنسان

---

(١) انظر في تفاصيل هذا القانون، سمير مرقص، الحماية والعقاب، الغرب والمسألة الدينية في الشرق الأوسط من قانون الرعاية المذهبية إلى قانون الحرية الدينية، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص١٤٦.

(٢) عبد الله بن عبد العزيز البحيى، قانون الاضطهاد الدينى الأمريكى. قضايا وملاحظات، الرياض ١٤٢٢هـ، ص ٥٠.

وحرياته من المنظور الإسلامى تحتاج إلى طرح جديد يتفق مع المنهج الإسلامى من البحث وأسلوب الاستدلال والاستنباط، ويحتاج إلى دراسة متعمقة للمبادئ التى جاء بها الإسلام[1].

### تاسعاً: قضايا المرأة فى العالم المعاصر:

من التحديات الحضارية المهمة التى يطرحها الغرب ضد الإسلام اتهام المسلمين باضطهاد المرأة وذلك من خلال هجوم شامل على نظام الأسرة فى الإسلام مع التركيز على وضع المرأة فى النظام الاجتماعى الإسلامى، واتهام الإسلام بعدم المساواة بين الرجل والمرأة، وحرمان المرأة من أية حقوق أو حريات، والمطالبة بتحرير المرأة المسلمة، وإثارة مسألة تعدد الزوجات وتفسيرها تفسيرا يؤكد على اضطهاد المرأة. ويوصف هذا الوضع الخاص بالمرأة بأنه لا يتفق مع حقوق المرأة فى العصر الحديث.

وعلى الرغم من أن هذا الهجوم على وضع المرأة فى الإسلام ليس جديداً فقد أثاره المستشرقون من قبل وعرضوه كواحدة من أهم الشبه الاستشراقية حول الإسلام[2]، فإن الموضوع يعرض الآن عرضاً جديداً فى ضوء مبادئ حقوق الإنسان والتسييس الذى أضفاه الغرب على هذه المبادئ والذى أعطاه الحق فى التدخل فى الشئون الداخلية للشعوب.

ويتطلب الأمر إعادة صياغة الرد الإسلامى على هذا الاتهام الاستشراقى القديم والاتهام الغربى الحديث من منطلق مبادئ حقوق الإنسان وللدفاع عن التوجه الحضارى للإسلام فى وضع المرأة وقضاياها فى العصر الحديث.

### عاشراً: قضية الديموقراطية وتحدياتها:

يطرح الغرب — وبقوة — موضوع الديموقراطية وغيابها فى المجتمعات الشرقية

---

(١) د. جعفر عبد السلام: حقوق الإنسان فى المنظور الإسلامى، الأهرام ٣٠ يونيو ٢٠٠٢م، ص١٢.

(٢) انظر تفاصيل هذه القضية فى كتاب آثار الفكر الاستشراقى فى المجتمعات الإسلامية تأليف محمد خليفة حسن. دار عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.. القاهرة ١٩٩٧، الصفحات ٦٣ ـ ٨٧.

وبخاصة فى المجتمعات الإسلامية، ويتهمون النظم الإسلامية كلها بأنها نظم استبدادية، ويستثنون إسرائيل التى يعتبرونها واحة الديموقراطية فى المنطقة. وعادة ما يتم ربط النظام الديموقراطى بالغرب وحضاراته، وربط الاستبداد بالشرق وحضاراته. وقد تم طرح الديموقراطية أخيرا كقضية مرتبطة بحقوق الإنسان، وبقضية الحريات الدينية، وتم تسييس هذه القضايا لإعطاء الغرب الحق فى التدخل السياسى والعسكرى فى شئون الشعوب الشرقية المتهمة بأنها ضد الديموقراطية. أما الطرح الأخير لقضية الديموقراطية فقد تم من خلال ما يسمى بالمبادرة الأمريكية لنشر وتعزيز الديموقراطية فى الدول العربية والإسلامية. وقد تم تحديد ثلاث حالات حيوية لتعميم الديموقراطية، وهى المناهج التعليمية، ومجال الاقتصاد، والإصلاح السياسى.

هذا الطرح الغربى لمسألة الديموقراطية يضيف مزيدا من التحديات للعالم العربى والإسلامى، ويشير إلى مزيد من التدخل الغربى فى سياسات الشعوب العربية والإسلامية. وهو طرح يرتبط بالرؤية الحضارية الغربية للعالم العربى والإسلامى، وهى رؤية تميل إلى الاعتقاد فى تخلف المجتمع الإسلامى حضاريا لالتزامه بالدين وبعده عن العلمانية[1]. ويغفل الغرب كون الإسلام دينا وحضارة لها أسس مغايرة للأسس العلمانية للحياة الغربية. ويسعى الغرب إلى تغيير المجتمع الإسلامى بفرض قيم الحضارة الغربية عليه.

### حادى عشر: تحديات ظاهرة الإرهاب:

لاشك فى أن الأحداث التى وقعت فى ١١ سبتمبر ٢٠٠١ تمثل مرحلة جديدة تماما فى تاريخ النشاط الإرهابى كما أنها - بلا شك - تمثل مرحلة جديدة فى تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية. وإذا كان تاريخ بعض البلاد يؤرخ بالحروب التى تقع فيها كما تؤرخ لمصر مثلا بحروب ١٩٥٦، ١٩٦٧، ١٩٧٣ فإن تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية سيؤرخ لمرحلته الجديدة بحوادث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ لكى تضم إلى أهم حادثة عسكرية فى تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية الحديث، وهى حادثة بل هاربر التى مثلت هى الأخرى مرحلة جديدة فى تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية.

(١) Ali Mazuri, Islamic and Western Values, Foreign Affairs, Vol. 76. No. 5, Sept. 1997.

بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١ لم يعد الإرهاب هو ذلك الإرهاب المحدود الذى يحدد له أهدافاً صغيرة يخطط لها بدقة وينفذها ويحقق من ورائها مكاسب محدودة. فعمليات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ تمثل نقلة نوعية فى النشاط الإرهابى على مستوى الفكر والتخطيط، وعلى مستوى الأهداف والاستراتيجيات، وعلى مستوى الإعداد والتدريب والأدوات والآليات.

تم تحديد هدف كبير وهو ضرب الولايات المتحدة الأمريكية فى عقر دارها ووسط عنفوانها وهيمنتها وشعورها بالأمان الناتج عن الهيمنة العالمية. ولذلك أتت الضربة قاسية ولا تعبر عن القوة الحقيقية للولايات المتحدة الأمريكية. ولكنها عبرت بشدة ووضوح عن القوة الحقيقية للإرهاب.

وعلى الرغم من عدم القدرة حتى الآن على تصور طبيعة القوة الإرهابية التى ضربت الولايات المتحدة الأمريكية وهزمتها هزيمة شديدة وبخاصة إذا نظرنا إلى حجم الخسائر البشرية والمادية، والرموز المضروبة وهى قلاع السياسة (البيت الأبيض والكونجرس) وقلاع العسكرية (البنتاجون) وقلاع التجارة العالمية والاقتصاد العالم (المركز التجارى العالمى) ... على الرغم من هذا كله فإننا أمام قوة إرهابية عالمية من نوع جديد قادرة على هزيمة دول كبرى مسلحة بأعتى الأسلحة وأحدثها ومحصنة عسكريا. هذه القوة سيكون فى مقدورها بعد ضرب الولايات المتحدة الأمريكية أن تضرب أية دولة أخرى فى العالم وبإمكانات أقل كثيرا من تلك التى أظهرتها فى أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م.

ومن أهم الآثار الفورية لأحداث ١١ سبتمبر بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية أنها أصبحت بلا حكومة حيث اختفت كل السلطات الحاكمة كما أصبحت بلا رئيس للحكومة لمدة يوم كامل وبشكل متقطع فى عدة أيام تالية، كما أنها أصبحت بلا سلطة نيابية أو تشريعية حيث أغلق الكونجرس أبوابه واختفى أعضاؤه مع الحكومة. وهذا الخوف والذعر الذى أصاب الحكومة الأمريكية كان سببه الرئيس هو عدم معرفة العدو ومن أين تأتى الضربات. وهذا كله معبر عن فشل مخابراتى ذريع، وعن فشل فى إدارة الأزمة بسبب اختفاء السلطات المسئولة عن إدارة الأزمة وصناعة القرار.

**ونستخلص من هذه الأحداث وما واكبها من سلوك سياسى أمريكى ما يأتى :**

١- أن الإرهاب أصبح ظاهرة حديثة معقدة ومركبة وقادرة على إرباك أعظم حكومات العالم الحديثة، بل وإسقاط بعض الدول والنظم السياسية .

٢- أن الإرهاب كقوة عالمية جديدة يختلف عن كل القوى المعروفة عالمية أو إقليمية أو محلية، فهو لا يأخذ شكل الدولة أو النظام السياسى، ولكنه يأخذ شكل التنظيمات السرية ذات الأهداف والاستراتيجيات العالمية، وإنه كقوة قادر على فعل ما لا تستطيع القوى النظامية أن تفعله .

٣- أن الإرهاب قوة عالمية لا يمكن مواجهتها بالسبل التقليدية فهو قوة خفية سرية تعمل فى الخفاء، وقواعدها مجهولة، وإمكاناتها ضخمة، ومواردها المالية عظيمة تفوق إمكانات بعض الدول. والحرب النظامية التقليدية لا تؤدى إلى نتيجة إيجابية فى مقاومة الإرهاب كقوة عالمية .

تشير العملية الإرهابية ضد الولايات المتحدة الأمريكية إلى أن قوة الإرهاب العسكرية بلغت درجة من التطور والتعقيد بحيث إنها أصبحت تمثل خطرا كبيرا على مستقبل العديد من الدول مثل الدول الصغيرة والمتخلفة وكثير من دول العالم الثالث، بل أصبحت مهددة بشدة لبعض الدول القوية كما حدث مع الولايات المتحدة الأمريكية .

ويجب أن نلاحظ أن قوة الإرهاب العسكرية ليست قوة نظامية يمكن مواجهتها بالطرق العسكرية التقليدية أو بالحرب العسكرية النظامية الأمر الذى يجعل من الصعب على الدول الصغيرة مواجهة مثل هذه العمليات الإرهابية .

وستؤدى قوة الإرهاب إلى تغيير فى الخريطة السياسية لدول العالم بحيث يمكن أن نتصور ما يلى :

١- سيطرة قوى الإرهاب سيطرة تامة على بعض الدول والحكومات ويضرب المثال الآن بأفغانستان .

٢- دور قوى للإرهاب فى توجيه سياسة بعض الدول الأخرى .

٣- دور قوى للإرهاب فى إسقاط بعض الحكومات من خلال عمليات إرهابية . ومثل هذا الأمر كان من الممكن أن يحدث فى الولايات المتحدة الأمريكية كرد فعل تجاه نجاح العملية الإرهابية على كل المستويات .

٤- تخوف بعض الدول الكبرى من قوى الإرهاب بعد حادثة ١١ سبتمبر ٢٠٠١م وقد عبرت بريطانيا مثلا عن هذا التخوف من خلال قول أحد مسئوليها بأن بريطانيا تمثل الهدف التالى بعد الولايات المتحدة الأمريكية .

الخلاصة أن الإرهاب أصبح قوة حقيقية مهددة لأمن معظم دول العالم وعامل من عوامل سقوط الحكومات، وتغيير السياسات، وسيكون له دور كبير فى تشكيل الخريطة السياسية فى العالم فى القرن الحادى والعشرين .

والتحديات التى تمثلها ظاهرة الإرهاب بالنسبة للعالم الإسلامى تتمثل فى أن الغرب وأمريكا اعتبرا العالم الإسلامى المصدر الأول للأعمال الإرهابية وللتفكير الإرهابى، وتم الربط بين الإسلام والإرهاب بشكل قوى فى الذهنية الغربية . ويتطلب الأمر جهودًا ضخمة من جانب المسلمين للتخلص من آثار هذا الربط بين الإسلام والإرهاب، وتصحيح صورة الدين الإسلامى وحضارته لدى العقل الغربى .

***



# الفصل الثاني

# أسس العلاقة المثلى

# بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى

أولاً: البنية الحضارية للإسلام وأخلاقية الفعل الحضاري.

ثانياً: أسس العلاقة المثلى بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى:

١- غاية الحضارة، سعادة الإنسان ورفاهيته.

٢- الاعتراف بالحضارات الأخرى.

٣- الاعتراف بحق الاختلاف الثقافي والحضاري.

٤- الإيمان بمبدأ الدفع الحضاري وليس التحدي المؤدي للصراع.

٥- الإيمان بالالتقاء الحضاري وليس بالصدام الحضاري.

٦- مبدأ عدم احتكار المنجز الحضاري.

٧- الاعتراف بحقوق الإنسان.

٨- الاعتراف بحقوق الأقليات والطوائف.



# أسس العلاقة المثلى

# بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى

## أولا : البنية الحضارية للإسلام وأخلاقية الفعل الحضارى :

ينفرد الإسلام من بين الأديان الأخرى ببنيته الحضارية. فمن الملاحظ أن الحضارات الإنسانية المختلفة ارتبطت جميعها بشعوبها، بينما ارتبطت الحضارة الإسلامية بدينها وهو الإسلام. ولذلك يعد ارتباط الحضارة بالدين إحدى أهم خصائص الحضارة الإسلامية ولهذه الخاصية تأثيرها وانعكاسها على علاقة الإسلام بالحضارات الأخرى. وفى نفس الوقت نجد من الصعب الحديث عن حضارة هندوسية أو بوذية، أو كونفوشيوسية، أو يهودية أو مسيحية[1].

والحضارة الغربية الحديثة لا يمكن نسبتها إلى ديانات الغرب وهى اليهودية والمسيحية، ولكنها حضارة مستقلة عن الدين استقلالا تاماً، بل ومتبنية لاتجاه سلبى ضد الدين، فهى حضارة علمانية خالصة. وقد حاول بعض المستشرقين تجزئة الحضارة الإسلامية والتخلص من نسبتها إلى الإسلام، فنسبوا الحضارة الإسلامية إلى الأمم الإسلامية المختلفة فقالوا بالحضارة العربية، والحضارة الإيرانية، والحضارة التركية إلى غير ذلك من التقسيمات التى كان هدفها الأول رد الحضارة الإسلامية إلى الشعوب، وعدم الاعتراف بالصفة الإسلامية لهذه الحضارة الشاملة. وهذه تحديدات حضارية خاطئة، وتتصف بعدم الدقة، وتستبعد عن قصد الصفة الإسلامية للحضارة مركزة

(١) محمد فتحى عثمان: القيم الحضارية فى رسالة الإسلام، الدار السعودية للنشر والتوزيع. جدة ١٩٨٢، ص ٤٣؛ وانظر أيضًا : سعيد عبدالفتاح عاشور، المدنية الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوربية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٣م، ص١٢.

على الصفة اللغوية الثقافية، كما تهمل أيضاً طابع الإسلام الذى يظهر فى الأصول العقيدية الفكرية للحضارة الإسلامية.

إن حضارة الإسلام أساسها العقيدة. فالإسلام دين ومجتمع ومدنية وحضارة فى نفس الوقت[1]. ويشهد تاريخ الشعوب والبلدان الإسلامية بترابط الجانبين الروحى والمادى فى حضارة تقوم على أساس الدين. وتستند قيم الحضارة الإسلامية إلى أسس عقيدية أخلاقية. فالحضارة الإسلامية نسيج الإسلام، ونظام تحقق غاياته، والإسلام يمثل كيان الحضارة الإسلامية، وضابط نظام أجزائها، وإنجازاتها وظاهراتها، والإسلام هو الكيان الفكرى للحضارة الإسلامية وعلله ومصادره وتجلياته فى القوى والعمل والتطلعات، ومعايير حكمه على الوجود والأشياء وعلاقات البشر بالعالم وتنظيم اجتماعهم فيه[2].

وقد ارتبطت المنجزات الحضارية الإسلامية بالقيم الإسلامية وبالدين الإسلامى ارتباطاً عضويا مباشراً[3]. فقد أحدث الإسلام التوازن المطلوب بين الدين والدنيا، وربط الأمور الدنيوية بالدين، وجعل الدين رقيبا على ما ينجزه الإنسان من حضارة. ومن المعروف أن الأديان السابقة على الإسلام انقسمت إلى ديانات دنيوية اهتمت بالحياة الدنيا وأنتجت ثقافة مادية خالية من الصفة الدينية والأخلاقية، وديانات زهد وتقشف أهملت الحياة الدنيا واعتبرتها شرا يجب تحقيق الخلاص منه بالهروب من الدنيا وهجر الحياة المادية. وقد حقق الإسلام التوازن المطلوب بين مطالب الدين والدنيا، وأنتج حضارة متوازنة هدفها تحقيق سعادة الإنسان فى الدنيا والآخرة فأصبحت الحضارة النموذج فى تاريخ العالم.

لقد اتصفت الحضارة الإسلامية ببنيتها الأخلاقية، وهى بنية مستمدة من طبيعة الدين الإسلامى وباعتبار الحضارة الإسلامية حضارة دينية مرتبطة بالدين الذى استمدت منه قيمها الأخلاقية. والتجربة الحضارية فى الإسلام تولِّد فى المسلم منظومة

---

(١) حسين مؤنس: الحضارة. سلسلة عالم المعرفة، الكويت ١٩٧٨م، ص ٣٧٣.
(٢) نبيل على صالح. «الحضارات والثقافات بين واقع الصراع وطموح الحوار»، مجلة المنهاج. السنة السادسة ربيع ٢٠٠١م، بيروت، ص ٢٩١.
(٣) محمد فتحى عثمان: مرجع سابق، ص ٥٠.

من القيم الحضارية التى تنظم سلوك المسلم داخل المجتمع وتخلق المجتمع المثالى، وتنظم للمسلم أيضاً علاقته بالآخر فتخلق العلاقة المثلى بين المسلم وغير المسلم، وتعطى لغير المسلم الفرصة الإيجابية للمشاركة الفعلية فى المنجز الحضارى بدون تمييز أو تعصب، وفى ظل تسامح حضارى مستمد من سماحة الدين الذى خلق الحضارة الإسلامية.

وفى الحضارة الإسلامية لا يمكن فصل الفعل الحضارى عن الأخلاق فهو يرتبط بالفعل على المستوى الدينى فهو إما عمل خير أو شرير، أو هو عمل حلال أو حرام. ولا يمكن للحضارة الإسلامية أن تؤسس على فعل غير مقبول دينيا أو أخلاقيا. ويؤكد الدكتور محمود زقزوق على أن «الحضارة مسئولية فهى تعد التزاماً أخلاقيا يجعل المرء على وعى بالمسئولية الكبيرة التى يتحملها الإنسان عن أفعاله الخاصة وعن العالم الذى يعيش فيه»[١]. وللحضارة بعد أخلاقى يتمثل فى «الالتزام بمجموعة القيم الأخلاقية التى تشير إلى سيادة العقل على نوازع الإنسان، وما ينتج عن ذلك من التزام أخلاقى مسئول»[٢].

كما أن الفعل الحضارى مرتبط فى الإسلام بطبيعة الإنسان. ولأن طبيعة الإنسان فى الإسلام طبيعة خيرة فالفعل الحضارى للمسلم يتصف بالخيرية مرتبطا بخيرية الإنسان الذى فعله. وقد ميز هذا الحضارة الإسلامية عن غيرها من الحضارات الأخرى التى نشأت حول مفهوم سلبى عن المادة وعن الإنسان. فالمادة شر والإنسان شرير بطبيعته والحضارة الناتجة عن هذا الفهم لعدم خيرية المادة والإنسان حضارة سلبية. كما أن الاعتقاد فى أن الإنسان مخطئ بالفطرة فى اليهودية والمسيحية أدى إلى الاعتقاد فى أن كل ما يفعله الإنسان من أفعال، ومن بينها الفعل الحضارى، فهو خطأ فالإنسان المخطئ بالفطرة لا ينتج عنه إلا كل ما هو خطأ.

وقد نظر فى المسيحية إلى المادة على أنها شر، وإلى الإنسان على أنه مخطئ بالفطرة، وتفاعل الإنسان المخطئ مع المادة الشريرة لا ينتج إلا حضارة خاطئة[٣].

(١) محمود حمدى زقزوق: الدين والحضارة، سلسلة قضايا إسلامية، العدد ١٤، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. القاهرة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص ٨٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٩٢.

(٣) محمد خليفة حسن: تاريخ الأديان، دراسة وصفية مقارنة. القاهرة ٢٠٠٠م، ص ٣٠١.

ولذلك من الصعب أن ننسب إلى المسيحية حضارة مادية إيجابية لأن المنجز الحضارى هو نتيجة لتفاعل عنصرين سلبيين فى طبيعتهما وهما: المادة الشريرة والإنسان المخطئ بالفطرة. وعادة ما تنسب الحضارة فى الغرب إلى المكان وليس إلى الدين، فيقال الحضارة الغربية وليس الحضارة المسيحية.

ومفهوم الحضارة الغربية مرتبط بما أنتجه العالم الغربى المسيحى من حضارة، كما أنه يشتمل على المنجز الحضارى الغربى العلمانى. فهو مصطلح شمولى يشير إلى المنجز الغربى، والأسباب التى تدفعنا إلى عدم الاعتراف بوجود حضارة مسيحية مرتبطة بالدين المسيحى تدور حول الموقف المسيحى السلبى من المادة، والموقف المسيحى السلبى من طبيعة الإنسان. وهذان الموقفان السلبيان أديا إلى سيادة ثقافة الرهبنة منذ ظهور المسيحية وخلال فترة العصور الوسطى وحتى بداية عصر النهضة الأوربية. وتدور ثقافة الرهبنة حول كراهية المادة واعتبارها مصدرا للشر، والاعتقاد فى كون الإنسان مخطئاً بالفطرة، والتقليل من قيمة العمل، وتقديس قيم الفقر والزهد والتقشف، وتفضيل اعتزال الحياة المادية، والبعد عن كل ما يربط الإنسان بالحياة إلى حد هجر الحياة الإنسانية، وتفضيل الحياة فى الصحراء بعيداً عن مغريات الحياة وملذاتها. ولذلك انتشرت فى الصحارى الأديرة المسيحية والصوامع، وازدهرت قيمة الفقر كقيمة عليا ومثالية فى الحياة المسيحية. وقد تطور خلال هذه المرحلة أيضاً موقف دينى سلبى من العلم لسببين: الأول أن العلم هو السبيل إلى ازدهار الحياة المادية، والثانى أن العلم أتى بحقائق متناقضة مع معطيات الكتب المقدسة. وسلبية النظرة إلى العلم أدت إلى مزيد من التقويض للمنجز الحضارى والتدمير للحياة المادية الإنسانية، ولذلك يصدق وصف مرحلة العصور الوسطى فى الغرب بعصور الجهالة والتخلف فى مقابل وصف الحياة الأوربية منذ عصر النهضة بعصور النهضة والتنوير.

وعلى النقيض من هذا نجد أن الحضارة فى الإسلام عمل إيجابى يقوم على نظرة إيجابية تجاه المادة من ناحية وتجاه الطبيعة الإنسانية من ناحية أخرى. وفى ظل خيرية المادة وبراءة الطبيعة الإنسانية نتجت حضارة إسلامية مناقضة تماماً لما أنتجه الغرب المسيحى خلال العصور الوسطى. فقد نظر إلى الطبيعة بعناصرها المادية على أنها كيان خَيِّر مخلوق لله سبحانه وتعالى، ومسخر لخدمة الإنسان الخير بطبيعته، ولتحقيق

سعادة الإنسان فى الدنيا، فالحضارة عمل إيجابى يقوم على أساس من خيرية المادة والإنسان، وخيرية الفعل الناتج عن تفاعل الإنسان الخير مع الطبيعة أو المادة الخيرة. وقد نتج عن هذا التفاعل أعظم حضارة إنسانية ذات هدف محدد وهو تحقيق سعادة الإنسان فى الدنيا والآخرة.

### ثانيا: أسس العلاقة المثلى بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى:

فى ظل هذا الإيمان بالبنية الحضارية للإسلام وبالبنية الأخلاقية للحضارة الإسلامية نشأت علاقة مثلى بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى فى الماضى، ويمكن أن نتصور استمرار هذه العلاقة المثلى فى الحاضر والمستقبل فى ظل المعطيات الحضارية الجديدة والمتغيرات التى يمر بها العالم فى القرن الحادى والعشرين.

ويمكن حصر الأسس التى بنيت عليها هذه العلاقة المثلى بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى فيما يلى:

**١ - غاية الحضارة سعادة الإنسان ورفاهيته:**

تم تحديد غاية الحضارة فى الإسلام فى تحقيق سعادة الإنسان فى الدين والدنيا، ويجب أن نلاحظ فى طبيعة هذه الغاية أن سعادة الإنسان هنا ليست محددة فى سعادة الإنسان المسلم فقط ولكنها غاية مطلقة تسعى إلى تحقيق سعادة الإنسان كإنسان بصرف النظر عن دينه، أو جنسه، أو لونه[1]. ويشهد تاريخ الحضارة الإسلامية أن هذه الغاية المطلقة قد تحققت بالفعل. فمنجزات الحضارة الإسلامية لم تكن حكرا على المسلم، ولكنها كانت ملكا للبشرية جمعاء. وقد أفادت كل الحضارات الإنسانية الأخرى من الحضارة الإسلامية، وارتقت بفضلها، وحققت سعادة إنسانها مؤكدة على الغاية الإنسانية الشاملة للحضارة الإسلامية. ويلاحظ أيضاً أن سعادة الإنسان المرجوة ليست محصورة فى تحقيق احتياجات الإنسان المادية، ولكنها تسعى إلى تحقيق سعادته الدينية

(١) حدد السيد كامل الهاشمى الهدف العام للإسلام بأنه «إيصال البشرية إلى سعادتها التامة» نقلا عن فوزية أبو طبق. من قضايا النظام العالمى الثقافى. الأصالة والمعاصرة فى الفكر الإسلامى. مجلة مستقبل العالم الإسلامى، العدد ٩، عام ١٩٩٣م، مالطا. ص ٩٠.

والروحية والجمع بين سعادة الدين والدنيا، وتحقيق التوازن بين متطلبات الإنسان المادية والروحية معاً.

وتتضح مثالية الحضارة الإسلامية فى علاقتها بالحضارات الأخرى هنا فى أن الحضارة الإسلامية تستهدف الإنسان فى كل مكان وزمان، وبدون النظر إلى الخلفية الدينية والثقافية لهذا الإنسان. فهى ليست حضارة مغلقة على نفسها، وليست حضارة عنصرية تتعصب لعنصر إنسانى معين، وليست حضارة فوقية استعلائية تنظر إلى الآخر نظرة دونية أو سلبية، وليست حضارة سلبية تسعى إلى تدمير الآخر. بل على العكس تماما إنها حضارة إنسانية متسامحة غير منحازة ولا متعصبة تعترف بقيمة الإنسان كإنسان إيمانا بمبدأ الأخوة الإنسانية. وهنا تصبح سعادة غير المسلم جزءاً لا يتجزأ من سعادة المسلم فكلاهما يشتركان فى الإنسانية، وفى الأخوة البشرية، ويعودان إلى أصل بشرى واحد من خلال الاشتراك فى أبوة آدم أبى البشرية وأمومة حواء.

لذلك لم تضع الحضارة الإسلامية خطوطاً فاصلة بين البشر، ولم تعزل المسلم عن غير المسلم، بل غطت بمظلتها غير المسلم، وجعلته يتحول إلى عنصر إيجابى فعال يستفيد من معطيات الحضارة الإسلامية، ويشارك بمجهوده فى منجزاتها. وهكذا شهدت الحضارة الإسلامية مشاركة فعالة من غير المسلمين فى صنع الحضارة الإسلامية فى جانبها المادى، وهى الحضارة الوحيدة فى التاريخ التى تعترف لغير المسلم بدور فعال فى بنائها، وتعترف له أيضاً بنصيب مساو لنصيب المسلم فى الاستفادة منها.

**٢- الاعتراف بالحضارات الأخرى :**

الأساس الثانى المتين لعلاقة الحضارة الإسلامية بالحضارات الأخرى هو مبدأ الاعتراف بالحضارات الأخرى، وهو مبدأ مستمد من الاعتراف بالتعددية الحضارية والثقافية، والاعتراف بالواقع الحضارى للبشرية. فمنذ القدم نشأت حضارات إنسانية، ومرت بالإنسان عصور حضارية مختلفة، وتبادلت الشعوب الإرث الحضارى الإنسانى من خلال عمليات الأخذ والعطاء، والتأثير والتأثر، ومن خلال الاعتقاد أيضاً فى أن الحضارة دول بين البشر. فلا يوجد شعب يستطيع أن يدعى أنه ملك الحضارة على طول الزمن، كما أنه لا يوجد شعب يستطيع أن يدعى أنه بنى حضارته بدون الاعتماد على معطيات الحضارات الأخرى.

ويأتى الاعتراف الإسلامى بالحضارات الأخرى كامتداد للاعتراف بالتعددية الدينية وبالتعددية الثقافية. وهى تعددية مطلقة لا تتوقف عند حدود الاعتراف بالتعددية الدينية والثقافية داخل المجتمع الإسلامى، ولكنها تتجاوز هذا بطبيعة الحال إلى الاعتراف باختلاف البشر دينيا وثقافيا، والأخذ بتعدد الأديان والثقافات.

ويشهد تاريخ العلاقات الحضارية بين المسلمين وغير المسلمين على أن المسلمين اعترفوا بالحضارات الأخرى، وأقروا بفضل بعض الحضارات الأخرى على الحضارة الإسلامية فى جانبها المادى[1]. فمن أجل بناء الجانب المادى فى الحضارة الإسلامية اتجه المسلمون إلى الشعوب صاحبة الحضارات القديمة، واستعانوا بمنجزاتها الحضارية المادية فى بناء الحضارة الإسلامية. فاستعان المسلمون بالتراث الحضارى اليونانى على المستوى العلمى، وترجموا علوم اليونان التجريبية إلى اللغة العربية، واستوعبوا المعرفة اليونانية، وشرحوها وطوروها، واتخذ بعض العلماء المسلمين لأنفسهم معلمين من الفلاسفة اليونان، وأخذوا عنهم نظرياتهم العلمية، وترجموا أعمالهم، وهم بعملهم هذا حققوا هدفين: الأول تنمية المعرفة العلمية الإسلامية من أجل بناء الحضارة المادية. والثانى الحفاظ على التراث العلمي اليونانى من الضياع، وذلك من خلال ترجمته من ناحية، والحفاظ على أصوله العلمية من ناحية أخرى[2].

واستعان المسلمون أيضا بالتراث العلمى الهندى، وأخذوا عن الهنود بعض معارفهم اللازمة للبناء المادى للحضارة الإسلامية. وكان من حسن حظ المسلمين أن عددا من الشعوب المتحضرة فى التاريخ القديم دخلت فى الإسلام فأفاد المسلمون بشكل طبيعى من المنجزات الحضارية لهذه الشعوب بعد أن خلصوها من عناصرها الوثنية وأخضعوها لقيم الإسلام وحضارته. ومن هذه الشعوب صاحبة الحضارات التاريخية مصر، والعراق، وإيران، وشعوب آسيا الصغرى، والهند، وشعوب المنطقة السورية. فالتراث الحضارى المادى لهذه الشعوب أصبح إرثا إسلاميا ومكونا أساسياً من مكونات الحضارة الإسلامية، وسبباً رئيسا من أسباب الازدهار السريع للحضارة

---

(١) أحمد عبد الرحيم السائح: لقاء الحضارات. مجلة مستقبل العالم الإسلامى، العدد ٩، مالطة ١٩٩٣، ص٢٤٢.

(٢) د. سعيد عاشور، المدنية الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوربية، مرجع سابق، ص٦٣، وانظر أيضًا:
Joseph Schacht, ed., The Legacy of Idlam, Oxford Univ. Press, 1974, p. 381.

الإسلامية وبلوغ الحضارة الإسلامية مرتبة الحضارة العالمية الأولى بعد قرون قليلة من ظهور الإسلام.

وهكذا نشأت الحضارة الإسلامية فى مناخ دينى وثقافى يقبل معطيات الحضارات الأخرى، ويعترف لها بالفضل فى الجانب المادى، وبدون الحساسية الثقافية التى نشاهد لها بعض الآثار والانعكاسات فى العصر الحديث حيث يقف فريق من المسلمين المعاصرين ضد كل عمليات الالتقاء بالحضارات المعاصرة، وضد كل عمليات الأخذ والتأثر فى الوقت الذى تأخر فيه المسلمون فأصبحوا غير قادرين على العطاء الحضارى المادى، ومطالبين فى نفس الوقت بعدم التأثر بالمعطيات الحضارية الأجنبية، وأصبح الوضع الحضارى الإسلامى وضعاً غير طبيعى ولا يتفق مع طبيعة الحضارات. فهو وضع يطالب المسلم بعدم الأخذ عن الحضارات الأخرى. وأصيبت الحضارة الإسلامية بحالة من الجمود الذى لا يسمح بعمليات التأثير والتأثر ولا يسمح بالأخذ والعطاء.

ونلاحظ فى ظل هذا المناخ الحضارى السلبى أن عملية الأخذ والعطاء ليست عملية متكاملة حيث تسيطر حالة من عدم القدرة على الأخذ الفعال من الحضارات الأخرى وبخاصة من الحضارة الغربية صاحبة التقدم العلمى والتكنولوجى الحالى. فالأخذ عن الحضارة الغربية ليس مرتبطا بسياسة حضارية واضحة ولا باستراتيجية علمية وثقافية منظمة. وعملية الأخذ الحالية عملية عشوائية وانتقائية ومتروكة لرغبة المترجمين والمثقفين الشخصية حيث لا توجد سياسة رسمية تنظم عملية الأخذ وتضعها داخل إطار علمى مدروس يحقق غاية وطنية، أو قومية، أو إسلامية نهائية. وهذه الحالة الحديثة من عملية الأخذ لا يمكن مقارنتها بالعمليات السابقة عليها فى التاريخ مثل الأخذ الإسلامى عن اليونان أو الأخذ الأوروبى عن الحضارة الإسلامية.

نعم... لقد بدأت عملية الأخذ فى العصر الحديث فى شكل منظم يشير إلى وجود سياسة أو استراتيجية للتقدم والنهضة خلال عصر محمد على والذى يمثل المرحلة الأساسية للأخذ عن الغرب، ولكن بعد موت محمد على تدهورت العملية متأثرة بعدد من الأسباب السياسية والاقتصادية التى أدت إلى حدوث نكسة فى عملية النهضة استمرت للأسف الشديد إلى وقتنا الحالى. وقد نجحت حركات الترجمة فى الماضى ولكنها فشلت فى العصر الحديث؛ لأنها لم ترتبط باستراتيجية للنهضة والتقدم، ولم

تقم بها الحكومات العربية والإسلامية. ولكن قامت على أكتاف أشخاص ومثلت جهودا فردية لا جماعية أو رسمية. والسبب الرئيسى لفشل حركة الترجمة فى العصر الحالى أنها ليست مرتبطة بمشروع قومى علمى أو ثقافى وليس لها هدف قومى أو حضارى محدد. ومنفصلة عن حركة التربية والتعليم، ومستقلة عن البحث العلمى والتكنولوجيا. ولذلك فهى حركة أخذ غير منظمة وفوضوية، تلبى رغبات شخصية، ولا تعبر عن رغبة أمة فى تحقيق النهضة. وقد تولد عن عدم القدرة على الأخذ الفعال عدم تحقق الاستفادة الحقيقية المؤدية إلى توليد حضارة إسلامية مادية جديدة وانعدام القدرة على المشاركة فى صناعة الحضارة الحديثة.

وتعانى حركة الترجمة والأخذ عن الغرب فى العصر الحالى من عدم القدرة على تكرار ما حدث مع حركة الترجمة فى العصرين الأموى والعباسى. فقد مرت حركة الترجمة بعدة مراحل متكاملة هى مراحل النقل، والفهم والاستيعاب، والشرح، والتطوير، والإنتاج العلمى المستقل فى النهاية. هذه المراحل كلها ليست متوفرة فى حركة الترجمة الحديثة عن الغرب، فهى لم تنجح بعد فى مرحلتها الأولى وهى مرحلة النقل. وأسباب الفشل معروفة للجميع وأهمها غياب الاستراتيجية العلمية القومية والإسلامية وغياب الهدف، وهو تحقيق النهضة العلمية والتكنولوجية للمسلمين.

**٣- الاعتراف بحق الاختلاف الحضارى والثقافى**

من الأسس المهمة فى علاقة الحضارة الإسلامية بالحضارات الأخرى مبدأ الاعتراف بحق الاختلاف الحضارى، واعتبار الاختلاف الحضارى مبررا للالتقاء الحضارى والتعارف وتبادل المنافع الحضارية. والاختلاف الحضارى تمليه - أولا - ظروف الاختلاف البيئى، والتى تؤدى إلى تنوع فى طبيعة العمل، وفى الموارد، وفى شكل الحياة وفى الأسلوب، وفى القيم والعادات والتقاليد. فالبيئة الزراعية مثلا تختلف عن البيئات الصحراوية والجبلية والبحرية والساحلية على كل المستويات المذكورة. ويأتى الفكر الدينى والأخلاقى ليضيف مستوى آخر من التنوع المؤكد على الاختلاف الحضارى.

ويعتقد أن مبدأ التعددية الدينية فى الإسلام جعل الاختلاف الحضارى أمرا منطقيا، وأصبح مبدأ التعددية الحضارية والثقافية مقبولا فى الفكر الإسلامى فهو تعبير منطقى معقول عن اختلاف البيئات واختلاف البشر. وقد بلغت الحضارة الإسلامية حدا من المرونة والتسامح الحضارى الذى يسمح بوجود التعددية الثقافية داخل الحضارة الإسلامية، والاعتراف بهذه التعددية خارج حدود الحضارة الإسلامية.

والمبادئ التى أقرها القرآن الكريم فى حق الاختلاف الدينى وفى التعددية الدينية تنطبق على حالة تعدد الحضارات وحق الاختلاف الحضارى. فمبدأ ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. يمتد ليشمل عدم الإكراه الحضارى والثقافى. ومبدأ ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]. يمتد كذلك ليشمل حق الاختلاف الحضارى كما عبر عن حق الاختلاف الدينى.

ومبدأ الاختلاف الحضارى تؤكده الآية القرآنية المعروفة ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. وتعتبر هذه الآية القرآنية ركيزة أساسية فى تقرير وحدة الإنسانية وتنوعها فى نفس الوقت، فهى تعترف بالأصل الواحد للبشرية بردها إلى ذكر وأنثى هما آدم وحواء، وتعترف فى نفس الوقت بالاختلاف والتنوع «وجعلناكم شعوبا وقبائل». وقد عللت الاختلاف والتنوع بالتعارف أى تبادل المنافع المعرفية والمادية. ويجب أن نلاحظ أن التعارف هو السبيل إلى عودة وحدة الإنسانية؛ فهو وسيلة للتقارب وتحقيق المنفعة المتبادلة.

وهكذا يمكن تلخيص معنى هذه الآية القرآنية الكريمة فى أنها تؤكد أولا على الوحدة الإنسانية والأصل الحضارى الواحد، ثم تؤكد ثانيا على الاختلاف الحضارى، وتعود لتؤكد من جديد على الالتقاء الحضارى وتجعل الاختلاف سببا ومبرراً للالتقاء.

وقد عرف الدكتور محمد عمارة العالمية بأنها «تعنى أن هناك حضارات متعددة ومتميزة وليست متماثلة وليست منغلقة منعزلة ومعادية وإنما هناك نوع من الخصوصية

ونوع من التشابه . أى أن هناك عاملاً مشتركًا بين كل هذه الحضارات وهناك بصمات ثقافية وحضارية تميز كل حضارة عن الحضارات الأخرى . وبين هذه الحضارات هناك قاسم مشترك تتفق عليه وهذا هو البعد العالمى أو هذه هى العالمية»[1] .

وقد تم شرح عالمية الإسلام بأنها تعبير عن التنوع الثقافى فالعالمية تعنى «الاعتراف بالتبادل، الاعتراف بالأدوار بحيث يكون العالم منفتحا على بعضه مع الاحتفاظ بتنوعاته . ولقد كانت هذه هى السمة البارزة فى الحضارة والثقافة، والإيمان الإسلامى بشكل خاص : الاعتراف بالآخرين، احترام خصوصيات الآخرين . وهو الأمر الذى أنتج حالة الحوار بين الثقافات والحضارات والدول والشعوب والمصالح والأديان»[2] .

إن عالمية الإسلام تعنى التنوع وانفتاح الثقافة الخاصة على الثقافات الأخرى وتعنى التعارف[3] .

**٤- الإيمان بمبدأ الدفع الحضارى وليس التحدى المؤدى للصراع :**

الأساس الرابع للعلاقة بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى يرتبط بالإيمان بمبدأ الدفع أو التدافع غير المؤدى للتحدى الحضارى المثير للصدام الحضارى . ويستمد هذا المبدأ من الآية القرآنية : ﴿**وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾ [الحج : ٤٠] .

ويأتى مصطلح الدفع هنا ليكون بديلا إسلاميا جيداً لمصطلح التحدى السائد فى الحضارة الغربية . وهو مصطلح إيجابى فى دلالته ولا يحتوى على سلبيات مصطلح التحدى أو الصراع المستخدم فى الحضارة الغربية . فالدفع أو التدافع يشير إلى جهاد الإنسان المؤدى إلى إعمار الأرض، وهو التدافع الذى يؤدى إلى قيام الحضارات . وفى

---

(١) محمد عمارة : «العولمة وقضايا الفكر الإسلامى» فى كتاب الإسلام والعولمة . الدار القومية العربية، القاهرة ١٩٩٩، ص ١١٨ .

(٢) محمد مهدى شمس الدين : العولمة وأنسنة العولمة . مجلة منبر الحوار، العدد ٣٧، بيروت ١٩٩٩، ص٧ .

(٣) المرجع السابق، ص ٧ .

هذا المعنى نقرأ: «إن دفع الله الناس بعضهم ببعض متوجه قرآنيا إلى حقيقة يتكئ عليها الاجتماع الإنساني - الذي به عمار الأرض، وباختلاله يختل العمران وتفسد الأرض - وهي غريزة الاستخدام الذي جُعل عليه الإنسان. والاستجابة لهذه الغريزة تعني التصالح في المنافع، والتمدن، والتعاون الاجتماعي، مع إظهار حقيقة التمايز والاختلاف والتعددية»[1]. هذا التدافع لا يؤدي إلى حتمية الصدام التي أقرها صموئيل هنتنجتون بل يفتح الباب واسعاً للتعارف، والتفاعل والتواصل والتعاون والالتقاء حول القضايا الإنسانية المشتركة والابتعاد عن الاختلاف والتنازع الدموي على المصالح والمنافع استنادا إلى قاعدة القانون الطبيعي وتنازع البقاء وقصر حق الحياة على الأقوى. وهي القاعدة التي تشكلت منها فلسفة المشروع الحضاري المادي للحضارة الغربية والذي توجهه توجهات عملية نفعية تقف وراءها الأنانية، والمصالح، والمنافع الاقتصادية والسياسية[2].

ويشير مفهوم التدافع إلى أن الصراع بين الحضارات ليس حتمياً، ولا يمثل نهاية المطاف في علاقة الحضارات ببعضها البعض. إن التدافع معناه الشراكة الإنسانية في صناعة الحضارة من خلال هذا التنافس الشريف، فالحضارة الإنسانية تشكلت عبر العصور من خلال مساهمات إنسانية أتت من بيئات متنوعة. ويشير هذا التنوع إلى شراكة إنسانية غير مباشرة فكل أمة أسهمت في الحضارة الإنسانية بنصيب حتى وصلت الحضارة إلى ما وصلت إليه الآن.

**٥- الإيمان بالالتقاء الحضاري وليس بالصدام الحضاري:**

من الأسس الإسلامية المهمة في بناء علاقة الحضارة الإسلامية بالحضارات الأخرى الإيمان بالتقاء الحضارات ورفض أي صراع بينها يؤدي إلى قطيعة بشرية ويعرض العلاقات الإنسانية بين الشعوب للخطر. ويستند الالتقاء الحضاري إلى مفهوم الأخوة الإنسانية من ناحية، وغياب مفهوم الاستعلاء الحضاري من ناحية أخرى، وسيادة الرؤية الحضارية المتسامحة وعدم التعصب الحضاري من ناحية ثالثة. والالتقاء

---

(١) نبيل على صالح: الحضارات والثقافات بين واقع الصراع وطموح الحوار «مجلة المنهاج»، السنة السادسة، ربيع ٢٠٠١، بيروت، ص ٢٩٢.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٩٣.

الحضارى يستند أيضاً إلى مفاهيم التعددية الثقافية والحضارية وبالتالى الإيمان بتفاعل الحضارات من خلال تواصلها وتعاونها. وهذا الالتقاء الحضارى يتم من خلال عمليات الأخذ والعطاء، والتأثير والتأثر، وينتهى إلى تحقيق سعادة الإنسان ومنفعته العامة وبدون حدود مكانية أو زمانية.

ويأتى هذا الموقف الحضارى الإسلامى ضد الموقف الحضارى الأوربى الذى يقول بحتمية الصراع بين الحضارات. وهو موقف ينطلق من الاعتقاد فى التفوق الحضارى المبنى على أساس عرقى. والتفوق الحضارى ينتج عنه شعور بالاستعلاء الحضارى يجعل الحضارة الغربية فى غنى عن الحضارات الأخرى، ويصورها فى صورة الحضارة التى تعطى ولا تأخذ، وتؤثر ولا تتأثر بغيرها لأن الحضارات الأخرى ليس لديها ما تعطيه للحضارة الأوربية. والعطاء الحضارى الأوربى ليس نتيجة التقاء بالحضارات الأخرى ولذلك فهو عطاء نفعى ومشروط بقبول معطيات الحضارة الغربية التى تقدم فى كثير من الأحيان فى صورة ما يسمى بعبء الرجل الأبيض. وكثيراً ما يأتى العطاء فى صورة قسرية بفرض معطيات الحضارة الغربية بالقوة من خلال الصورة الاستعمارية قديما، وصور الهيمنة المتعددة بعد نهاية الاستعمار، وفى صورة العولمة الحالية التى تحاول أن تفرض النموذج الحضارى الغربى كنموذج وحيد صالح للعالم كله وفى رفض صريح ومعلن للتعددية الثقافية والحضارية.

**٦- مبدأ عدم احتكار المنجز الحضارى :**

ومن أهم المبادئ التى أقرتها الحضارة الإسلامية فى علاقتها بالحضارات الأخرى مبدأ شيوع الاستفادة من المنجزات الحضارية الإسلامية وجعلها متاحة لكل البشرية بدون إستغلال أو احتكار للمنجز الحضارى. ويرتبط هذا المبدأ بالاعتقاد الإسلامى فى الأخوة الإنسانية، وفى تحقيق سعادة الإنسان بشكل عام وفى كل مكان وزمان، والاعتقاد أيضاً فى الشراكة الإنسانية فى الحضارة والإيمان بالالتقاء النافع بين الحضارات والمؤدى إلى ارتقاء الإنسان والمجتمع الإنسانى. ولذلك لم تعرف الحضارة الإسلامية مبدأ احتكار المنجز الحضارى أى جعل الافادة منه محصورة فى أهله المسلمين، ومنع غير المسلمين من الإفادة منه.

وقد ارتبط هذا أصلا بمبدأ عدم احتكار العلم والمعرفة على المستوى الشخصى

والجماعي، والحض على نشر العلم والمعرفة، والحث على كسب المعرفة والعلم مهما كلف ذلك من مشقة، والإيمان بأن العلم لا وطن له وعلى الإنسان أن يحصّله من مصادره ومنابعه «اطلبوا العلم ولو بالصين». والعلم كذلك للجميع، وليس لمن يملكه فقط، والمنفعة الناتجة عن استخدام العلم هي منفعة إنسانية عامة.

ويأتي هذا الموقف الإسلامي من المنجز الحضاري مناقضاً لما طورته الحضارة الغربية من استغلال للعلم، واحتكار له، بل والتجارة فيه باعتباره مصدرا للثروة. وليس مجرد أداة لخدمة البشرية. ومن المعروف أن السياسة العلمية في الغرب تقوم على المنع وليس على العطاء، والعطاء - إن وجد - فهو مشروط بمدى ما يحققه من مكسب، ومن هيمنة سياسية واقتصادية وعلمية. كما تقوم السياسة التكنولوجية في الغرب على أساس من السرية، وحرمان الشعوب الأخرى من التكنولوجيا المتقدمة، والحرص الشديد على إبقاء الدول الأخرى على تخلفها وعدم تقدمها حتى تستمر كسوق للمنتج الغربي.

ويمثل مبدأ عدم احتكار المنجز الحضاري في الحضارة الإسلامية جزءاً من مفهوم الحضارة العالمية التي تسعى إلى تحقيق سعادة الإنسان في كل مكان وزمان وبصرف النظر عن جنسه، أو لونه، أو دينه، أو ثقافته. لأن الحضارة لا تكون عالمية إلا إذا انفتحت على العالم كله، وأفاد العالم كله من معطياتها ومنجزاتها الحضارية.

**٧- الاعتراف بحقوق الإنسان :**

من أهم المبادئ التي تحكم علاقة الحضارة الإسلامية بالحضارات الأخرى الاعتراف بحقوق الإنسان. ومن أهم هذه الحقوق حق حرية التدين، وحق الاختلاف الديني والثقافي، والاعتراف بحقوق الإنسان الأساسية دينية كانت أم سياسية، أم اجتماعية، أم اقتصادية، واعتبار حرية الاعتقاد وعدم الإكراه في الدين عنصراً أساسياً في صحة عقيدة المسلم[1]. ويستند الاعتراف بحقوق الإنسان في اعتبار التعددية والتنوع والتمايز والاختلاف في الملل والشرائع والألسنة والألوان والأجناس سنة من سنن الله في

(١) حقيقة الإسلام في عالم متغير. سلسلة قضايا إسلامية المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. العدد ٨٧، القاهرة جمادى الأول ١٤٢٣هـ/ يوليو ٢٠٠٢م، ص ٢٢٤.

الكون. كما يستند الاعتراف بحقوق الإنسان إلى مبدأ المساواة بين المسلمين وغير المسلمين فى الحقوق والواجبات، وتطبيق قاعدة «لهم ما لنا وعليهم ما علينا». كما يستند هذا الاعتراف بحقوق الإنسان إلى حقيقة كون الإنسان خليفة لله فى إعمار الأرض بصرف النظر عن جنسه ولونه وعقيدته[1].

هذا الاعتراف بحقوق الإنسان أساسه تكريم الإسلام للإنسان وتفضيله على كثير من المخلوقات بوصفه إنسانا، وبصرف النظر عن دينه وأصله ولغته ولونه. وفى هذا يقول القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]. ومن أهم مظاهر تكريم الإسلام للإنسان اعترافه بغير المسلم، وبحقه فى حرية الاعتقاد وممارسة الشعائر الدينية، وعدم جواز إكراه غير المسلم على الدخول فى الإسلام. وقد نصت آيات قرآنية عديدة على هذه الحقوق منها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]. ومن ذلك أيضاً: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام: ١٠٧].

ولا تختلف حقوق الإنسان فى الإسلام عن الحقوق التى أقرها الإعلان العالمى لحقوق الإنسان. ويبقى للإسلام فضل الأسبقية فى الاعتراف بهذه الحقوق وإقرارها، كما تكتسب هذه الحقوق فى الإسلام شرعية تضمن لها الاستمرار باعتبارها جزءاً من عقيدة المسلم لا تقبل التغيير أو التبديل بينما لا يوجد ضمان حقيقى لتطبيق قرارات الإعلان العالمى لحقوق الإنسان لعدم استناده إلى شريعة تحميه، ولانفصاله التام عن الدين والأخلاق، ولارتباطه أيضاً بالسياسات المتغيرة للدول الأمر الذى أدى إلى الفشل الفعلى فى تطبيق بنود هذا الإعلان.

وفى مقارنة بسيطة بين حقوق الإنسان فى الإسلام وقرارات الإعلان العالمى لحقوق الإنسان، نجد أنها كلها متوفرة فى الإسلام ومضمونة من حيث التطبيق الفعلى لها

(١) المرجع السابق، ص ٣٧-٣٨.

والممارسة اليومية لها، فى ظل حماية شرعية لها غير متوفرة فى القوانين الدولية، وفى ظل اعتبارها جزءاً لا يتجزأ من إيمان المسلم. ويشير البند الأول من بنود الإعلان العالمى لحقوق الإنسان إلى النص على أن الإنسان يولد حراً متساويا فى الكرامة والحقوق، وقد نص القرآن على تكريم الإنسان «ولقد كرمنا بنى آدم ...» وأكّد على المساواة فى قوله تعالى: [يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم]. وورد فى الحديث النبوى «الناس سواسية كأسنان المشط». وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً» وهذا القول الأخير يمثل افتتاحية المادة الأولى من الإعلان العالمى لحقوق الإنسان بشكل حرفى(١).

وتنص المادة الثانية على أن «لكل إنسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات دون أى تمييز ...» وتكاد تكون هذه المادة ترجمة حرفية لحديث الرسول عليه الصلاة والسلام «يا أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربى على عجمى، ولا لعجمى على عربى، ولا لأبيض على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم» والخطاب هنا موجه إلى عموم البشر مما يؤكد أسبقية الإسلام فى إقرار حقوق الإنسان بدون تمييز قائم على أساس من العنصر أو اللون أو اللغة(٢).

وتشير الفقرة الأخيرة من الحديث إلى عدم التفرقة بين الرجال والنساء وهو أمر يؤكده حديث آخر «النساء شقائق الرجال». وتنص المادة السابعة على أن «كل الناس سواسية أمام القانون» ولهم حق الحماية دون تفرقة. وهذه المادة عبر عنها الحديث النبوى السابق تعبيرا حرفيا «الناس سواسية كأسنان المشط» وتنص المادة الثامنة عشرة على حق حرية التفكير، وتشير آيات قرآنية كثيرة إلى الحث على التفكير والتأمل والتدبر والتعقل. وتشير بعض بنود الإعلان إلى حرية تنقل الأفراد وحق اللجوء واختيار محل الإقامة وكلها منصوص عليها فى آيات قرآنية كثيرة منها: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ [الملك: ١٥]. وكذلك قوله تعالى ﴿قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٧].

(١) فوزية العشماوى. «حقوق الإنسان فى الإسلام مقارنة بالإعلان العالمى لحقوق الإنسان» فى كتاب حقيقة الإسلام فى عالم متغير، ص ٢٠١.
(٢) المرجع السابق، ص ٢٠٢.

### ٨- الاعتراف بحقوق الأقليات والطوائف

إن الاعتراف بحقوق الأقليات والطوائف فى بلاد المسلمين جزء لا يتجزأ من مبدأ الاعتراف بحقوق الإنسان فى الإسلام. وقد أحدث الإسلام ثورة فى مجال التعامل مع أهل الأديان الأخرى داخل المجتمع الإسلامى على أساس من المساواة العامة مع المسلمين[١]. وقد حرر الإسلام الإنسان من القهر الدينى الذى مارسته امبراطوريات الشرق القديم ضد مواطنيها، وبالأخص تحرير الإنسان من الاضطهاد الدينى والحضارى الذى مارسه الرومان واليونان والفرس على مدى قرون عديدة سابقة على ظهور الإسلام.

ومارس الإسلام التسامح الدينى والحضارى مع أقلياته فى ظل التعددية الدينية والثقافية التى أرساها الإسلام. ويشهد على هذا التسامح والاعتراف بحقوق الأقليات والطوائف استمرار وجود هذه الأقليات الدينية داخل المجتمع الإسلامى منذ ظهور الإسلام وحتى الآن يحميها الدين الإسلامى وشرائعه الخاصة بأهل الكتاب وأهل الذمة، وعهوده المقطوعة مع أقلياته فى ظل اعتراف دينى وتسامح حضارى لا يقبل الشك. ويشرح الدكتور محمد عمارة ثورة الإسلام الإصلاحية للمفاهيم السائدة التى حكمت علاقات الشعوب والأجناس والأديان بقوله: «جاء الإسلام فسلك الاختلافات فى إطار الوحدة، وجعل التنوع هو السنة والقاعدة والقانون ... وقرر أن الآخر هو جزء من الذات، وذلك لأول مرة فى تاريخ الشرائع والأمم والدول والحضارات[٢].

وقد تجاوز الإسلام حدود الوصايا التى تعترف بالآخر الذى لا يعترف بالإسلام إلى حدود التطبيق والممارسة من خلال دمج الآخر فى المجتمع المسلم وفى الذات المسلمة مع الحرص على التعددية الدينية باعتبارها سنة من سنة الله. وبهذا حقق الإسلام إصلاحاً ثوريا غير مسبوق فى التاريخ الإنسانى على المستوى الفكرى والعملى التطبيقى[٣].

---

(١) محمد عمارة: الأقليات غير المسلمة فى العالم الإسلامى" فى كتاب حقيقة الإسلام فى عالم متغير. سلسلة قضايا إسلامية العدد ٨٧ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ٢٠٠٢/١٤٢٣، ص ١١٣.

(٢) المرجع السابق ص ١١٥.

(٣) المرجع السابق ص ١٢٩.

وقد أحدث الإسلام عدة وسائل لدمج غير المسلم فى المجتمع المسلم مع احترام حق الاعتقاد وممارسة الدين. ومن أهم هذه الوسائل المواثيق والعهود المعقودة مع غير المسلمين والتى تضمن لهم حقوقهم وتعرفهم بواجباتهم كمواطنين داخل الدولة الإسلامية. ومن أهم هذه المواثيق ميثاق المدينة الذى نص على أن «اليهود أمة مع المؤمنين لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم»[1]. وميثاق العهد الذى كتبه الرسول عليه الصلاة والسلام لنصارى نجران والذى حدد دستور العلاقات بين المسلمين والنصارى من أهل الكتاب. وقد نص على «أن لنجران وحاشيتها ولأهل ملتها، ولجميع من ينتحل دعوة النصرانية جوار الله وذمة محمد رسول الله على أموالهم، وأنفسهم، وملتهم، وغائبهم وشاهدهم، وعشيرتهم وتبعهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير.. أن أحمى جانبهم وأذب عنهم وعن كنائسهم وبيعهم وبيوت صلواتهم ومواضع الرهبان، ومواطن السماح، حيث كانوا من بر أو بحر شرقاً وغربا...»[2].

ومن أهم الوسائل الأخرى لدمج غير المسلمين من أهل الكتاب وسيلة المصاهرة والسماح للمسلمين بالزواج من الكتابيات، وتوسيع دائرة أولى الأرحام لتشمل أفرادا من غير المسلمين. ولم يشترط الإسلام تحول الكتابية إلى الإسلام بزواجها من المسلم، بل ترك لها حق البقاء على عقيدتها. وبهذه الوسائل وغيرها ضمن أهل الكتاب وغير المسلمين عموما حقوقهم داخل الدولة الإسلامية وضمنت الدولة الإسلامية ولاءهم التام كمواطنين يتمتعون بنفس حقوق المسلم، ويؤدون نفس الواجبات تجاه الوطن الواحد والأمة الواحدة. ولهذه الأسباب تمكنت الأقليات غير المسلمة من المساهمة الفعالة فى الحضارة الإسلامية[3].

***

(١) المرجع السابق، ص١١٩.
(٢) المرجع السابق ص ١٢٠.
(٣) Joseph Schacht, ed., The Legacy of Islam, Oxford Univ. Press, 1974, p. 3.

# الفصل الثالث

# وسائل وآليات تحقيق العلاقات الإيجابية المثلى بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى

تمهيد : الصورة الحالية للإسلام وحضارته في الغرب والشرق.

أولاً : استراتيجية ثقافية إسلامية جديدة للعلاقات مع الحضارات الأخرى:

أ - الوسائل والآليات في مجال التعليم :

- المناهج والبرامج التعليمية.

- دعم العلاقات العلمية والثقافية بين الجامعات الإسلامية والجامعات الغربية والشرقية.

ب - دعم العلاقات الثقافية والحضارية من بين الشعوب من خلال السفارات والملحقيات الثقافية.

ج - دعم النشاط السياحي المتبادل.

د - دعم الأنشطة الشبابية المرتبطة بالتوعية الحضارية.

هـ - الآليات والوسائل المطلوبة في مجال الإعلام.

ثانياً : تطوير استراتيجية ثقافية إسلامية لتنمية وتصحيح مسيرة الثقافة الإسلامية في العصر الحالي.

# وسائل وآليات تحقيق العلاقات الإيجابية والمثلى بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى

## تمهيد : الصورة الحالية للإسلام وحضارته فى الغرب غير المسلم

بعد تحديد أسس العلاقة المثلى بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى نقدم فيما يلى تصورًا إسلاميًا لوسائل وأساليب تحقيق هذه العلاقة فى ظل الظروف والمتغيرات التى طرأت على العلاقات بين الدول والشعوب والتى ناقشناها فى بداية هذه الدراسة وأهمها : العولمة، وصراع الحضارات، والشرق أوسطية، وقضايا حقوق الإنسان والمرأة، وتصاعد الأصوليات؛ وكذلك فى ظل الطروحات الثقافية العالمية المتعددة، ومن بينها : حوار الحضارات والثقافات، وحوار الأديان وثقافة التسامح والسلام، وأيضًا فى ظل دعوات تجديد الخطاب الدينى والحضارى وأخيرًا فى ضوء ما أملته أحداث الحادى عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م من تغييرات عالمية من أهمها تبنى الولايات المتحدة الأمريكية لمعطيات نظرية صدام الحضارات وبخاصة الصدام مع الحضارة الإسلامية ومع الدين الإسلامى، وتأثير هذا التوجه الأمريكى على القارة الأوربية من ناحية، وانعكاس ذلك على السياسة الإسرائيلية فى منطقة الشرق الأوسط من ناحية أخرى، وهى سياسة تتبنى حاليًا بكل قوة مبدأ صراع الحضارات وتنفذه على الأرض من خلال عمليات التدمير الشامل للكيان الفلسطينى سياسيًا والإبادة الشاملة للشعب الفلسطينى، ومن خلال عمليات التهويد الكامل للأرض الفلسطينية، ومن أبرزها عملية تهويد القدس وطمس معالمها الحضارية الإسلامية وإحلال الثقافة اليهودية مكان الثقافة العربية فى فلسطين. من خلال تدمير معالم الثقافة الإسلامية وآثارها وإقامة مؤسسات يهودية فى موقعها.

لاشك فى أن العلاقة بين الإسلام والحضارات الأخرى شهدت انقلابًا جذريًا فى العقود الأخيرة وبخاصة بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١م. وقد تم تشويه صورة الإسلام وحضارته تشويهًا تامًا، و انتشر العداء للإسلام وحضارته فى أوربا وأمريكا. ونجح الإعلام الغربى عمومًا، والصهيونى على وجه التحديد، فى تقديم الإسلام وحضارته إلى العالم فى الغرب والشرق فى صورة سلبية تمامًا تحتوى على المفاهيم التالية :

- ربط الإسلام وحضارته بالإرهاب والعنف.

- الإدعاء بأن الإسلام يرفض الآخر، ولا يعترف بالتعددية الدينية والثقافية.

- وصف الدين الإسلامى بالجمود ووصف شريعته بالقسوة فى الحدود والأحكام.

- وصف الإسلام بالتعصب والتشدد ورفض الحوار.

- الادعاء بأن الإسلام دين «أصولى» متزمت لا يقبل الحداثة ويرفض الجديد.

- وصف المسلمين باللاعقلانية والاتكال والتكاسل وعدم القدرة على الإنتاج.

- وصف النظم الإسلامية بالاستبداد والديكتاتورية وعدم الاعتراف بحرية الأفراد والجماعات، وبالتالى ممارسة الاضطهاد وبخاصة ضد أهل الأديان الأخرى وضد الأقليات والطوائف غير المسلمة. ووصف الإسلام بأنه لم يعرف المواطنة ولم يقر بالمساواة فى الحقوق والواجبات بين الموطنين.

- وصف الإسلام بأنه دين لا يقر بحقوق الإنسان.

- وصف الإسلام بأنه مضطهد للمرأة ولا يعترف لها بأية حقوق.

- الادعاء بأن الإسلام لا يعرف المساواة فى الحقوق.

- وصف المسلمين عمومًا بصفات سلبية منها الكذب والنفاق والتآمر، والكسل والتبعية والإهمال والخضوع وغير ذلك من الصفات السلبية[١].

(١) انظر تفاصيل هذه الصورة فى :
- رينا عوض، صورة العرب والإسلام فى الغرب : كيف يعاد تشكيلها؟ مجلة شئون عربية، مرجع سابق، ص ١٢٠ - ١٢٩ . حسن حنفى، الإسلام والغرب، ورقة عمل، مجلة شئون عربية، العدد ١٠٩، مرجع سابق، ص ١٠٨ - ١٢٧.

ويتطلب هذا الوضع الذى أصبح عليه الإسلام وحضاراته فى أذهان الغرب وبقية العالم أن يتم وضع استراتيجية إسلامية شاملة لمواجهة هذا الوضع الجديد، ولمقاومة هذا الهجوم الشامل على الإسلام والمسلمين وعلى الحضارة الإسلامية، ولتصحيح صورة الدين الإسلامى وحضارته فى العالم.

ويجب أن ننبه فى البداية أن المقصود بالاستراتيجية الجديدة لا يختص بالثوابت أو الأسس فى علاقة الإسلام بالحضارات الأخرى، وذلك لأن هذه الثوابت والأسس إيجابية فى مضمونها، العام وهى تمثل العلاقة المثلى بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى. ولذلك فالاستراتيجية الجديدة المطلوبة تختص باستحداث وسائل وأساليب للدفاع عن هذه الثوابت، وإعادة صياغتها فى الشكل المناسب لمعطيات الفترة الحالية، والتأكيد على سلامة المنظور الإسلامى للحضارات الأخرى، وتفعيل الآليات المناسبة لتصحيح الآثار السلبية التى خلفتها أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١م على العلاقات بين العالم الإسلامى والغرب.

ونظرًا لشمولية الهجوم على الإسلام وحضارته فإن تحديد الأساليب والوسائل الواجب اتباعها لإعادة العلاقة بين الإسلام والحضارة الغربية يتطلب جهودًا مكثفة على كل المستويات وبمشاركة كل الجهات والمؤسسات المسئولة عن العلاقات مع الحضارات الأخرى.

### أ- الوسائل والآليات المطلوبة فى مجال التعليم

يعتبر مجال التعليم من أهم المجالات التى يمكن من خلالها تنمية الوعى بالحضارات الأخرى، وإعادة صياغة علاقة الحضارة الإسلامية بهذه الحضارات. ففى مراحل التعليم المختلفة يمكن استحداث مناهج دراسية جديدة تناسب المراحل التعليمية المختلفة وتتناول التعريف بالحضارات الأخرى وبعلاقة الحضارة الإسلامية بها. ولكى نصل إلى نتائج طيبة فى مجال التعليم يجب ألا تنحصر عملية تنمية الوعى بالحضارات

(١) التكامل الثقافى العربى فى عصر العولمة: ندوة معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ٢٠٠١م، مجلة شؤون عربية، العدد ١٠٩، ربيع ٢٠٠٢م، ص ٢٢٠.

الأخرى وبضرورة الحوار بينها فى التعليم فى البلاد الإسلامية فقط، بل من المهم التدخل لدى المؤسسات التعليمية فى الغرب والشرق ومطالبتها بتنمية الوعى بالإسلام وحضارته فى صورته الصحيحة إلى جانب التعريف بالحضارات الأخرى. فالمطلوب هو تغيير الصورة التى رسخت عن الإسلام وحضارته فى الذهنية الغربية والشرقية.

ويمكن اقتراح الآليات والوسائل التالية للحث على التقاء الحضارات وتشجيع الحوار بينها وبين الحضارة الإسلامية :

**المناهج والبرامج التعليمية**

١- استحداث مناهج دراسية جديدة تعالج الحضارات الإنسانية المختلفة، وتعرف بالحضارات فى صورة إيجابية، وتوضح فوائد اتصال الحضارات ببعضها البعض.

٢- التوسع فى إنشاء أقسام للحضارة والحضارات فى الجامعات الإسلامية والغربية تخرج طلابًا وباحثين متخصصين فى الحضارات وعلاقاتها.

٣- التوسع فى برامج الدراسات العليا الخاصة بالدراسات الحضارية الغربية والشرقية.

٤- توجيه أعداد معقولة من طلاب الدراسات العليا لكتابة رسائل للماجستير والدكتوراه فى مجال الحضارات والعلاقات الحضارية بين الشعوب، والمقارنة بين الحضارات المختلفة، والتخصص أيضًا فى حوار الحضارات، والرد على النظريات الخاصة بصراع الحضارات.

٥- إنشاء شُعب للدراسات الحضارية فى أقسام كلية الآداب وكليات العلوم الإنسانية والاجتماعية وبخاصة فى أقسام اللغات الأوربية واللغات الشرقية وأقسام التاريخ والفلسفة والاجتماع والأنثروبولوجيا.

٦- إنشاء شُعب للدراسات الحضارية بكليات الإعلام وكليات السياسة والاقتصاد بالجامعات الغربية والشرقية ومن بينها الجامعات الإسلامية.

٧- التوسع فى الدراسات الحضارية المقارنة وتخصيص مواد كاملة عن حوار الحضارات والثقافات.

٨- الاهتمام فى التعليم الابتدائى والإعدادى والثانوى بتدريس الحضارات، والتعريف

بها وبعلاقتها بالحضارة الإسلامية وتقديم صورة إيجابية عن الحضارات المختلفة لتربية النشء على احترام الحضارات الأخرى وتقديرها، ومعرفة إسهاماتها فى الحضارة الإنسانية.

٩- استحداث شُعبة للحضارة فى أقسام التاريخ بالكليات المختلفة وذلك للارتباط الشديد بين التاريخ والحضارة.

١٠- التوسع فى تدريس فلسفة الحضارة والنظريات الحضارية فى أقسام الفلسفة بالكليات المختلفة.

١١- التوسع فى تدريس الأديان فى بعض الأقسام المناسبة مثل أقسام التاريخ والفلسفة واللغات الشرقية، وذلك بسبب العلاقة القوية بين الأديان والحضارات ولمعرفة علاقة الحضارات المختلفة بالأديان.

١٢- التوسع فى درس حوار الحضارات بالجامعات المختلفة.

١٣- التوسع فى إنشاء أقسام لدراسة الاستشراق ومتابعة أعمال المستشرقين وتفنيد شبه المستشرقين، ودراسة المستشرقين المعادين للإسلام، وتوضيح الأسباب والدوافع التى توجههم فى كتاباتهم عن الإسلام والمسلمين وباللغات الأجنبية وترجمة بعض الأعمال العربية الناقدة للاستشراق إلى اللغات الأوربية.

**دعم العلاقات العلمية والثقافية بين الجامعات الإسلامية والجامعات الغربية والشرقية**

بالإضافة إلى استحداث المناهج المرتبطة بالحضارة وحوار الحضارات والهادفة إلى إعطاء تعليم نظامى حول الحضارة والحضارات والعلاقات بينها يجب دعم العلاقات العلمية والثقافية بين الجامعات الإسلامية والغربية والشرقية من خلال الآليات التالية :

١- عقد المؤتمرات والندوات العالمية والإقليمية والمحلية عن الموضوعات والقضايا المرتبطة بالعلاقات الحضارية بين الدول، وتشجيع مؤتمرات حوار الحضارات وحوار الأديان.

٢- تعميق الصلات العلمية والثقافية بين العلماء المتخصصين فى الحضارات من خلال

الزيارات العلمية المتبادلة، وعن طريق تبادل الأساتذة والباحثين والطلاب بين الجامعات الإسلامية والجامعات الغربية والشرقية.

٣- تشجيع البحوث العلمية المشتركة فى مجال الحضارات والأديان والتى تتكون من فرق عمل بحثية تضم أساتذة وباحثين ينتمون إلى الحضارات المختلفة، وينفذون مشروعات بحثية تساهم فى التقريب بين الحضارات، وتيسر الفهم المتبادل بين أهل الحضارات المختلفة.

٤- تشجيع الزيارات الميدانية لمناطق الحضارات الإنسانية للتعرف على هذه الحضارات على الطبيعة، ومعايشة أهلها، ومعرفة طرقهم الحضارية وأساليب حياتهم وعاداتهم وتقاليدهم، والتعرف على نقاط التقاء الحضارات ودعمها.

٥- التركيز فى بعض البحوث على دراسة الصور النمطية التى تنشأ للحضارات فى أذهان أهل الحضارات الأخرى، ودراسة سبل تغيير وتصحيح هذه الصور التقليدية للحضارات.

٦- التوسع فى إنشاء مراكز البحوث الحضارية التى تعنى بدراسة علاقات الحضارات بعضها ببعض وتبحث فى قضايا الحوار بين الحضارات، وترد على النظريات المؤيدة لمفهوم الصراع بين الحضارات، والعمل على التقريب بين الحضارات وأهلها.

٧- التوسع فى إنشاء مراكز الدراسات الغربية ومراكز الدراسات الشرقية وذلك لدراسة القضايا الخاصة بالعلاقات الحضارية بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى، ومحاولة تحقيق الفهم العلمى الصحيح للحضارات المختلفة وعقد المقارنات بينها، والمساعدة فى صناعة القرارات الثقافية والحضارية.

٨- التركيز على دراسة دور الحضارة والعلاقات الحضارية فى توجيه العلاقات الدولية بين الشعوب، وإعطاء مجال للعمل الحضارى الممهد لعلاج المشاكل السياسية بين الشعوب، وتوضيح الدور الإيجابى للحضارة فى السياسة الدولية وفى العلاقات الدولية. وكذلك العمل على عدم توظيف الحضارات فى خدمة السياسة من خلال عمليات تسييس الحضارات وتوظيفها توظيفًا سلبيًا لتخريب العلاقات السياسية بين الدول كما حدث من خلال نظريات صراع الحضارات وتأثيرها السلبى والضار على العلاقات بين الشعوب.

٩- إنشاء مراكز لدراسة الاستشراق ولمتابعة الأعمال الاستشراقية وكتابة الردود الإسلامية على المغالطات والشبه الاستشراقية حول الإسلام وحضارته وعلاقته بالآخر وبالحضارات الأخرى. ومواجهة الغرب بتحديد مسئولية الاستشراق المرتبط بالحركة الاستعمارية الغربية عن تكوين الصورة الغربية السلبية عن الإسلام والمسلمين.

**ب - دعم العلاقات الثقافية والحضارية بين الشعوب من خلال السفارات والملحقيات الثقافية :**

بالإضافة إلى الجهود المطلوبة على المستوى العلمي والبحثي يتطلب الأمر ضرورة العمل بين جماهير المثقفين للتعريف بالحضارات المختلفة ودعم التقاء الحضارات في صورة عملية وتطبيقية، بين المثقفين من ناحية وبين الجماهير العادية من ناحية أخرى. ومثل هذا العمل بين الجمهور يمكن أن تقوم به السفارات الأجنبية من خلال مراكزها الثقافية وملحقياتها الثقافية في البلاد المختلفة. فجزء من العمل الدبلوماسي نشر ثقافة البلدان المختلفة من خلال أنشطة ثقافية تقوم بها المراكز الثقافية الأجنبية والملحقيات الثقافية، ويمكن أن يأخذ هذا النشاط الثقافي المرتبط بالعمل الدبلوماسي في البلاد الأجنبية الأشكال والآليات التالية :

١- إلقاء المحاضرات عن ثقافة البلد الأجنبي وعلاقتها بثقافة البلد الأصلي وكيفية تقوية ودعم العلاقات الثقافية بين البلدين.

٢- التعريف بالمعالم الثقافية والحضارية للبلد الأجنبي من خلال الأفلام التوثيقية والأفلام العادية.

٣- عقد مهرجانات ثقافية مشتركة تُعرف بثقافة البلدين.

٤- عقد أسابيع ثقافية بالتبادل وتُعطى فرصة للتعريف بالبلدين بشكل مكثف من خلال أنشطة ثقافية مختلفة.

٥- المشاركة الثقافية في كل المناسبات الرسمية بين البلدين وفي الاحتفالات بالأيام الوطنية للبلاد المختلفة.

٦- تشجيع تبادل الزيارات الثقافية بين مفكرى وأدباء وفنانى البلدين .

٧- التوسع فى زيارات فرق التراث الشعبى ، والفرق الموسيقية ، والتوسع فى العروض الفنية المتبادلة .

٨- عقد الندوات والمؤتمرات الثقافية المتبادلة .

٩- أن تهتم السفارات والملحقيات بتأسيس شُعب معلومات ثقافية تمد الجماهير فى البلدين بالمعلومات الثقافية والحضارية عن البلدين .

**ج - دعم النشاط السياحى المتبادل**

١- تعتبر السياحة من أهم مجالات ووسائل التعريف بثقافات الشعوب وحضاراتها . ولذلك يجب أن يهتم المسئولون فى وزارات السياحة فى البلاد المختلفة بتشجيع السياحة ، وتيسير سبلها ، والتمكن من السياحة بأسعار تتناسب الفئات المختلفة ، والتوسع فى النشاط السياحى الثقافى الذى يهدف إلى التثقيف بعادات وتقاليد الشعوب ، والتعريف بالمعالم التاريخية والأثرية ، وعقد اللقاءات الثقافية للسائحين وتنمية الوعى الثقافى لدى السائح من خلال نشاط سياحى مكثف ومنظم ومدروس يؤدى إلى تصحيح الصور النمطية السلبية ، وينمى حب السائح ويكسب اهتمامه بالثقافات المختلفة ونقل صور صحيحة عنها إلى أهله وبنى بلده . كما يجب الإكثار من إقامة الليالى السياحية ، والمهرجانات والعروض الفنية الشعبية والاحتفالات بالمناسبات والأعياد المختلفة . وتطوير طرق جذب مختلفة لتوعية السائحين التوعية الثقافية اللازمة حتى يصبح سفيراً للثقافة الأجنبية إلى بلده .

٢- ويجب أيضًا تنظيم السياحة العربية والإسلامية إلى البلاد الأوربية والشرقية لتنمية الوعى الثقافى بالحضارات الأخرى ونقل صورة صحيحة عن الحضارة الإسلامية إلى البلاد المختلفة وبخاصة من خلال السلوك الحضارى الجيد للسائحين العرب والمسلمين فى البلاد الغربية والشرقية . ويمكن أن يتم ذلك من خلال تأهيل المرشدين السياحيين تأهيلاً جيدًا يسمح بنقل صورة ثقافية وحضارية إيجابية عن البلاد العربية والإسلامية إلى السائح الأجنبى .

٣- إقامة ملحقيات مرتبطة بالعمل السياحى فى السفارات العربية والإسلامية فى البلاد

الغربية والشرقية تعمل على تنشيط السياحة وتطوير سبل جذب السائحين إلى البلاد العربية والإسلامية .

**د - دعم الأنشطة الشبابية المرتبطة بالتوعية الحضارية**

يعتبر جيل الشباب من أهم الأجيال التى يجب التعامل معها فى مسألة تنمية الوعى بالحضارة والحضارات الأخرى . فالتربية الحضارية المبكرة وفى سنوات الشباب الأولى تؤدى إلى تعميق الشعور الحضارى، وتضع قاعدة للمعاملات الحضارية يضمن العالم عن طريقها مستقبلاً أفضل للإنسانية . فالأجيال المتأخرة فى العمر تربت على سلوك حضارى وثقافى معين، ومارست عادات وتقاليد معينة لفترة طويلة من الزمن قد يصعب معها تغيير هذا السلوك إلى ما هو أفضل . أما أجيال الشباب فهى تمثل الأمل المنتظر فى تأسيس سلوك ثقافى وحضارى جديد ومنفتح على العالم وبخاصة فى ظل المتغيرات الجديدة وثورة الاتصالات وتحول العالم إلى قرية صغيرة . ومن الملاحظ أن الشباب فى كل العالم أكثر مرونة وقدرة على التعامل مع الأوضاع الجديدة . فهم أكثر انفتاحًا على العالم، وأكثر قبولاً للمعطيات الحضارية وأكثر قدرة على تحقيق الاتصال بالعالم الخارجى من خلال شبكة الإنترنت ومتابعة القنوات الفضائية وغير ذلك من وسائل الاتصال الحديثة .

لهذه الأسباب من الضرورى التركيز على قطاع الشباب فى دول العالم المختلفة لتحقيق الاتصال الحضارى، و تعميق الانفتاح على الحضارات الأخرى، وتشجيع الحوار مع الحضارات المختلفة . ومن الممكن اقتراح الآليات والوسائل التالية لدعم الأنشطة الشبابية المرتبطة بالنوعية الحضارية . ومن أهم هذه الآليات والوسائل ما يلى :

١- تثقيف الشباب فى مجال الحضارة والحضارات والتعريف بأهمية الحوار مع الحضارات الأخرى . وتبدأ هذه العملية بتعريف الشباب بحضارة بلدهم وبالحضارات الأخرى، وبنقاط الالتقاء بين حضارتهم والحضارات الأجنبية .

٢- الاستراتيجية الأمثل لأماكن التجمع الشبابية فى إطلاق عملية التثقيف فى الحضارات، وذلك من خلال المحاضرات والندوات والمؤتمرات التى تعقد فى أماكن تجمع الشباب فى الجامعات، والنوادى الأدبية وقصور الثقافة والمعارض، والنوادى

والساحات الرياضية، وذلك من خلال برنامج ثقافى مدروس.

٣- نشر قيم التسامح الثقافى والحضارى، فضلاً عن التسامح الدينى بين الشباب وتعرفهم بالموقف الحضارى الإسلامى المتسامح مع الحضارات الأخرى، والقبول بالتعددية الدينية والثقافية والحضارية، ونشر قيم قبول الآخر المختلف دينيًا وثقافيًا وحضاريًا.

٤- عقد المسابقات الثقافية المختلفة عن الحضارات الإنسانية فى أماكن التجمع الشبابية مثل الجامعات والنوادى الرياضية والاجتماعية، والنقابات المهنية وقصور الثقافة وغيرها، ورصد جوائز مالية ومعنوية مجزية لهذه المسابقات.

٥- تشجيع تبادل الزيارات الشبابية بين شباب العالم للتعرف على الحضارات المختلفة.

٦- التوسع فى إقامة المهرجانات الشبابية الدولية التى تساعد على التقاء الشباب واتصالهم.

٧- التوسع فى إنشاء النوادى الحضارية وبخاصة فى السفارات الأجنبية، والمراكز الثقافية الأجنبية، وتشجيع البرامج الشبابية فى هذه النوادى.

**هـ : الآليات والوسائل المطلوبة فى مجال الإعلام**

يعتبر مجال الإعلام من أهم المجالات التى يجب أن تستخدم وتوظف توظيفًا جيدًا لتحقيق الاتصال الحضارى بين الشعوب، وتعميق الوعى الحضارى، ودعم الحوار بين الحضارات، والدفاع عن الحضارة الإسلامية ضد الهجوم الغربى عليها، وتعريف الغرب بحقيقة الحضارة الإسلامية، وبفضل الحضارة الإسلامية على الحضارات الأخرى، وبإمكانيات التلاقى بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى وبخاصة مع الحضارة الغربية.

ومن أهم الآليات المطلوبة فى المجال الإعلامى لتحقيق التقاء الحضارة الإسلامية بالحضارات الأخرى، وتعميق العلاقة بين الحضارات، والتقليل من فرص الصراع بينها، وتشجيع الحوار بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى ما يلى:

١- تخصيص قناة فضائية إسلامية متخصصة لتقديم الحضارة الإسلامية إلى غير

المسلمين باللغات الأجنبية، وتوضيح إسهامات الحضارة الإسلامية فى الحضارة الإنسانية، والطبيعة المتسامحة للحضارة الإسلامية فى علاقاتها بالحضارات الأخرى.

٢- تخصيص إذاعة عربية باللغات الأجنبية متخصصة فى مجال الحضارات لتقديم الحضارة الإسلامية إلى غير العرب والمسلمين فى صورتها الصحيحة.

٣- التغطية الإعلامية الجيدة الشاملة للمؤتمرات والندوات والأنشطة الثقافية المختلفة المرتبطة بالحضارات.

٤- حسن استغلال شبكة المعلومات (الإنترنت) لتوضيح الصورة الصحيحة للإسلام وحضاراته.

٥- تكثيف كتابة المقالات الداعية إلى حوار الحضارات بالصحف اليومية العربية والأجنبية، وبالمجلات الأسبوعية.

٦- الإكثار من البرامج التليفزيونية والإذاعية المتنوعة فى مجال الحضارة والحضارات والعلاقات الحضارية.

٧- إعداد الأفلام التوثيقية عن الحضارة الإسلامية وعلاقتها بالحضارات الأخرى بالعربية وباللغات الأوربية.

٨- إعداد بعض الأفلام السينمائية الجيدة ذات الموضوعات المرتبطة بالثقافات المختلفة، أو المثيرة لقضايا إنسانية مرتبطة بمظاهر التعددية الثقافية والحضارية فى التاريخ الإسلامى وشواهد قبول الآخر.

٩- عقد ندوات وبرامج حوارية بوسائل الإعلام المختلفة لمنافسة علاقة الحضارة الإسلامية بالحضارات الأخرى، وتشجيع الالتقاءات الخاصة بحوار الحضارات.

١٠- متابعة ما يكتب فى الصحافة الغربية عن الإسلام وحضارته وإعداد الردود العلمية الجيدة ومحاولة نشرها فى نفس هذه الجرائد لتصحيح الأخطاء المقصودة وغير المقصودة والمشوهة لصورة الإسلام والحضارة الإسلامية.

١١- توجيه جزء من أعمال البرامج الموجهة فى الإذاعات العربية لخدمة التعريف بالإسلام وحضارته، وموقفه من الإرهاب.

وتتطلب هذه المراحل ضرورة الإسراع فى وضع خطة موحدة للإعلام العربى والإسلامى لمواجهة الآثار السلبية لأحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م ومقاومة الحملة الشرسة التى تشنها وسائل الإعلام الغربية على العرب والمسلمين وتأثير هذه الحملة على الأقليات المسلمة والعربية فى الغرب، وعلى صورة العرب والمسلمين عمومًا، وعلى صورة الإسلام فى الغرب.

ونظرًا لأن الهجوم الإعلامى الغربى والصهيونى هجوم عام ضد الشخصية العربية والإسلامية فالمسئولية الإعلامية مسئولية مشتركة يجب أن تشارك فيها كل الدول العربية والإسلامية. ولا توجد دولة عربية أو إسلامية واحدة تستطيع أن تقوم بهذا العبء الإعلامى الضخم لإقناع الرأى العام العالمى وتغيير رؤيته التى اكتسبها من الإعلام الغربى. ولذلك يجب وضع خطة عربية وإسلامية عامة لمخاطبة الرأى العام العالمى يضعها كبار خبراء الإعلام العرب والمسلمين. ويتطلب الأمر ما يلى:

١- إعادة هيكلة منظومة الإعلام العربى بحيث تصبح منظومة قومية قادرة على متابعة الإعلام الغربى، والرد على الأكاذيب التى يبثها على مستوى الصحافة العالمية والإذاعات وقنوات التليفزيون ووكالات الأنباء.

٢- تدريب كوادر إعلامية جيدة قادرة على القيام بالعمل الإعلامى الموجه على أسس علمية جيدة.

٣- تقوية العمل الإعلامى فى كل السفارات العربية والإسلامية بالخارج وتعيين ملحقين إعلاميين وخبراء فى العمل العلمى مدربين تدريبًا جيدًا.

٤- حسن اختيار الملحقين الإعلاميين فى السفارات العربية بالدول الأوربية وبالولايات المتحدة الأمريكية وكندا واستراليا، بحيث يكونون على درجة كبيرة من الوعى بقضايا أمتهم وقادرين على التعامل مع وسائل الإعلام المختلفة.

٥- العمل الإعلامى الجاد لإزالة آثار الحملة الإعلامية الغربية، ضد العرب والمسلمين بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م.

٦- إرسال وفود سياسية وإعلامية وفكرية إلى بلدان الغرب لإقناع الساسة ورجال الفكر والدين بزيف الصورة الإعلامية الغربية وتقديم الصورة الحقيقية عن العرب والمسلمين.

٧- إقامة عدد من المؤتمرات والندوات فى الغرب للتعريف بالإسلام والعلاقات الإيجابية بين العالم الإسلامى والغرب ودور الفكر العربى وتأثيره فى الحضارة الغربية .

٨- توضيح موقف الإسلام من الإرهاب والتركيز على كون الإرهاب ظاهرة عالمية ولا ترتبط بدين معين وأن الإرهاب لا علاقة له بالأديان فدعوة الأديان دعوة سلام لا إرهاب .

## ثانيًا : تطوير استراتيجية ثقافية إسلامية لتنمية وتصحيح مسيرة الثقافة الإسلامية فى العصر الحالى

وإلى جانب الجهود التى يجب بذلها على مستوى تنمية علاقة الحضارة الإسلامية بالحضارات الأخرى فى الفترة المعاصرة وتطويرها لمواجهة آثار أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١م، هناك مستوى آخر داخلى لهذه الاستراتيجية الثقافية . وهذا المستوى يختص بتصحيح مسيرة الثقافة الإسلامية داخل العالم الإسلامى وتطويرها، و العمل على تقدمها لتصبح قادرة على مواكبة المتغيرات الثقافية والحضارية فى العالم، ومواجهة الآثار الثقافية للعولمة والشرق أوسطية ، وكذلك مواجهة دعاوى عدم قبول الآخر ، وعدم قبول التعددية الثقافية داخل العالم الإسلامى، وإبراز الإسهامات الإسلامية فى مجالات التسامح الحضارى والثقافى، وفى مجال حقوق الإنسان والمرأة، وفى مجال التعامل مع أقليات العالم الإسلامى وطوائفه، وكذلك فى مجال تشجيع العمل الأهلى والخيرى.

### الشروط اللازمة لتنمية الثقافة الإسلامية

وفيما يلى تصور للشروط اللازمة لتنمية الثقافة الإسلامية فى العصر الحالى فى ظل المتغيرات التى يمر بها العالم والتى تتطلب توظيفًا جديد لمسيرة الثقافة الإسلامية :

١- تنمية الوعى السياسى لدى الجماهير المسلمة، وتفعيل المشاركة السياسية فى البلاد الإسلامية، والارتقاء بالعمل الديموقراطى، وتنمية الشورى فى بلاد المسلمين.

٢- الاعتراف بالتعددية الثقافية داخل العالم الإسلامى، وتنمية الحوار الحضارى

والثقافى على أسس من الشورى والديموقراطية وبخاصة بين المجموعات الثقافية والإثنية داخل المجتمعات الإسلامية، وتوسيع حقوق التعبير عن الهوية الثقافية الخاصة داخل الأطر الوطنية وفى حدود الإطار القيمى الإسلامى، وتحقيق العدالة الاجتماعية، ومقاومة الفساد.

٣- تنمية العقلانية فى العالم الإسلامى بالتخلص من ثقافة الشعوذة والسحر والتواكل، والحض على قيم العمل والإنتاج والتقدم، ومواجهة التدهور الثقافى والعقلى.

٤- تنقية التراث الإسلامى من العناصر غير العقلية والتخلص من الإسرائيليات فى مصادر التراث الإسلامى والتى لا تتفق مع أحكام الإسلام ومعطيات القرآن الكريم.

٥- تشجيع عمليات الإبداع فى المجالات العلمية والصناعية والفنية والأدبية. وإتاحة أكبر قدر ممكن من الحريات اللازمة لعمليات الإبداع داخل إطار قيمى عربى وإسلامى.

٦- تنمية الصناعات الثقافية، وتشجيع قيام صناعات لأدوات الإنتاج الثقافى، وتحقيق التكامل العربى والإسلامى فى هذا الاتجاه[١]. واعتبار الصناعات الثقافية من المشروعات الاستراتيجية التى تخدم المصلحة العربية والإسلامية العليا.

٧- تشجيع الاستثمار الثقافى من خلال عمليات الإنفاق على المشروعات الثقافية فى إطار استراتيجية ثقافية إسلامية واضحة، وتهدف إلى تحقيق القدرة على المنافسة الثقافية فى ضوء متطلبات العولمة والشرق أوسطية وثورة المعلومات.

٨- دعم العمل الثقافى وخلق ثقافة إسلامية مستنيرة تؤدى إلى إرساء قيم التسامح الإسلامى والاعتدال الدينى، وتقضى على التطرف والتعصب فى كل أشكاله.

٩- تشجيع العمل الثقافى الأهلى من خلال التوسع فى تأسيس الجمعيات الثقافية والنوادى العلمية والثقافية، والحث على الإبداع ونشر الصالونات الثقافية والأدبية،

والعمل على انتعاش الحياة الثقافية فى العالم الإسلامى من خلال التعاون والتكامل بين العمل الثقافى الحكومى والعمل الثقافى الأهلى .

١٠- التشجيع على العمل فى مجال تقنيات المعلومات والاتصالات وتربية أجيال إسلامية مدربة على استخدام وسائل الإعلام الحديثة وقادرة على توظيف إمكانات الإنترنت لخدمة الثقافة الإسلامية ونشرها .

١١- العمل على الارتقاء بالحضور الإسلامى فى المنتديات الثقافية العالمية ، والمشاركة الفعالة فى برامج حوار الحضارات وحوار الأديان ، والإدلاء بالرأى الإسلامى فى هذه المنتديات ، وتدريب كوادر علمية مسلمة قادرة على المشاركة فى هذه المنتديات باللغات الأجنبية .

١٢- الاهتمام بالمؤسسات العلمية العاملة فى المجال العلمى والثقافى وبخاصة تلك المهتمة بتصحيح صورة الإسلام والحضارة الإسلامية فى الغرب ، وتشجيع التخصص فى مجالات الحضارات المقارنة والاستشراق ومقارنة الأديان والتنصير ، وغير ذلك من المجالات العلمية ذات الصلة بالعمل الثقافى الإسلامى على المستوى العالمى .

١٣- تحديد أسباب القصور فى مسيرة الثقافة العربية والإسلامية ، ووضع اليد على سلبيات العمل الثقافى الإسلامى فى الفترة الحالية ، ووضع الخطط المناسبة للتخلص من أوجه القصور ومن السلبيات ، ودفع العمل الثقافى الإسلامى إلى العالمية التى يستحقها الإسلام وتستحقها الحضارة الإسلامية فى مواجهة الهجمات الثقافية الغربية .

١٤- تحقيق الاعتدال الدينى والثقافى ، وتوجيه الثقافة الإسلامية لمواجهة التطرف الدينى ، ونشر قيم التسامح والاعتدال من خلال الآليات والوسائل المختلفة .

١٥- تنمية لغة الحوار الدينى والحضارى ، والعمل على تجديد الخطاب الدينى الموجه ، وتشجيع الجدال الحسن الذى يعترف بالآخر ويقبله ، ويؤمن بالتعددية الدينية والحضارية .

١٦- تنمية العمل الثقافى الإيجابى تجاه تقديم الإسلام وحضارته تقديمًا علميًا مستقلاً

بعيدًا عن عمليات الدفاع الخالصة، وعدم الاستغراق فى الدفاع المصاحب للهجوم على الغرب وحضارته. ويتم ذلك من خلال الأعمال العلمية الجيدة التى تقدم صحيح الإسلام والحضارة الإسلامية بعيدًا عن العمليات الدفاعية مع كتابة هذه الأعمال باللغات الأوربية. وضرورة الفصل بين الأعمال الدفاعية التى ترد على أعمال غربية مثل أعمال المستشرقين وغيرهم، وبين الأعمال العلمية الخالصة التى تقدم الإسلام تقديمًا علميًا إيجابيًا بدون الدخول فى متاهة الردود والدفاع. والتى تضع القارئ الغربى فى حالة نفسية دفاعية عن حضارته وثقافته. المطلوب فى هذا النوع من الأعمال التقديم العلمى العقلى للإسلام وحضارته بدون التعرض للحضارة الغربية، أو للحضارات الأخرى، بالهجوم أو النقد.

١٧- العمل الثقافى الدؤوب تجاه القضاء على الصراعات الثقافية الداخلية وتوحيد التوجهات الثقافية فى البلاد الإسلامية داخل إطار من الاعتدال الدينى والثقافى، والاعتراف بالهويات الثقافية المتعددة والاعتراف بالتنوع الثقافى داخل إطار من الوحدة الثقافية العامة. والانطلاق بهذا العمل الثقافى إلى بناء علاقة الحضارة الإسلامية بالحضارات الأخرى على أسس من التوافق والالتقاء، ودعم السلام بين الشعوب، وتحقيق مبادئ حقوق الإنسان.

١٨- مواجهة ظاهرة الإرهاب كظاهرة عالمية، ونبذ التطرف والغلو الفكرى والثقافى، ورفض كل مظاهر الإرهاب الفكرى داخليًا وخارجيًا.

***

لقد أدت المتغيرات الجذرية التى أصابت العلاقات الحضارية بين الشعوب فى الفترة المعاصرة إلى مراجعة هذه العلاقات، وإعادة صياغتها فى ظل المعطيات الحديثة والمعاصرة ومن أهمها العولمة والشرق أوسطية، ونظريات صراع الحضارات، وظهور الأصوليات، وصعود اليمين الدينى المتطرف، وتطور ظاهرة الإرهاب وبروز مشكلات حقوق الإنسان، وحقوق المرأة، وقضايا الاضطهادات الدينى وقانون الحريات الدينية، وقضايا الديموقراطية. هذا بالإضافة إلى ما أتت به ثورة المعلومات من فتح أبواب الاتصال بين الشعوب على مصراعيها، وتحول العالم إلى قرية صغيرة.

ومع أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١م زادت حدة العلاقات الحضارية بين الغرب والشرق، ولقيت نظريات الصراع بين الحضارات دفعة قوية وأصبحت هى النظريات المحركة للسياسة الدولية والمحددة لطبيعة العلاقات الدولية بين الغرب والشرق، وبخاصة الشرق الإسلامى. وزادت التحديات التى يواجهها العالم الإسلامى، وقويت المخاطر السياسية والثقافية وأصبح العالم الإسلامى مهدداً بشكل خطير، ومتهمًا فى نفس الوقت بأنه مهدد للغرب وحضارته.

وفى ظل هذه المتغيرات أصبح من الضرورى إعادة التفكير فى طبيعة العلاقات الإسلامية مع الغرب وحضارته، وأصبحت الحاجة إلى الحوار بين الإسلام والحضارات الأخرى ماسة، وبخاصة الحوار مع الحضارة الغربية التى تثير معظم التحديات الحضارية التى يواجهها العالم الإسلامى فى الوقت الحالى. ويناقش هذا البحث هذه التحديات، ويحددها تحديدًا دقيقًا وشاملاً، ويعرض لنظريات الصراع الحضارى المسيطرة على الفكر الغربى المعاصر ويقدم نقدًا عامًا لهذه النظريات بالإضافة إلى تجديد الموقف الإسلامى من هذه النظريات من خلال نقد مطول لنظرية صموئيل هنتنجتون الخاصة بصدام الحضارات، ونظرية نهاية التاريخ لفوكوياما، ويقدم نقدًا للعولمة وآثارها الثقافية السلبية، ويوضح الفارق بينها وبين مفهوم العالمية فى الإسلام. وينقد الشرق أوسطية فى ارتباطها بالعولمة من ناحية ولكونها موجهة للعالم العربى من

ناحية أخرى، ليصبح العالم العربى مهدداً تهديداً مركباً ومعقداً يجمع بين الآثار السلبية للعولمة والشرق أوسطية.

وقد تم التركيز فى البحث على الأصوات الغربية العاقلة التى تنادى بضرورة الحوار بين الحضارة الغربية والحضارات الأخرى وبخاصة الحضارة الإسلامية. وقد تم استعراض رؤى عدد من مفكرى الغرب وزعمائه البارزين أمثال الأمير تشارلز، والرئيس الألمانى الأسبق رومان هرتسوج، والمستشار الألمانى الأسبق هلموت شميت، والأمين العام للأمم المتحدة كوفى أنان، وكذلك عرض آراء بعض المستشرقين المعتدلين مثل المستشرقة الألمانية آنا مارى شيمل، والمستشرق الألمانى فريتز شتيبات، والمستشرق الأمريكى جون اسبوزيتو وغيرهم من المتحمسين للحوار الحضارى مع الإسلام وللعلاقات القوية بين الحضارتين الإسلامية والغربية. وقد تم إعطاء تصور لجهود بعض المؤسسات والمنظمات المهمة وعلى رأسها هيئة الأمم المتحدة بجهودها المتنوعة فى مجال حوار الحضارات. واهتم البحث أيضاً بعرض بعض الجهود الإسلامية فى مجال حوار الحضارات مثل جهود الأزهر، وجامعة الدول العربية، وملتقى المفكرين العرب وغيرهم.

وفى الأبواب الأخيرة تركيز شديد على دراسة وعرض الموقف الإسلامى من نظريات الصراع، ومن العولمة والشرق أوسطية، باعتبارها ممثلة لأخطر التحديات الحضارية التى تواجه العالم الإسلامى المعاصر، وتم التركيز على الأبعاد الثقافية للعولمة والشرق أوسطية ومقارنة العالمية فى الإسلام بالعولمة مع توضيح إيجابيات العالمية فى مواجهة سلبيات العولمة.

وفى الباب الأخير مناقشة للتحديات التى تواجه العالم الإسلامى المعاصر، ومحاولة لوضع أسس للعلاقات المثلى بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى، وتصور لبعض الوسائل والآليات التى يمكن من خلالها تحقيق هذه الأسس.

والنتيجة النهائية التى نصل إليها من خلال هذا العرض لقضايا الحوار بين الإسلام والحضارات الأخرى هى أن العالم الإسلامى المعاصر أصبح فى أمس الحاجة إلى تجديد الحوار الحضارى الإسلامى مع العالم المعاصر. ونظراً لارتباط الحضارة بالدين فى الإسلام، فالمطلوب الجمع بين تجديد الخطاب الحضارى وتجديد الخطاب الدينى.

والعلاقة بين الخطابين الحضارى، والدينى علاقة عضوية. فالخطاب الدينى هو أساس الخطاب الحضارى والمصدر الذى نستمد منه أصول الخطاب. ومن أولويات متطلبات تجديد الخطاب الحضارى معرفة التحولات الحضارية التى يمر بها العالم المعاصر، والوعى بطبيعة الحياة المعاصرة، وطبيعة المشكلات والقضايا الناجمة عنها، ومن أهمها مشكلة كيفية التعامل مع الآخر المختلف مذهبًا ودينًا وحضارة. والسبب الرئيسى الذى أدى إلى بروز هذه المشكلة حالة الانفتاح العالمى التى تسببت فيها الثورة المعلوماتية التى قربت أجزاء العالم المتباعدة بعضها من بعض، وحولت العالم كله إلى ما يشبه القرية الصغيرة التى وجب على سكانها حتمية التعامل والتعاون لاحتياجهم إلى بعضهم البعض مهما إختلفت أجناسهم وألوانهم وعقائدهم وثقافاتهم.

ومن الأسباب المهمة التى تحتم تجديد الخطاب الحضارى والدينى الوجود الإسلامى القوى فى بعض البلاد الغربية والشرقية. فقد أدت حركة الهجرة على المستوى العالمى إلى استقبال هذه البلاد فى الغرب والشرق لأفواج من المهاجرين المسلمين الباحثين عن عمل، أو الراغبين فى التعليم أو التجارة أو غير ذلك من الأسباب، فتكونت خلال النصف الثانى من القرن العشرين جاليات إسلامية كبيرة وصغيرة فى أوربا والولايات المتحدة الأمريكية وفى اليابان والصين واستراليا. ووصل تعداد بعض هذه الجاليات إلى خمسة ملايين أو يزيد كما هو الحال فى فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية.

هذا التواجد الإسلامى للأقليات المسلمة فى الغرب والشرق تطلب ضرورة التكيف مع المجتمعات غير الإسلامية، والوصول إلى نوع من الوفاق الاجتماعى والثقافى كان من أهم متطلباته تغيير أسلوب الخطاب الحضارى والدينى فى التعامل مع الغرب والشرق، والانتقال به من أسلوب الخطاب التقليدى الموروث فى ظل انغلاق ثقافى وحضارى ودينى إلى أسلوب خطاب منفتح على الآخر، ويمكن من التعامل الحضارى مع الآخر فى ضوء المتغيرات والتحولات التى أصابت العالم المعاصر، ومن أهمها تحولات العولمة، وثورة المعلومات.

ولا شك فى أن المسلم ليس فى حاجة إلى ثوابت جديدة تحدد له الإطار العام للتعامل الحضارى، وتعين له أسلوب الخطاب المناسب. فالثوابت موجودة، ومثبتة فى القرآن الكريم والسنة النبوية، ومعمول بها بالفعل. ولذلك فالمطلوب إسلاميًا تفعيل

هذه الثوابت وتعميمها، وإحياء التعامل بها وبخاصة فى البيئات الإسلامية التى أصيبت بالجمود والانغلاق على الذات، وكذلك فى البيئات الغربية والشرقية التى يتواجد بها مسلمون فى شكل أقليات يحتك أفرادها يوميًا بالثقافة الأخرى وبالآخر المختلف حضاريًا ودينيًا.

ومن بين الأشياء المطلوبة لتجديد الخطاب الحضارى البحث عن وسائل جديدة وآليات فعالة لتنشيط عمليات التواصل الحضارى، وتيسير سبل التخاطب عن طريق إشاعة مبادئ التسامح، وقبول الآخر، وقبول الاختلاف الحضارى والثقافى، والتمسك بالخطاب الإيجابى، والبعد عن الخطاب السلبى المثير للحقد والكراهية، والمحرض على العداوات والخصومات، والمؤدى إلى التعصب والتطرف الحضارى والدينى. إن الانفتاح على الآخر المختلف حضاريًا والتعاون معه يساعد فى تعمير الأرض، وتحقيق سعادة الإنسان فى ظل الأخوة الإنسانية. وفى ذلك بلا شك تحقيق للأمر الإلهى بالتعاون على البر والتقوى، وعدم التعاون على الإثم والعدوان.

**تم بحمد الله وعونه**

# قائمة المصادر والمراجع

## أولاً : المصادر العربية

إبراهيم عبدالكريم : الاستشراق وأبحاث الصراع لدى إسرائيل، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، عمان، ١٩٩٢م.

أحمد الطيب : خصائص الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارات الغربية، فى كتاب حقيقة الإسلام فى عالم متغير، سلسلة قضايا إسلامية، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، العدد ٨٧، القاهرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

أحمد صدقى الدجانى : الجذور التاريخية للشرق أوسطية فى كتاب : الشرق أوسطية مشروع أمريكى صهيونى.

إعلان ملتقى المفكرين العرب : مجلة شئون عربية، العدد ١٠٩، ربيع ٢٠٠٢م.

آنا مارى شيمل : الإسلام دين الإنسانية. ترجمة صلاح محجوب، سلسلة دراسات إسلامية، العدد ٦٠، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص٦.

تركى الحمد : صراع الثقافات بين السياسة والتاريخ. . مجلة شؤون عربية، العدد ١٠٩، ربيع ٢٠٠٢.

تشانج هونج : رؤية صينية لتطور الثقافة العربية الإسلامية فى ظل العولمة، مجلة شئون عربية، العدد ١١٠، صيف ٢٠٠٢م.

توماس فريدمان : حتى لا تكون هناك حرب بين حضارتينا، الشرق الأوسط، ٢٨/ ١١/ ٢٠٠٢م.

جريس هالسل : النبوءة السياسة، الإنجيليون العسكريون فى الطريق إلى الحرب النووية، ترجمة محمد السماك، طرابلس ١٩٩٠م.

جعفر عبد السلام: حقوق الإنسان فى المنظور الإسلامى، الأهرام ٣٠ يونيو٢٠٠٢م.

جمال معوض شقرة : التهديد الإسلامى للغرب المعاصر بين صموئيل هنتنجتون وجون اسبوزيتو فى كتاب التقاء الحضارات فى عالم متغير، حوار أم صراع، القاهرة، ٢٠٠٣م.

جمال معوض شقرة : « التهديد الإسلامى للغرب المعاصر بين صامويل هنتنجتون وجون

اسبوزيتو»، فى أعمال ندوة التقاء الحضارات فى عالم متغير، حوار أم صراع، تحرير عبادة كحيلة، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، القاهرة.

حسن بكر: مطارحة نقدية لنظرية فوكوياما: نهاية التاريخ أم أيديولوچية الرجل الأخير؟، مجلة مستقبل العالم الإسلامى، العدد ٩، شتاء ١٩٩٣م، مالطا.

حلمى شعراوى: «الشرق أوسطية ومأزق الوجود العربى وضرورة الوحدة» فى كتاب الشرق أوسطية مخطط أمريكى صهيونى، مكتبة مدبولى، القاهرة.

حمدى عبد الرحمن حسن: العولمة وآثارها السياسية فى النظام الإقليمى العربى: رؤية عربية، مجلة المستقبل العربى، العدد ٢٥٨، أغسطس ٢٠٠٠م.

راسم محمد الجمال: الإسلام والغرب بين الفجوة المعرفية والمواجهة الأصولية. مجلة المستقبل العالم الإسلامى. العدد ٩ شتاء ١٩٩٣م مالطا.

رسول محمد رسول: «من صدام الحضارات إلى حوار الحضارات»، مجلة الكلمة، العدد ٢٤، السنة السادسة، صيف ١٩٩٩م، بيروت.

ريتا عوض: «صورة العرب والإسلام فى الغرب: كيف يعاد تشكيلها ؟»، مجلة شئون عربية، العدد ١٠٩، ربيع ٢٠٠٢م.

سالم توفيق النجفى: الإشكالية الاقتصادية الشرق أوسطية ـ رؤية عربية، مجلة المستقبل العربى، العدد ٢٠٩، يوليو ١٩٩٦م.

سالم توفيق النجفى: الإشكالية الاقتصادية الشرق أوسطية، مجلة المستقبل العربى، العدد ٢٠٩، يوليو ١٩٩٦م.

صموئيل هنتنجتون: صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمى، ترجمة طلعت الشايب، تقديم صلاح قنصوة، القاهرة، ١٩٩٨م.

طلعت أحمد مسلم: البعد الاستراتيجى للمشروع الشرق أوسطى، فى كتاب: الشرق أوسطية مخطط أمريكى صهيونى.

عبد السلام نوير: «التبعية الإعلامية العربية مظاهرها وآثارها» فى مجلة مستقبل العالم الإسلامى، العدد ٩، ١٩٩٣ مالطا.

عبد العزيز بن عثمان التويجرى: الهوية والعولمة من منظور حق التنوع الثقافى. مجلة رسالة التقريب، العدد ٢٣ ربيع أول ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، طهران.

عبد الله بن عبد العزيز البحيى: قانون الاضطهاد الدينى الأمريكى. قضايا وملاحظات، الرياض ١٤٢٢هـ.

عبدالعزيز شادى : الخطاب الدينى والصراعات الدولية، خبرة ما بعد الحادى عشر من سبتمبر، ٢٠٠١م، مجلة شئون عربية، العدد ١٠٩ .

فؤاد نهرا : الوطن العربى وتحديات العولمة، بين واقع التجزئة وضرورة الوحدة. مجلة معلومات دولية، العدد ٥٨، خريف ١٩٩٨م، دمشق.

فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ وخاتم البشرية، ترجمة حسين أمين، مركز الأهرام للترجمة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٣

فرج بوالعشة: صاحب نهاية التاريخ يرفض نهاية التاريخ، جريدة الشرق الأوسط، ٥/١١/٢٠٠١م .

فريتز شتيات : «المنظومة الإبراهيمية للحوار»، فى كتاب : «الغرب وبقية العالم بين صدام الحضارات وحوارها» مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت، ٢٠٠٠م.

فيصل محمود الغرابية: دخول العرب فى القرن الحادى والعشرين، ظروفه وشروطه، مجلة شئون عربية، عدد خاص عن «العرب والقرن الحادى والعشرين»، العدد ١٠٣، سبتمبر ٢٠٠٠م.

كامى حافظ ( تحرير وتقديم ): الإسلام والغرب وإمكانية الحوار. ترجمه من الألمانية : صلاح محجوب مراجعة : محمد خليفة حسن، المجلس الأعلى للثقافة المشروع القومى للترجمة، العدد ٢٤٠، القاهرة ٢٠٠٠م.

مؤتمر «المسلمون وحوار الحضارات فى العالم المعاصر» : الأردن، عمان، ١٩٩٥م، عرض بمجلة الكلمة، بيروت.

مؤتمر «حوار الحضارات: تواصل لا صراع»: كلمة الأمين العام للجامعة العربية، سبتمبر ٢٠٠١م، عرض فى مجلة شئون عربية، العدد ١٠٩، ربيع ٢٠٠٢م.

مازن بن صلاح مطبقانى : الاستشراق والاتجاهات الفكرية فى التاريخ الإسلامى، دراسة تطبيقية على كتابات برنارد لويس، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

مايكل كوربت وجوليا كوربت : الدين والسياسة فى الولايات المتحدة الأمريكية ترجمة عصام فايز وناهد وصفى، مكتبة الشروق ، ٢٠٠١

مجلة الكلمة: متابعات الاستعداد لعام حوار الحضارات ٢٠٠١م، العدد ٢٤، صيف ١٩٩٩م، بيروت.

محمد الخضير: العولمة والهوية : التهميش يهدد الموروث الثقافى للأمم، مجلة معلومات دولية، العدد ٥٨ .

محمد خليفة حسن: آثار الفكر الاستشراقى فى المجتمعات الإسلامية تأليف. دار عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. . القاهرة ١٩٩٧ .

محمد خليفة حسن: الشخصية الإسرائيلية، دراسة فى توجهات المجتمع الإسرائيلى. مركز الدراسات الشرقية. جامعة القاهرة. القاهرة ١٩٩٨ .

محمد خليفة حسن: البعد الدينى للصراع العربى الإسرائيلى، مركز الدراسات الشرقية جامعة القاهرة، ١٩٩٩ .

محمد خليفة حسن: الحركة الصهيونية وعلاقتها بالتراث الدينى اليهودى، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، ١٩٩٩م.

محمد خليفة حسن : الشخصية الإسرائيلية : دراسة فى توجهات المجتمع الإسرائيلى نحو السلام، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، ١٩٩٨م.

محمد خليفة حسن: تاريخ الأديان، دراسة وصفية مقارنة، القاهرة، ٢٠٠٠م.

محمد رشاد الشريف: العولمة والمشروع الشرق أوسطى، مجلة معلومات دولية، العدد ٥٨، خريف ١٩٩٨م، دمشق.

محمد سعدى: صدام الحضارات، عرض نقدى، مجلة المستقبل العربى، العدد ٢٤٤، المجلد ٦، عام ١٩٩٩ .

محمد عمارة: «الأقليات غير المسلمة فى العالم الإسلامى» فى كتاب «حقيقة الإسلام فى عالم متغير»، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، العدد ٨٧، القاهرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

محمد مجدى الجزيرى: الحوار بين الحضارات بين الواقع المعاش والاستثمار السياسى فى كتاب التقاء الحضارات فى عالم متغير.

محمود حمدى زقزوق: الدين والحضارة، سلسلة قضايا إسلامية، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، العدد ١٤، القاهرة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

محمود حيدر: مفهوم السيادة بعد الحرب الباردة : الدولة المعولمة، مجلة معلومات دولية، العدد ٥٨، خريف ١٩٩٨م.

محمود سعد أبو عامود: الاستجابة العربية الإسلامية المطلوبة للتحدى الحضارى الغربى، مجلة مستقبل العالم الإسلامى، العدد ٩، عام ١٩٩٣م.

محمود شومان: التحليل الثقافى الحضارى لإدارة مجلس الأمن للأزمة الليبية الغربية، مجلة مستقبل العالم الإسلامى، العدد ٩، عام ١٩٩٣م.

موسى الضرير: العولمة ومفهومها : بعض الملامح، مجلة معلومات دولية، العدد ٥٨، خريف ١٩٩٨م.

ميلاد حنا : قبول الآخر فكر واقتناع وممارسة، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٨م.

نبيل على: الثقافة العربية وثورة المعلومات، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ٢٠٠٠م.

نص «بيان القاهرة» في كتاب الإسلام ومستقبل الحوار الحضارى، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، سلسلة قضايا إسلامية، العدد ١٥، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

نيڤين عبدالخالق مصطفى: المشروع الشرق أوسطى والمستقبل العربى، مجلة المستقبل العربى، العدد ١٩٣، مارس ١٩٩٥م.

هيلموت شميت: فى المؤتمر العام الثامن للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٩٤م، في كتاب الإسلام ومستقبل الحوار الحضارى، سلسلة قضايا إسلامية، العدد ١٥، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٩٦م، ص٨٣.

وزارة الخارجية: معهد الدراسات الدبلوماسية: مذكرة معلومات حول مبادرة الرئيس السابق هرتزوج للحوار الثقافى بين الإسلام والغرب، يوليو ١٩٩٩.

ياسر خليل: حتمية الصدام بين الإسلام والغرب، وصراع الحضارات .. حقيقة أم خرافة، اسبوزيتو ينتقد هنتنجتون، جريدة الشرق الأوسط، ٢٦/ ٣/ ٢٠٠٢م.

يوسف الحسن: البعد الدينى فى السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربى الصهيونى. دراسة فى الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت -١٩٩٠م.

يوسف صايغ: منظور الشرق الأوسط ودلالته عربيًا، مجلة المستقبل العربى، العدد ١٩٢.

***

**ثانيًا: المصادر الأجنبية:**

**Ali Mazuri:** Islamic and western values, Foreign Affairs, Vol. 76. No 5, Sept. 1997.

**Berlin Declaration: Agenda for cultural Action Dialogue of** Cultures, The Future of Relations between Western and Islamic Societies, Berlin July 1999, p.1.

**Edwin A. Brutt: Man Seeks the Divine, A Study of the History** and Comparison of Religion, Harper and Row, N. Y., 1970, p. 187.

**Final Report on the United Nations Year for Tolerance,** Declaration of principles on Tolerance, p.4.

**H. Zimmer: philosophic of India, princeton Univ. press, 1969.**

James Kritzeck, peter the Venerable and Islam, princeton Univ.press.

John L. Espostio, The Islamic Threat, Myth or Reality.

La Contribution de la Civilisation islamique a la Culture Europeenne, Conceil de l' Europe Doc. 6497, Strasburg, 1992, p.2.

United Nations Year for Tolerance 85th plenary meeting, Adapted without a vote in /Dec. 1993, p. 391.

United Nations Year of Dialogue among Civilizations, The General Assembly, Adopted without a vote in 4 November 1998.

**W. Montgomery Watt:** " The Study of Islam By Orientalists", Islamo Christiano no. 14, 1988 p. 203.

***

رقم الإيداع: ٢٠٠٧/٢١٦٩